

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



د. محمد سليم العوا: ثلاثة
تحديات أساسية تواجه العرب

الوعاء الإسلامي

AL-Waei AL-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٥٢) شعبان ١٤٣٢هـ - يوليو ٢٠١١م

الفساد... آفة الأمم

نحو تفسير
حضاري للقرآن
الكريم

دور الأدب المقارن في عالمية الأدب العربي



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني



دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

النشيد الوطني لدولة الكويت

إنشاء / صلاح الهاشم

الآن..
اطلب فسيفتك

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
تلفون : ٢٢٤٨٧٣٢٧ / ٨ - فاكس : ٢٢٤٨٧٣٢٦

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com



الافتتاحية

والله يعلم المفسد من المصلح

وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿المائدة: ٣٣﴾.

وحتى يَنكفَّ الناس عن هذا الفساد بشتى أنواعه حذَّر القرآن من تبعاته وعاقبته، وهذا نبيُّ كريم من أنبياء الله يخاطب قومه: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٨٦)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٣)، وقال في موضع آخر: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤)

ولأنه لا أحد من الناس يستغني عن النصيحة في هذا الأمر الجلل كان الأنبياء يتواصلون بالحثر من الفساد، ويتواصلون بالبعد عن طريق الفاسدين ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، ولقد مدح الله تعالى أقوامًا من القرون الخالية بسبب نهيمهم عن الفساد، وجعل جزاءهم أن أنجاهم في قلة قليلة، وأهلك غيرهم، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (هود: ١١٦)، والنتيجة المرجحة لمن ترك الفساد أن تكون له العاقبة في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

حين تضعف الديانة تضيع الأمانة، وتظهر الخيانة، وتباع الذمم، وتسترخص أرواح الناس، وتستباح حقوقهم، وينتج عن ذلك فساد الأحوال، وتأخر العمران، وتقهقر الحضارة، إذ يسود أهل الجهل والغش، ويؤخر أولو العلم والنصح، وذلك من أمارات الساعة، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨).

والأمانة تشمل كل أمانة دينية ودنيوية، ومادية ومعنوية، وأي تقصير فيها وتلاعب بها هو نوع من الفساد، قلَّ أم كثر ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥).

وفي الفساد المالي قال الله- جل شأنه- في أمر قارون الباغى بماله: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، وصدق الله الكريم حين مآل الفساد بضيق المعاش وقلة الأرزاق، ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

ولقد ذم الله- جل ذكره- الفساد السياسي، وجعل عاقبته إلى اضمحلال، فقال تعالى: ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤).

وفي الفساد الأمني توعد الله عز وجل من يسعى لإخافة الخلق وقطع طرقهم وبث العداوة بينهم بالعقاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



في هذا العدد

موضوع الغلاف



جاء الإسلام منذ بزغ نجمه حربياً على الفساد والمفسدين في شتى مجالات الحياة العقائدية والسياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها، والمسلمون اليوم في أمس الحاجة للتخلص من كل أشكال الفساد التي تقف عائقاً في طريق نهضتهم المنشودة.



١٠ ترشيد السلوك في استخدام الفيسبوك



٨٦

مسجد حسان في رباط الفتح



٢٧

الفساد المالي .. أسبابه وصوره وعلاجه

التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس: ٢٤٨٣٩٤٨٧

التوزيع

الأسعار

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٧ ريالات ● البحرين: ٥٠٠ فلس ● قطر: ٧ ريالات ● الإمارات: ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن: دينار واحد ● مصر: ٢ جنيه ● السودان: ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا: ٢٠٠ أوقية ● تونس: ٢ دينار ● الجزائر: ١٠ دنانير ● اليمن: ٧٠ ريالاً ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سورية: ٣٠ ليرة ● المغرب: ١٠٠ دراهم ● ليبيا: دينار واحد ● أوروبا: ١,٥ جنيه استرليني أو مايعادله ● أميركا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادله.

● السودان: الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧ (٠٠٢٤٩) ● اليمن: دار القلم للنشر - ف: ٤٦٩٤١٥ (٠٠٩٦٧١) ● لبنان: شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩ (٠٠٩٦١١) ● سوريا: دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ● الأردن: عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١ (٠٠٩٦٢٦) ● مصر: القاهرة - شارع الجلاء - رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ● المغرب: الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتيق زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان سانس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء: ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ● المملكة المتحدة: لندن - شركة يونفرسال - ت: ٢٠٨٧٤٢٣٣٤ (٠٠٤٤) ● مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ● الإمارات العربية المتحدة: ت: ٢٦٨٢٥٣ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع ● المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ● سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العنابية - رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠ (٠٠٩٦٨) ● قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠ (٠٠٩٧٤) ● مصر: مؤسسة العطاء للتوزيع ● ليبيا: مؤسسة العطاء للتوزيع ● السودان: ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا: ٢٠٠ أوقية ● تونس: ٢ دينار ● الجزائر: ١٠ دنانير ● اليمن: ٧٠ ريالاً ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سورية: ٣٠ ليرة ● المغرب: ١٠٠ دراهم ● ليبيا: دينار واحد ● أوروبا: ١,٥ جنيه استرليني أو مايعادله ● أميركا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادله.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي العدد ٥٥٢ شعبان ١٤٣٢ هـ العام الثامن والأربعون يوليو - ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خديري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي صندوق البريد: ٢٣٦٦٧ - الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩ للإعلان: ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١ البريد الإلكتروني: info@alwaei.com manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة

إعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

المحتويات

الاقتراحية/	٣
كلمة العدد/	٥
حوار/ الدكتور محمد سليم العوا: ثلاثة تحديات أساسية تواجه العرب ٢/١	٦
القضايا/ الأزهر بين الانفراد والتجديد	٩
إعلام/ ترشيد السلوك في استخدام الفيسبوك	١٠
استشراق/ بداية الاستعراب ونهاية الاستشراق ٤/٤	١٢
حديث/ بركة وخيرية السنة المطهرة	١٤
حضارة/ نحو تفسير حضاري للقرآن الكريم	١٦
ملف العدد/ الفساد آفة الأمم (مقدمة)	١٨
ملف العدد/ الأولوية الشرعية لتطهير البلاد من الفساد	١٨
ملف العدد/ العدل الطريق الأمثل للقضاء على الفساد	٢٠
ملف العدد/ الإسلام والأمن المجتمعي	٢٤
ملف العدد/ الفساد المالي .. أسبابه وصوره وعلاجه	٢٧
ملف العدد/ دور الوعي الإسلامي في مكافحة الفساد	٢٨
ملف العدد/ مسؤولية الإعلام عن تخلف الأمة	٣١
دراسات/ الثبائية في زكاة مال الصبي والمجنون ومن في حكمهما	٣٢
دراسات/ إحياء الواجب الكفائي والعيني طريق لإقامة مجتمع العمران	٣٦
دراسات/ المعايير الخلقية والمهنية للصيدلاني في التراث الإسلامي	٤٢
دراسات/ ولاية التعليم في عصر النبوة والرسالة ٢/١	٤٦
ضوابط النشر.	٥٠
ملف الأدب/ مشروع الذاكرة المعرفية	٥١
ملف الأدب/ حينما تستحيل الرموز الصامتة إلى أصوات تركز	٥٢
ملف الأدب/ دعوة سعد (قصة)	٥٣
ملف الأدب/ كناسة الشعر وميليشيات الحداثة	٥٤
ملف الأدب/ في رثاء الشيخ بداه بن البوصيري (شعر)	٥٧
ملف الأدب/ دور الأدب المقارن في عالمية الأدب العربي	٥٨
ملف الأدب/ حوار د. جابر قميحة: الأدب الإسلامي ولد في أحضان الأدب العربي	٦٠
ملف الأدب/ رسالة دكتوراه (إسهامات العلماء الكرد في خدمة اللغة العربية)	٦٢
أبناء الكتيب/ الخداء كتاب جديد يفضح الأساطير	٦٣
ملف الأسرة/ الأسرة البديلة (مقدمة)	٦٧
ملف الأسرة/ البيت أساس العملية التربوية	٦٨
ملف الأسرة/ حق يطالب به الأبناء	٦٩
ملف الأسرة/ فن السعادة الزوجية	٧٠
ملف الأسرة/ المراهقة والمراهقون	٧٢
ملف الأسرة/ سيدة نساء العالمين النموذج الأمثل للزوجة المثالية	٧٤
ملف الأسرة/ حوار مع خالد كمال	٧٦
ملف الأسرة/ نفسية البنات	٧٩
أحكام/ كيف تعود ثقة الأمة في الوقف؟	٨٠
أعلام/ الشيخ هشام الحمصي خطيب الأدياء وأديب الخطباء	٨٣
منارات/ مسجد حسان في رباط الفتح (المغرب)	٨٦
فتاوى	٨٨
التميز	٩٠
جديد العلوم والمعرفة	٩٢
بريد القراء	٩٤
ينابيع المعرفة	٩٦
مسك الختام/ المنهزمون	٩٨

كلمة العدد

تحويل القبلة... رسالة إلى الإنسانية

يصدر هذا العدد مع إطلالة شهر شعبان الذي حولت فيه القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام .. حيث فيه الكعبة التي أرسى قواعدها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وكان هذا التحويل بمثابة امتحان كبير محص الله فيه القلوب ليعلم المؤمنين الصادقين من الذين زاغوا عن جادة الحق والصواب ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه .. ﴾ البقرة من الآية -١٤٣- ، وإذا كان هذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام له دلالات ومعانٍ عديدة فإن أبرز هذه الدلالات هو التأكيد على أن دين الإسلام هو خاتم الرسالات ودين الإنسانية جميعاً إلى قيام الساعة. وعلى أتباع الأنبياء جميعاً أن يتجهوا نفس التوجه لأن الكون كله لله شرقيه وغربه وشماله وجنوبه وهو من يملك توجيه الناس إلى أي جهة يشاء ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم ﴾ البقرة من الآية -١٤٢-

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧، دنانير. للمؤسسات ١٥ ديناراً كويتياً
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ ديناراً كويتياً (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ ديناراً كويتياً (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

ثلاثة تحديات أساسية تواجه العرب (٢/١)



القاهرة - دار الإعلام العربية

كاتب ومفكر إسلامي له مكانته وثقله العلمي والفكري في العالم أجمع.. وله أيضاً رؤيته وتفسيره وتحليله للأمور بنظرة ثاقبة تنم عن وعي متقد، وفهم راق لأصول الدين ومستجدات الحياة.. وبخبرته القانونية يستطيع أن يزن الأمور جيداً ويستخلص منها النافع والضار دون أن يحابي أحداً على حساب ما يعتقد ويدين به، في الوقت نفسه لا يمنح الفرصة لغيره أن يقيم عليه الحجة، نظراً لما يتمتع به من كياسة عقل وسرعة بديهة وغزارة في العلم وطلاقة في اللفظ.. هذا هو د. محمد سليم العوا الذي جعل من نفسه حارساً على بوابة العقيدة يدافع عنها ويذب عن حياضها، الأمر الذي أكسبه كثيرين وأفقدته أيضاً كثيرين.. «الوعي الإسلامي» التقت د. العوا في حوار ثري نتعرف إلى تفاصيله في الصفحات التالية:

النقاشات الفكرية والثقافية على الإنترنت تتراوح بين الإيجابية والسلبية

العلم الفقهي، وعملية الاجتهاد نفسها تحتاج إلى قدر كبير من المعرفة الدينية لا يجوز بغيرها أن يتجرأ إنسان على قول هذا جائز وهذا ممنوع، وتتطلب هذه العملية في المجتهد شروطاً كثيرة مفصلة في الكتب، لكن الاجتهاد في مسألة جزئية سياسية كانت أو اقتصادية أو غير ذلك أمر مسموح به لأهل الاختصاص بنية الإصلاح، وكل إنسان يقدم ما يراه صالحاً أو يمنع ما يعتقد بفساده.. المهم في الحياة السياسية أن تكون العبرة برأي الناس لا بما يقوله السياسي، وهذا ما يطلق عليه «مبدأ الشورى» سواء كانت عامة لجميع الشعب أو خاصة بفتة معينة.

فرق بين إنسان وآخر بحسب عقيدته، إنما بحسب فائدته للإنسانية، وهذا ما أبينه وأحاول أن أتخذه مبدأً لي دوماً، وهو العمل من أجل الصالح العام على اختلاف المكان والزمان لمجرد أنه يفيد الإنسان ولا يخص أحداً دون آخر.

الاجتهاد السياسي

• **نعيش حزمة من التغيرات الاجتماعية تتطلب قدراً من الاجتهاد السياسي.. برأيك ما حدود هذا الاجتهاد وضوابطه؟**

الاجتهاد السياسي بمعنى النظر فيما يصلح شؤون الناس مسموح به للمؤهلين من أهل العلم السياسي وأهل

• للنشأة دور مهم في صياغة شخصية وفكر أي إنسان.. فكيف كانت معك؟

أظن أن العوامل الأساسية فيما أصبحت عليه الآن تعود إلى طفولتي ونشأتي العائلية التي كانت نشأة دينية وملتزمة ومحافظه، يقترن فيها العلم بالعمل، وليس مجرد التعبد كثيراً، وفي هذه البيئة العلمية الدينية التي نشأت فيها وفقني الله أن أجد علماء أجلاء تعلمت على أيديهم على الدرب نفسه الذي نشأت وتربيت عليه على يد والدي رحمه الله، وكان التعامل بعد ذلك في مرحلة الشباب وما بعدها إلى اليوم هو تعامل عام مع الأمة كلها، لا

عليه العلماء»، فما ليس محل إجماع نترك الناس فيه وما يدينون، وتدعوهم إلى الدعوة العامة التي هي ضد الظلم والقهر والفساد المالي والاجتماعي والإداري، وضد التبعية المطلقة للغرب، وهذه دعوة عامة يقبلها الناس ولا يرفضونها ويعرفون أنها من صميم دينهم.

• وهل ترى أزمة العرب الثقافية أزمة نخب أم أفراد؟

هي أزمة الاثنين معاً، فالنخبة تعيش في أبراج عاجية وتناقش قضايا لا يفهمها غيرهم، والأفراد منصرفون عن المسائل الثقافية كلها ومشغولون بلقمة عيشهم أو تنمية ثروتهم، وهاتان الأزماتان مهمتان، ولا بد أن تعي النخبة قضايا الوطن وتقوم بتوعية العامة، وفي المقابل لا بد أن يعي العامة أن من يكلمهم هذا الكلام يريد الخير لهم.. لكن طالما بقيت هذه الفجوة بين الاثنين فالأزمة مشتركة.

العلمانية

• نتحول إلى نقطة أخرى.. حيث يدرك الجميع إنصاف شريعتنا للمسلمين وغيرهم، فلماذا يلتفت البعض صوب العلمانية؟

إذا أردنا أن نأخذ الحالة المصرية كمثال، فغير المسلمين لا يلجأون إلى العلمانية إنما يلجأون إلى الكنيسة، ويرتبطون بها ارتباطاً عضوياً، وأنا أقبل هذا الارتباط ولا أرفضه؛ لأن مما حفظته لنا الشريعة أن لهم في دينهم شأنهم الشخصي ولا نتعرض لهم، لكن القانون العام المطبق في البلد يجب أن يكون على الجميع، سواء كان مصدره الشريعة أو الفكر البشري أو

العمل للصالح العام مبدئي مهما اختلف المكان أو الزمان

الإسلامية؟

المشهد الثقافي العربي هو هو منذ خمسين عاماً مضت، صراع بين المدافعين عن الهوية الإسلامية والعربية، وبين الذين يريدون أن يسلبوا هذه الأمة من هويتها سلخاً تاماً، حتى يقوموا بإلغاء هذه الهوية إلغاء لا رجعة فيه.. وأعتقد أن هذا المشهد قد يستمر سنوات طويلة على هذه الحالة؛ لأن القوى الإسلامية الفكرية تعيش صراعاً غير محمود، فلو أن هذه القوى موحدة على الأقل فيما يدعى الناس إليه لا فيما يلتزمون به لكان الموقف الإسلامي أقوى من ذلك. والخلاصة أن المشهد الثقافي العربي سيظل كما هو فريق متمسك بالهوية العربية الإسلامية ويدعو لها، وفريق محارب لها يتمنى زوالها من الوجود تماماً.

• وكيف يتم تفعيل هذا المشهد بما يفيد الأمة العربية والإسلامية؟

أدعو العاملين في الدعوات الإسلامية والحركات الإسلامية كافة أن يفرقوا بين الخطاب الخاص لجماعة الدعوة، والخطاب العام لجموع المسلمين، فالخطاب العام للمسلمين أننا نقبل من الناس ما قاله العلماء على مر العصور، أنه يقبل منهم ما يصح به إيمانهم.. وكما قيل «لا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا ما أجمع

• هذا ينقلنا إلى خطورة التكوين قبل التعليم الكافي ومتى يبدأ الكاتب في التدوين؟

التعليم أمر ضروري وهو أمر مستمر، والإنسان يكتب ويتعلم، ويتعلم ويكتب، فهي حلقة مستمرة لا تتوقف، وأرى أن الإنسان لا يبدأ في عرض أفكاره على الناس إلا إذا بلغ مرحلة من النضج التي كان يسميها علماءنا القدامى «الإجازة»، أي يقول له شيخه أو معلمه إن كلامك يستحق العرض على الناس، أما إذا عرض كلامه قبل ذلك فأمر غير مستحب قد يضطر بعده إلى الاعتذار عن بعض كتاباته بعدما يتبين خطأها.

• هل ترى أن ما يكتب ويسجل على صفحات الإنترنت في المدونات وغيرها ساهم بشكل أو بآخر في صياغة العقل العربي والإسلامي؟

هي تساهم الآن، لكن قبل ذلك لم يكن لها دور، وهي الآن تساهم في صياغة وعي الشباب على وجه الخصوص، وهذه المساهمة منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي.. فالسلبي أن كثيراً ممن يكتبون على صفحات الإنترنت ليس لديهم جديد يقدمونه، فيقدمون أفكاراً فجوة ومعلومات غير صحيحة وألفاظاً غير دقيقة، فيفرق الشباب في مناقشات حول هذه الأشياء تؤثر عليهم بالسلب.. أما الإيجابي أن بعضهم يكتبون بطريقة جيدة ويتعلمون حتى يبلغوا درجة معقولة من الحكمة، ومن ثم يناقشون قضايا جادة، وهم بهذه الوسيلة الحديثة يقدمون فائدة كبيرة.

صراع غير محمود

• المشهد الثقافي العربي.. إلى أي مدى تراه مبتعداً عن الهوية

لذلك أخشى على السودان كثيراً .

• وما المخرج برأيك؟

أن تبدأ الحكومة السودانية فوراً في ترميم العلاقات الشمالية الجنوبية؛ لأن ما أتوقعه أنه لن تمر فتره طويلة إلا ويشعر الجنوبيون أن الانفصال كان خطأً، فإذا شعروا بذلك ولم يكن لدى الشمال القدرة على استعادة اللحمة بين الشمال والجنوب، سيتوجه هذا الشعور لصالح دول أخرى، ولولايات أخرى غير عربية، وربما غير إفريقية، علماً بأن الجنوب مليء بالثروات، وإذا لم يستطع الشمال أن يمد يده إليه ويبني جسور التواصل الفعال الصحي فسوف يزيد الخطر أكثر وأكثر .

اقرأ في الجزء الثاني من الحوار مع د. العوا

يوصل المفكر الإسلامي محمد سليم العوا، في الجزء الثاني من حوار مع "الوعي الإسلامي" مناقشة أبرز القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة الإسلامية والثقافية العربية حالياً، متطرقاً في هذا الصدد إلى رؤيته للعلاقة بين الدين والسياسة، وهل تراجعت التيارات الإسلامية عن فكرة الخلافة؟ وهل عليها أن تعيد ترتيب أفكارها وبرامجها؟ ولماذا تسعى هذه التيارات إلى تشكيل أحزاب بهوية إسلامية بعد أن كانت بعيدة عنها؟ وكذا الموقف من ترشيح المرأة وغير المسلم لتولي مقاليد الحكم في بلد مسلم.. كما يتحدث عن الاشتراق وعن الخطر الحقيقي الذي يهدد الأمة الإسلامية حالياً، إلى غير ذلك من التفاصيل.. انتظروها في الجزء الثاني والأخير من الحوار في العدد المقبل بإذن الله .

غير المسلمين يتخذون من العلمانية ذريعة للهرب من سلطتهم الدينية

باليابان أو كوريا، وكيف وصلت صناعة التكنولوجيا فيها حتى أصبحت تصدر خبراء التكنولوجيا الحديثة إلى العالم كله، وأصبح أفضل مبرمجين من الهند، وأفضل من يعمل في «الهاردوير» أيضاً من الهند .

أيضا أزمة الفكر وهو مرادف أيضا للثقافة، فالفكر لا ينتج في فراغ، إنما يحتاج إلى تفاعل اجتماعي وسياسي حتى ينضج، وإذا غاب هذا التفاعل أو صار من طرف واحد لا يكون هناك فكر؛ لأنه نتاج تضايف عوامل صناعية وزراعية واقتصادية وأسرية ودينية متجانسة، فإذا غاب هذا التفاعل- وهو بالفعل غائب- يصبح الفكر ترغفاً .

• إذا تحدثنا عما تعانیه بعض

الدول العربية ونأخذ السودان مثالا.. نجد أنه بعد التقسيم شمالا وجنوبا وأزمة دارفور.. هل مازال هناك خطر آخر يحيط بهذا البلد الشقيق؟

السودان يعيش خطراً كبيراً إذا استقرت قاعدة الانفصال بين الشمال والجنوب التي أقرها الاستفتاء الأخير، وهو في خطر أيضاً إذا استمرت الأزمة في دارفور، فبعد دارفور سوف تأتي قبائل البيجا في الشرق لتطالب بالانفصال، وبعدها تأتي كوردوفان في الغرب لتطالب بالمثل، وهذه كلها مناطق الاشتعال فيها قائم لكنه غير معلن؛

خليطاً بينهما، ومن يلجأ إلى العلمانية من غير المسلمين يكون بهدف الخروج من حصار الكنيسة وليس مواجهة الإسلام .

• لكنهم بالفعل يقصدون مواجهة الإسلام؟

يقولون بالعلمانية في مواجهة الإسلام لظنهم أن المسلمين يعودون بهم إلى عصور قديمة مضت، كمسألة الجزية أو الذمة، وهذه حجة لا أساس لها من الصحة، فهم لا يريدون التخلص من المسيحية إنما يريدون التخلص من سلطة الكنيسة، ويتخذون العلمانية ذريعة لذلك .

• ولماذا يلجأ إليها المسلمون؟

كنوع من التقليد المحض الذي ليس له شأن ببلادنا؛ لأننا لم نعان مما عاناه الغرب من سلطان الكنيسة، فقد كان هناك ظلم يمارس باسم الدين، أما نحن فالظلم والقهر لم يكن مرتبطاً بالدين؛ لذا الاستقاء مختلف تماماً .

ثلاثة تحديات

• برأيك.. ما أهم التحديات التي تواجه الوطن العربي؟

هي ثلاثة تحديات أو أزومات أساسية، أولها أزمة الديكتاتورية، وما لم يستعد العرب حريتهم فإن طريق التقدم يظل بعيداً بقدر ما تبعد عنا حقوقنا في الحرية والحياة المستقرة الهادئة بلا قهر، كما يوجد أيضا أزمة اقتصادية يعاني منها غالبية العرب، وهذه المشكلة ليست قاصرة على قلة الدخول إنما على عدم وجود إنتاج حقيقي، إنتاج صناعي وزراعي وتجاري، فنحن نريد أن يصبح الاقتصاد العربي اقتصاداً مؤثراً في العالم كله، ولا يكون ذلك بالنفط فقط . وأضرب لك مثالا بالهند وليس

الأزهر.. بين الانفراد والتجديد

هدى الكاشف



إلى مستويات لطالبات العلم، فمنهن من تتعلم للثقافة الدينية والتعليم الشخصي، وأخرى يمكن تكثيف الدراسة لهن على حسب القدرات لكل منهن، حتى يتم تخصيص عناصر نسائية متفوقة تتكفل بالتدريس في هذه المراكز للطلبة، فيتم الاكتفاء الذاتي لجميع المراكز مع تفضيل أن يقوم بالتدريس في هذه المراكز النساء فقط، وبالتالي يتكون لدينا قاعدة هائلة من المدرسات الواعيات والمسلمات الواعيات لقرآنهن وأمور دينهن.

وبذلك يتم التخلص من ظاهرة الاحتياج الدائم في بيوت المسلمين إلى من يعلم أبناءهم وخاصة البنات تلاوة القرآن وحفظه وتعليم أمور الدين المختلفة، فيلجأ البعض لاستقدام شيخ بالمنزل أحياناً بضوابطه الشرعية والتي تترك نظام الأسرة، وأحياناً أخرى بدون ضوابط شرعية لمن لا يعلم أصول دينه، وبيوت أخرى تياس من تعليم أبنائها عندما تمل البحث عن المعلمات من النساء فلا تجدهن، لقلة عددهن أحياناً أو لتكلفتهم الباهظة على احتياجات الأسرة.

لذا فإنني على أتم الاستعداد لمناقشة هذا المقترح والمشاركة في تنفيذه بخطة ودراسة وافية مع فضيلة شيخ الأزهر الحالي الدكتور الطيب، وكذلك تقديمها لأي من هيئات أو منظمات أو رابطات العالم الإسلامي التي تتبنى هذا المقترح وتنفيذه داخل مصر أو خارجها، وبالتالي تعود للمسلمين وخاصة النساء الريادة بين نساء العالم فلا يتعرضن لغزو العقول بطوفان العولمة أو غيرها، فيتحولن لخير سفراء للدين الإسلامي.

والتجويد، وحفظه في دورة زمنية محددة، وتعليمهن بطريقة مبسطة أمور دينهن الحياتية فيما يتعلق بالطهارة، والعدة، والرضاعة... وغير ذلك من فقه النساء المفتقد لدى الكثير من المسلمات.

وذلك عن طريق إنشاء مراكز تابعة للأزهر الشريف في كل منطقة داخل محافظة القاهرة وباقي محافظات الجمهورية، وتعميم وجودها أيضاً خارج مصر، بحيث يكون نظام الدراسة في هذه المراكز غير خاضع لأي شروط من سن أو مؤهل علمي أو حتى جنسية، أو غير ذلك، ويكون ذلك بمقابل مادي رمزي، فقط لضمان جدية الاستمرار، وكذلك تخصيص قسم في هذا المركز لتعليم الأجانب اللغة العربية من خلال تعليمهم أحكام تلاوة القرآن وتلاوته وتجويده.

وقد ثبت لي من خلال عملي كباحثة، وداعية إسلامية، ومحكم مسابقات القرآن الكريم، والقيام بتدريس أحكام تلاوة وتجويد القرآن الكريم للعرب والأجانب أن هذه أسرع طريقة لتعليم الأجانب اللغة العربية، والتي تسبق بكثير في سرعتها وإتقانها تعليمهم لها من خلال قواعد النحو والصرف.

كما تتدرج الدراسة في هذه المراكز

حظيت مصر الكنانة منذ أكثر من ألف عام باحتضان كعبة العلم في أكبر هيئة إسلامية على وجه الأرض ممثلة في الأزهر الشريف، حافظاً للعلم الديني الإسلامي وشريعته ووسطيته، بعيداً عن التحريف والتعصب وتأويل المبطلين، بضوابط اجتهادية جماعية، من صفوة علماء الأمة إخلاصاً وعلماً، لذلك ظل وسيظل تهوي إليه أفئدة كل مسلم يبحث عن دينه الحق، لقيادة كافة آفاق الحياة اليومية العلمية والعملية.

ولأن الأمة الإسلامية كتب لها المولى عز وجل البقاء والخيرية والجهاد بقوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١١٠)، وقد خص أهل مصر بأنهم في رباط إلى يوم القيامة.

وحتى نتنافس جميعاً كأزهريين لا يبد أن نتسابق لخدمة الإسلام وتقديم فكره الوسطي النقي، في تبني صريح لخدمة قضايا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فتعود للأزهر مكانته الرائدة في قيادة مواكب العلم والنور في مصر والعالم.

ولذلك فقد وفقني المولى عز وجل بمقترح دراسة سبق وقدمتها لفضيلة الشيخ طنطاوي - رحمه الله - شيخ الأزهر السابق قبل سفره الأخير لحضور فعاليات احتفالية جائزة الملك فيصل العالمية في العاصمة السعودية الرياض والتي وافته المنية خلالها.

وتتلخص دراستي هذه في محاولة عملية لتعليم نساء المسلمين تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة شاملة أحكام التلاوة

داعية وباحثة إسلامية

ترشيد السلوك في استخدام «الفيسبوك»

د. ناصر أحمد سنة

باتت وسائط الاتصال الحديثة، بآلياتها وبرامجها، أمراً واقعاً، معاشاً ومشاعاً ومترادفاً، كما بات استخدامها - خيراً أو شراً، إيجابياً أو سلباً - ينعكس أيضاً بالقدر نفسه على الفرد والأسرة والمجتمع والوطن، بل الإنسانية جمعاء، ليس أدل على ذلك الأحداث والتغيرات والتوابع المتلاحقة، التي نشهدها حالياً، على الصعيد المحلي والوطني والإقليمية والعالمية كافة، فكيف يمكن تلبية الحاجة الملحة إلى «إعادة النظر»، وترشيد السلوك في استخدام برامج التواصل الاجتماعي، كالفيسبوك والتويتر، وغيرها بما ينفع ولنا يضر؟

أدوات التقنية الحديثة، كالتلفاز، وفضائياته، والخلوي (الجوال)، والحاسوب، والإنترنت... إلخ أدوات محايدة. وهي تنصاع حسب توجهات وأهداف من يقوم باستخدامها وتوظيفها.. إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وفي عصر الإنترنت وشيوع استعمال المواقع الاجتماعية ك«الفيسبوك والتويتر» حل محل وسائل النشر والمكاتب التقليدية التي تعتمد على الإيجاز والاختصار، وسرعة وعموم النشر الإلكتروني، وتأثير الصورة، واجتياز الموانع الرقابية السائدة في النشر الورقي، كما ساعدت شبكة «الإنترنت» ليس فقط في نشر «ثقافة النخبة»، بل إنها ساعدت أكثر من أي وقت مضى في نشر «الثقافة الشعبية»، حيث نما الانتشار «التشابكي» بين أناس من مختلف الأجناس والأعراق والأطياف والثقافات، إن بذواتهم وأسمائهم الحقيقية أو بأخرى مموهة أو مزيفة أو مستعارة. وفي شرعنا الإسلامي الحنيف، وهديه الذي يظل حياة المسلم بسياج من الهدى والتقوى والإخلاص والصلاح والإصلاح، قاعدة: «دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة»، ولقد أمست الجهود مُنصبة على «دفع ضرر» وسائل ووسائط

الاتصال والتواصل الحديثة، والعمل على تعظيم منافعها (انظر مقالات لكتاب هذه السطور: «في أدب الرسائل.. ورسائل الجوال»، مجلة الوعي الإسلامي: ٤٩٩، ربيع الأول ١٤٢٨هـ - مارس ٢٠٠٧م، ص ٦٠-٦١، وله أيضاً: «الحب الإلكتروني»، مجلة الوعي الإسلامي: ٥٣١، ذو القعدة ١٤٢٠هـ - نوفمبر ٢٠٠٩م، ص ٥٩، كذلك: «أخلاقيات الجوال»، مجلة الوعي الإسلامي: ٥٤٠، شعبان ١٤٢١هـ - يوليو- أغسطس ٢٠١٠م، ص: ٧٠-٧١، الكويت).

لللمعة، ورقية أو الكترونية، مكتوبة أو مقروءة، منطوقة أو مسموعة... إلخ، في هدي الإسلام قرآناً وسنة، فقه وأمانة ومسئولية، لا بد من الوعي والدراية بالكلمة، وأين سيقع أثرها وتأثيرها؟، الوعي بالغاية منها أن تكون عنواناً وهوية وبعثاً مخلصاً لله تعالى، ثم لكل ما سواها من أفعال ومنطلقات، لقد كانت الكلمة عنوان الإسلام، بل عنوان الإيمان، تأمل كيف كان أبوطالب مقراً بأفضلية دين محمد ﷺ لكنه لم يعلن كلمة التوحيد، فقال له النبي ﷺ وهو على فراش موته: «يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» (صحيح البخاري)، لكنه لم يقلها، فكان الفيصل بين موتٍ على الحق

وموت على الباطل كلمة التوحيد. الكلمة هي ميراث النبوة، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا هذه الأمانة العظيمة التي ثقلت على السموات والأرض والجبال، قال الله تعالى عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٨)، فميراث النبوة وميراث أبي الأنبياء.. الكلمة.

لماذا لا تكون الكلمات على صفحات «الفيسبوك والتويتر» وغيرها تبه الغافل، وتعلم الجاهل، وتزجر العاصي، وتصدع بالحق: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤)، وتوقف إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وتأمر بمعروف، وتنهى عن منكر، وتعظ بالحسنى، وتعلم الناس الخير، ولا تكتم العلم، وتحت على طاعة الله تعالى، وتشع بالمنفيد من الكلام الذي يستهض الأمة.. الكلمة الطيبة عنوان العيش الطيب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ فَرْارٍ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٦)، وإن أثر هذه الكلمة الطيبة ليمتد إلى البرزخ والحياة الآخرة حيث يكون التشبث من الله تعالى لعباده المؤمنين بها.

صفحتك على «الفيسبوك والتويتر» تقول للناس حسناً، قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالْقُرْبَىٰ

◀ أكاديمي مصري

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ (البقرة: ٨٣)، وترد بقول سلام عند مخاطبة الجاهلين، يسلم صاحبها من الخطأ والخطيئة، قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣) قال الإمام ابن كثير: ... وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: إذا سَفِه عليهم الجاهل بالسيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥).

الكلمات أمانة صدقاً ونقلًا، إمساكاً ونشرًا، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب

عند الله كذاباً» (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه واللفظ له). ومن أمانة الكلمات على وسائل النشر الإلكترونية: عدم إثارة الفتن (وخاصة الطائفية والعرقية منها)، أو إشاعة الشائعات، أو إذاعة الافتراءات، أو الكذب أو الغيبة أو البهتان أو النميمة، أو التفحش، أو تحقير الناس وازدراءهم والسخرية منهم، أو تتبع عوراتهم، أو إذاعة أسرارهم الخاصة، أو السب والقذف، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وعرضه، وماله» (رواه مسلم).

من ترشيد استعمال صفحات «الفيس بوك والتويتر» أن تتنق بالقول السديد، سبيلاً لصلاح الأعمال، ومغفرة الذنوب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

الكلمات الطيبة على وسائل النشر تقي صاحبها من النار، فعن عدي بن حاتم ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضْ وَأَشَاحْ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضْ وَأَشَاحْ، ثَلَاثًا، حَتَّى ظَنَنْتَا

أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكَلِمَةً طَيِّبَةً» (رواه البخاري)، والكلمة الطيبة صدقة، ففي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى المسجد صدقة» (قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

وإذا ما استوتت الكتابة على «الفيس بوك أو التويتر» وعدمها، أو النطق والسكوت، فالإمساك والصمت أجدى وأنفع، وتبقى الكلمة الطيبة وقول الخير علامة وصفة من صفات الإيمان، فقد أخرج البخاري في الصحيح عن أبي شريح العَدَوِيُّ ﷺ قَالَ: «سَمِعْتُ أُذُنَايَ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ جَانِزَتَهُ، قَالَ: وَمَا جَانِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالصَّيْفَةُ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

فينبغي ألا يتكلم المسلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وظهرت مصلحة، ومتى علم غير ذلك فلا يتكلم، وتبقى الكلمة هي طريق التوبة عند الزلل، قال تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» (البقرة: ٣٧).

جملة القول: مواقع التواصل الاجتماعي، وصفحاته، هي عنوان منهج المسلم في حياته، وخطة رحلته، وسبيل دعوته: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٢٣). وبترشيد استخدام هذه المواقع ومراعاة أمانة الكلمة والصورة المنشورة، تسود الطمأنينة، ويعم الأمن والأمان، وتختفي كثير من المشاكل الفردية والأسرية والاجتماعية والوطنية، بل الإنسانية.



بين الاستشراق والاستغراب أكثر من مجرد فارق لغوي، فمن الناحية اللغوية لأصل الكلمتين تعود الأولى لمادة «ش.رق» بينما تعود الثانية إلى «غ.رب»، إلا أن اللفظين يفصل بينهما عالمان بعيدان، بل متصادمان في معظم الأوقات، وبينما كان ظهور الاستشراق بمفهومه العلمي الذي بين أيدينا مع بداية ظهور شعف الغربيين بالتعرف إلى الشرق وحضارته في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، فإن الاستغراب لا يزال علما حديث النشأة، ويعود إلى تسعينيات القرن الماضي، على الرغم من أن الدعوة إليه بدأت قبل ذلك بنحو نصف قرن.

بداية الاستغراب ونهاية الاستشراق.. من يكتب فصل الختام؟ (٤/٤)

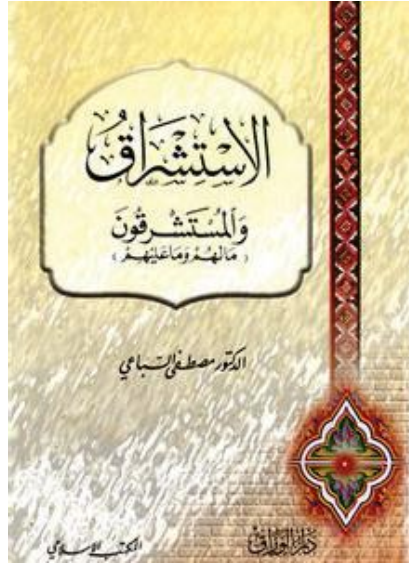
القاهرة - دار الإعلام العربية

كان أول من أطلق الدعوة لتأسيس علم الاستغراب، وكان ذلك خلال أحد مؤتمرات الاستشراق في القرن الماضي، وهي الدعوة التي تلقفها الدكتور حسن حنفي، أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس، الذي قدم كتابه الشهير في هذا الموضوع «مقدمة في علم الاستغراب»، معتبرا أن الهدف من هذا العلم في المرحلة الأولى من تأسيسه هو فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدرّوس، والقضاء في الوقت نفسه على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدرّوس إلى ذات دارس.

تحيزات معرفية

وعلى الرغم من أن بداية علم الاستشراق كانت على خلفية الشعف الغربي بالشرق، كما أن الدعوة إلى تأسيس علم الاستغراب انطلقت من مؤتمر استشراقي، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يتصادم العلمان، بل يعتبر أنصار كل فريق نفسه خصمًا لأنصار الفريق الآخر، ويتهم كل فريق الآخر بالتحيز المعرفي والثقافي، وأحيانًا التطرف الديني، وهي اتهامات لم يسلم منها المسلمون على أي حال، بل لم يتوان المستشرقون عن توجيه هذه الاتهامات القاسية للديانة الإسلامية بأكملها وليس للمسلمين أو طائفة منهم فقط.

وفي المقابل، فإن د.فهمي جدعان،



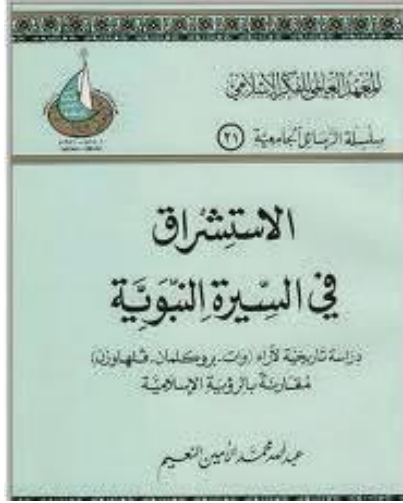
والجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وعلى الرغم من أنه لم يصبح بعد علمًا مستقلا، فإنه يمكن تلمس نقاط تقاطع يلتقي فيها الاستشراق والعلم الذي لا يزال في طور التأسيس وهو «الاستغراب». ولعل د.مازن صلاح، وهو أحد المساهمين في التأسيس لعلم الاستغراب، قد حالفه التوفيق كثيرا عندما وضع يده على أولى نقاط التقاطع بين الاستشراق والاستغراب بقوله: «الدعوة إلى دراسة الغرب وتأسيس علم الاستغراب انطلقت بالأساس من جانب الفريق الاستشراقي، بل بالتحديد فإن «رودي باد» وهو مستشرق ألماني شهير

إذا تجاوزنا التعريفات اللفظية واللغوية للاستشراق والاستغراب معًا، نجد أنه كما كان هناك بون شاسع بين اللفظتين، وهو بون يمتد بامتداد حضارتين وجدنا نفسيهما في حالة صراع معظم الوقت، فهناك أيضًا بون بين مفهوم كلا فريق الاستشراق والاستغراب، فالدكتور أحمد عبد الحميد غراب، على سبيل المثال، يعتبر أن الاستشراق يمثل دراسات أكاديمية يقوم بها باحثون غربيون للإسلام والمسلمين في شتى الجوانب، التي تشمل العقيدة والشريعة والثقافة والحضارة والتاريخ والنظم والندوات، وذلك بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض تبعية الشرق للغرب ومحاولة تبرير هذه التبعية بزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي، ومن داخل هذه المقاربة التي تفترض أن الاستشراق شر كله، يعتبر هذا الفريق المعادي للاستشراق أنه لا يقتصر فقط على ما ينتجه الباحثون الغربيون، بل يلحق به أيضا أي إنتاج فكري يستهدف تحقيق أهداف الاستشراق على النحو الذي بينه الدكتور غراب حتى ولو كان القائم بهذا الإنتاج من أهل الشرق نفسه.

نقاط التقاطع

وفي مقابل ذلك فإن علم الاستغراب هو العلم الذي يهتم بدراسة الغرب من جميع النواحي العقديّة والتشريعية والتاريخية

الاستغراب هو محاولة لفك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر



والاقتصادية.

لم يستنفد أغراضه

وهذا ما يؤكده أيضاً د. أكرم ضياء العمري الذي يقول إن الاستشراق لم يستنفد أغراضه بعد، بدليل أن مؤسسات الاستشراق لا تزال تعمل وتدفع إلى الأسواق مئات وألوفاً من الكتب كل عام، بل إن النشاط الاستشراقي زاد واتسع برغم أن الاسم الذي كان يطلق على بعض مؤسسات الاستشراق تغير، أو حتى تغيرت بعض مناهج الدراسات وأساليبها وطريقة عرضها فيما يتعلق بقضايا الشرق بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة، بل تتم الاستعانة في حالات كثيرة بباحثين عرب ومسلمين يجدون كل الدعم والمساندة المادية والعلمية من المراكز الاستشراقية التي تطلق على نفسها أحياناً مراكز دراسات الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى أو آسيا وشمال إفريقيا أو أي مسمى آخر.

نهاية علم الاستشراق

من ناحية أخرى، فإن كلمة الاستشراق

أستاذ الفلسفة في عدد من الجامعات العربية، يعتبر أن الجانب العربي والإسلامي أيضاً سوف ينطلق في رؤيته للغرب من تحيزات مسبقة، مؤكداً أن العرب أنفسهم بنوا نظرتهم عن الغرب من خلال مواقفهم السياسية، ولم يسعوا إلى فهم الغرب من الداخل.. وهو ما رد عليه د. حسن حنفي بقوله إن دعوته لتأسيس علم الاستغراب لم تنطلق من العداوة للغرب والارتداد عليه، بل قصد بها تحويل مصدر العلم إلى موضوع للعلم، وبالتالي التحرر من عقدة النقص تجاه الغرب في هذا الجانب.

مسار المستقبل

وكما أن النجاح في تأسيس علم الاستغراب سوف يعيد رسم مسار علم الاستشراق نفسه بعد أن يجد المستشرقون أنفسهم ليسوا الوحيدين على الساحة الذين يدرسون الشعوب وثقافتها وعقائدها ونتائجها الفكرية، فإن تأسيس العلم الجديد سوف يطرح بدوره أسئلة حول مستقبل علم الاستشراق نفسه.

وفي هذا السياق يحاول د. محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف المصري السابق، رسم مستقبل علم الاستشراق بقوله إن ما سيحدد مستقبل هذا العلم هو استمرار الغرب في تشبته بمصالحه في الشرق، مؤكداً أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مصالح الغرب واهتماماته، وبما أن الغرب لا يزال مهتماً بمصالحه في البلدان الشرقية ويدافع عن هذه المصالح وهي حقيقة واضحة تؤكدتها جميع الشواهد، فليس هناك أي بارقة أمل تلوح في الأفق توحى بأن الغرب على استعداد للتخلي عن هذه المصالح، ما يعني أيضاً أن الغرب سيظل في حاجة إلى الاستشراق، بل سيزداد إلهام الغرب على المستشرقين ليستمروا في عملهم، ما يعني استمرار الدعم المادي الذي تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة لجهود المستشرقين، وبالتالي فإنهم لن يتوقفوا عن السعي لدراسة الشرق وتتبع كل ظواهره الاجتماعية والثقافية والدينية

أصبحت كلمة سيئة السمعة بل ملوثة، وهو ما أثار فزع عدد كبير من المستشرقين الذين أبدوا مخاوفهم من أن تشهد الحقبة القادمة نهاية علم الاستشراق، وهو العلم الذي اتهم في أكثر من مناسبة بأنه خالف شروط البحث العلمي المستنير، وخضع في معظم الأوقات لاعتبارات سياسية لا تستقيم مع أغراض البحث العلمي، وفي بعض الأحيان كان لعدد من المستشرقين ارتباط بدوائر استخباراتية، ما دفع كثيراً من الجامعات الأوروبية إلى إعادة تسمية أقسامها التي تهتم بدراسة الشرق بأسماء أخرى تبعد عن المسمى المباشر لكلمة «الاستشراق»، لكنها مع ذلك تقوم بالمهمة نفسها من خلال دراسة الشرق والمجتمعات خاصة العربية والإسلامية.

كما لجأت بعض المؤسسات إلى أن تخطط لإنشاء أقسام فرعية لدراسة كل مجتمع من المجتمعات الشرقية على حدة، كحل لهذه الأزمة التي يقول عنها د. محمد خليفة إنها في الأساس أزمة أخلاقية، نتجت عن قبول آباء الاستشراق الأوائل لأن تستخدم نتائج بحوثهم التي من المفترض أنها أجريت بحياد وشفافية بواسطة قوى سياسية استعمارية وقوى دينية تصيرية، وما يؤكد هذا المنحى هو ما تولد عن هذا السلوك الذي اختلط فيه البحث العلمي بالمؤامرات الاستعمارية والتصيرية من صراع ديني حضاري بين الإسلام من ناحية والغرب من ناحية أخرى، وهو صراع اتخذ في كثير من الحالات شكل الصدام المباشر.

وأشار خليفة إلى أن هناك مظاهر أيضاً لهذه الأزمة وهي في الوقت نفسه أسباب لها، مؤكداً أن هذه الأسباب سوف تعجل بنهاية علم الاستشراق، وأول هذه الأسباب التبعية التي يبديها المستشرقون للاستعمار ولحركات التصير والحركة الصهيونية العالمية، إضافة أيضاً إلى سبب علمي ومعرفي آخر يتعلق بتطور العلوم الاجتماعية والإنسانية في الغرب.

بركة وخيرية السنة المطهرة



إبراهيم نويري

ثبت في الصحيحين بأن المتصدق يكون- بمن الله ولطفه- مستروحاً ظل صدقته ونسائمتها اللطيفة يوم القيامة، كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس». قال يزيد: فكان أبو مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة (الألباني)، وقد ذكر النبي ﷺ «أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» (البخاري ومسلم).

مفاجأة أخرى لهذا الحاج حامل الأمانة العظيمة، لكنها مفاجأة أربكته، وفتحت المجال لبعض الهواجس والوساوس لكي تعبت بضميره وبقينه، وقال في نفسه: رجل يبشره رسول الله ﷺ بجنة الخلد وهو يلعب الورق ويزجي وقته في المقهى بلا فائدة!! وبعد تفكير قليل، شابه قدر من التردد والضعف الذي ينتاب البشر عادة في مثل هذه المواقف، عزم على تليغ الأمانة لصاحبها.. فهذا كل ما طلب منه على أي حال!.. لكنه سرعان ما تذكر بعض الآيات التي قرأها في القرآن الكريم، تلك التي ترشد إلى أن الاكتفاء بالحكم على المظاهر وحدها إنما هو خطأ فاحش؛ فأهل النار. مثلاً. عندما دخلوها صرخوا متسائلين كما قص علينا القرآن: «وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار. أخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار» (ص: ٦٢-٦٣).. والله عز وجل أخبرنا أيضاً بأن أمر الجنة والنار والجزاء والعقاب يعود إليه وحده سبحانه، كما في قوله عظم في علاه: «ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً» (مريم: ٧٠).. دخل الحاج بهو المقهى بخطى وثيدة متثاقلة

في منى!!.. حينئذ قرر هذا الحاج أن يعرض ما رآه في منامه على بعض أهل العلم، في مكة المكرمة، فنصحوه بأن هذه الرؤيا وفق الصفة المذكورة إنما هي أمانة، ويجب عليه أن يبلغها لصاحبها فور عودته إلى الجزائر.. مرت أيام قليلة بعد ذلك، عاد خلالها هذا الحاج إلى بلده، وبعد لقائه بالأهل والأقارب والخلان الذين جاءوه بباركون له ويهنئونه على أداء مناسك الحج والعودة بسلام وصحة وعافية.. عزم على السفر إلى مدينة الرجل الذي بشره رسول الله ﷺ بجنة الرضوان، ولما وصلها شرع يسأل الناس لعله يجد من بينهم من يعرفه ويبدله على مقر سكناه؛ وكانت المفاجأة الأولى أن أول من ألقى سؤاله عليه على صلة وطيدة بالرجل الذي يبحث عنه، فدل على عنوان بيته، فوصله بعد دقائق، دون عناء، قرع الحاج على الباب وهو يتلطف لرؤية هذا الرجل، صاحب «البشرى العظيمة»، لكن أهل البيت أخطروه بأنه غير موجود في البيت، وأنه في المقهى القريب من المنزل يلعب الورق ويسمر مع بعض ندمائته وأصحابه، وهذه

إذا كان ما ثبت هنا متعلق بثمرات الصدقة في الآخرة.. فإن البشرى بما يترتب على الصدقة وإغاثة الملهوف والمساعدة بالخيرات، قد تعجل لبعض الناس في الدنيا، بطريق أو آخر، فيلمسون أثر ذلك في البركة التي تغشى حياتهم، وتحتوش أعمالهم. ولا بأس في هذا المقام أن أسوق هذه القصة المؤثرة جداً للاعتبار والعمل، وشحن الإرادة بحوافز مسائل الخير، وهي قصة رواها أحد الدعاة على لسان حاج جزائري حج قبل سنوات.. فقد حدث بعد الوقوف بعرفة، والنزول بمنى لرمي الجمرات، أن هذا الحاج، ومع اقتراب الفجر، إذا به يرى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له «أذهب إلى فلان (ويذكر اسمه) في مدينة كذا، بالجزائر (ويذكر اسم المدينة) وأخبره بأن رسول الله يبشرك بالجنة (أجل بالجنة)!!.. نهض هذا الحاج من نومه مذعوراً، لكنه كتم الأمر وجعله بينه وبين نفسه.. لكن حدث بعد ذلك أمر غريب.. أطاش عقله وأدهب توازنه.. لقد تكررت الرؤيا ذاتها، في الليلة الثانية.. ثم في الليلة الثالثة

♦ كاتب جزائري

وصارت روحه الطاهرة
تمرح في ملكوت ربه جل
في علاه؛ والمثال الصريح
والمباشر في دلالته على
هذا المعنى، الحديث
الصحيح الذي رواه الإمام
مسلم في صحيحه: «إذا
مات ابن آدم انقطع عمله
إلا من ثلاث، صدقة
جارية، أو علم يُنتفع به، أو
ولد صالح يدعو له».

لاريب في أن الأمة
الإسلامية والأجيال
المسلمة الصاعدة الواعدة،
لا، ولن، وهيئات أن ينصلح

أمرها ويستقيم سيرها، في التربية
والتعليم والاجتماع والسياسة والسلم
والحرب والعلاقات الإنسانية، وفي كافة
آفاق مجالات الحياة.. إلا إذا رجعت لهذه
السنة المطهرة، تأخذ من آدابها المشرفة،
وعظاتها، النفاذة وتوجيهاتها الحية، أي
تتعلم من سيرة نبيها، وتستلهم منهجه
ومسالكه، وتستهدي بتعاليمه وتصرفاته
وحكمته، في شتى صُعد الحياة وما يطراً
فيها من متغيرات ونوازل واستشرافات
مستقبلية.

أجل لا يتحقق لهذه الأمة وأجيالها
وشعوبها شيء، إلا إذا التفتت على هذا
المنهج التناف الكواكب الصغيرة على
أعظم كوكب وأكثرها إضاءة وإشراقاً،
فهذا الأمر ينبغي أن يكون من المسلمات
التي تنأى عن كل جدال أو مباحة.

فمنشئ هذه السنة العطرة صاحب
قلب تناهت إليه كل أمجاد الفطرة
الإنسانية الصحيحة، فأضحى زهرة
تفوح بأريجها وخيرها وبركتها.. لا
يدركها ذبول ولا يخبو لها سنا مع كَرِّ
الأيام والدهور.. وسر ذلك أنها من غرس
الله.. لتكون رحمة للعالمين.. إلى أن يرث
الله الأرض ومن عليها وهو سبحانه خير
الوارثين.



قال: قال النبي ﷺ: «الساعي على
الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل
الله» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما
من رواة الحديث). يقول هذا الحاج أن
صاحبه هذا لم يدخل المقهى منذ تلك
اللحظة المباركة، وداوم بعد ذلك على
صلاة الجماعة، إلى حين وفاته.. لقد
عاش مَد أن تناهت إلى سمعِهِ تلك
البشرى العظيمة، التي يرتقبها كل مؤمن
بالله واليوم الآخر، لا يفكر إلا في لقاء
الله سبحانه وتعالى وما أعدّه له من نعيم
عظيم وجزاء أوفى!

هذه قصة واقعية، أثرت إثباتها في
هذا الموضوع. وهي تصلح مادة لقصة
فنية رائعة. فضلاً عن الانتفاع بدلالاتها
القريبة والبعيدة، لاسيما أن السنة
المطهرة مترعة بالأحاديث الشريفة التي
ترغب في عمل الخير والوقوف إلى
جانب الضعفاء، وهو مسلك نبينا الكريم
ﷺ. «لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وذكر الله كثيراً» (الأحزاب: ٢١).

إن خيرية وبركة هذه السنة ترشد
المسلم وتبين له بأن عمله الصالح
يستمر أثره ويطاله نفعه ونضحه في
كل الأحوال، وإن نبت الربيع على دمنته،

نوعاً ما، وسأل النادل بصوت
خفيض: من فضلك أتعرف
فلانا؟

أجل.. هو ذاك الذي
يجلس إلى الطاولة رفقة جمع
من أصحابه، يرتدي قميصاً
أزرق تتخلله خطوط فاتحة
متعرجة.

اقترب منه الحاج، وناداه:
فلان، من فضلك أريدك لبضع
دقائق!!.. وقف الرجل بعد أن
استأذن رفاقه.. ثم انتحى به
الحاج جانباً، وبعد التأكد من
هويته، قال له: إنني أحمل
إليك أمانة عظيمة، ولكنني

قبل أن أفصح لك عنها، أريد منك-
لوجه الله تعالى- أن تدلني على السر
الذي بينك وبين الله.. ظهر الارتباك
على الرجل.. غير أنه أصر على معرفة
الأمانة أولاً!! ومع التعلل والإلحاح قال
له الحاج- حامل الأمانة- إن رسول الله
ﷺ «يقربك السلام.. ويبشرك بالجنة»،
ثم روى له القصة من أولها.. لم يستطع
الرجل السيطرة على الانفعالات التي
داهمته سريعاً بعنفوان، فانتالت العبرات
الحارة من المآقي، وبعد فراغه من حالة
الانتحاب التي ألمت به، باح بالسر لهذا
الحاج الأمين؛ فإذا بالرجل قد تنازل عن
راتب تقاعده كله لأرملة وأولادها ليس
لهم معيل ولا كفيل! وجعل ذلك العمل
بينه وبين خالقه، ليكون له ذخراً هناك
عند ربه يوم لا ينفع المرء إلا ما قدم من
خير وعمل صالح؛ بيد أن بشرى ثمار
عمله الصالح زفت له وهو لا يزال يكدح
إلى ربه في هذه الدار الفانية.

وصدق رسول الله ﷺ القائل «أنا
وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار
بالسبابة والوسطى» (رواه البخاري
ومسلم والترمذي وأبو داود، من رواية عن
سهل بن سعد).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة

تفسير القرآن الكريم يعني بذل الجهد في الكشف عن مراد الله تعالى من كلامه، حتى يعرف الناس ما يوجهه الله تعالى لعباده من خطاب سواء اشتمل على تحليل أو تحريم، أو سنن كونية، أو سنن في إقامة الدول واستقامة المجتمعات، أو الكشف عن الحكم الماثورة في القرآن حتى يستفيد الناس منها جميعاً، مسلمهم وكافرهم، ويسمى الكتاب الذي ضمن صحائف القرآن التي كانت متناثرة المصحف، لأنه يحوي صحائف القرآن، فأيات الله تعالى هي القرآن، وجمعها في كتاب واحد يسمى مصحفاً.

نحو تفسير حضاري للقرآن الكريم

د. مسعود صبري

لا مجال للاجتهاد فيه، ولهذا يبقى للقرآن قدسيته، ويبقى للتفسير تقديره واحترامه، الذي لا يمنع من نقده من ناحية، والإفادة منه من ناحية أخرى، ولكن هذا النقد لا يكون بالتشهي ولا بالهوى، ذلك أننا نتحدث عن علم، وكل علم له قواعده وأصوله، فكل من تحصل القواعد والأصول، وصارت عنده درية التفسير، فله حق التفسير، فليس لكلام الأقدمين قدسية ولا كهنوت، ويكون العلم - ومنه تفسير



من المؤمنين.

والقرآن - رحماً بين أهله، ومن مزايا القرآن كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم «ولا يخلق من كثرة الرد»، فكلما نظرت فيه العقول مرة بعد مرة، تولد منه معاني لم تكن معروفة من قبل، ليبقى كتاب الله تعالى معجزاً لجميع الأجيال.

ولا شك أن عمل المفسرين قد تأثر - في عديد من الأحوال - بالظروف المحيطة، وربما كان هناك تأثير بالبيئة، وبالعوامل الثقافية والفكرية لكل مفسر، ولهذا وجدنا تنوعاً ضخماً من التفاسير تعددت أشكالها وألوانها من حيث المنهج العام، ومن حيث التفسير التحليلي للآيات آية آية.

وفي الوقت الذي نقول فيه إن تفسير القرآن من حيث الجملة ليس مقدساً، وأنه قابل للمراجعة، فإن هذا التفسير

ولهذا كان من المهم الاهتمام بتفسير القرآن الكريم لمعرفة تلك القواعد والضوابط، واستخراج تلك العوامل الحضارية للبشرية، وإن استصحب هذا الفهم لجدير أن يولد لنا خطاباً تفسيرياً جديداً، بل ربما ولد لنا نوعاً جديداً من التفسير.

مجال الاجتهاد في التفسير

ومن الحكمة أن يدرك الناس أن هناك فرقاً بين القرآن الكريم وكلام الله تعالى، وبين التفاسير التي تناولته، فهي في غالبها جهد إنساني، وإنتاج بشري، في محاولة لفهم مراد الله تعالى من كلامه، ويستثنى من ذلك ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما كان ظاهر الدلالة ونحوه مما

القرآن هو دستور المسلمين في حياتهم، بل عند التحقيق هو دستور البشرية، لاشتماله على مبادئ تجعل الحياة أكثر استقامة من خلال القوانين والقواعد التي تحكم السلوك البشري، وتلك القواعد التي تعد أطراً عامة لتنظيم العلاقة بين الحكومات وشعوبها، والدول فيما بينها، أو ما يعرف بالعلاقات الدولية، وكذلك العلاقات الأسرية فيما بين الزوج والزوجة والأبناء والأجداد والأصهار والأقارب والجيران والزملاء والأصدقاء، كما أن فيه

قواعد تنظم الحياة الاقتصادية بدءاً من التعامل مع الموارد الطبيعية، وضوابط الكسب والعمل والبيع والشراء، وقواعد العمران الحضاري، وتلك القواعد لا يستقل بها المسلمون دون غيرهم، إنها قواعد صالحة لأن يطبقها المسلم والكافر فتستقيم حياة الأفراد والشعوب والدول، ولو لم يكونوا مؤمنين بهذا القرآن، إذ القرآن هو آخر كلمة الله تعالى لأهل الأرض جميعاً، ومن هنا وجدنا خطاب الله تعالى للبشرية فيه، كما هناك خطاب الله تعالى للمسلمين، وهناك مستوى ثالث هو خطاب الله تعالى لغير المسلمين، وعلى كل، فعند التحقيق سيجد كل إنسان خلقه الله تعالى بغيته في هذا القرآن، وإن لم يكن به

باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

من الحكمة أن يدرك الناس أن هناك فرقاً بين القرآن وكلام الله وبين التفاسير التي تناوته

الحاجة إلى التفسير الحضاري

وإذا كان كثير من المفسرين في القديم اهتموا بجمع المرويات، أو ما يعرف بالتفسير بالمأثور، أو أعمالوا العقل بأدوات الشرع، وهو ما يعرف بالتفسير بالرأي، ومنهم من اهتم بالجانب اللغوي، فخرجت تفاسير لغوية، وخرجت كذلك تفاسير بلاغية، وتفسير تهتم بالأحكام التشريعية من بيان الحلال والحرام أو ما يعرف بـ«تفسير آيات الأحكام»، وهناك التفاسير الإيجازية التي تهتم بالإعجاز القرآن، حتى التفاسير الإشارية، التي تهتم بالإشارة والكشف وغير ذلك مما يختص به أهل التصوف، فما أحوجنا إلى تفسير حضاري ينظر إلى مقاصد القرآن، ويخرج لنا قواعد البناء الحضاري والاهتمام بالسلوك البشري في فهم دقيق وعميق، مستوعب لما سبق من تفاسير متنوعة، وعينه على حاضر أمته، يللم شتاتها، ويضمد جراحها، ويشد من أزرها، فيجد فيه كل مسلم بغيته ودوره في بناء مجتمعه الصغير في بلده، ومجتمعه الكبير في أمته المسلمة، ومجتمعه الأكبر.

وهو تفسير ينطلق من مكانة ووظيفة هذه الأمة بين الأمم، انطلاقاً من تلك الخيرية التي وهبها الله تعالى إياها، والشهود على تلك الأمم، والأدوار المنوطة والوظائف الواجب أدائها على الأمة من حيث الجملة، ثم تفصيلها على قطاعات المجتمع المسلم المتعددة حتى نصل إلى أن يعرف كل فرد مسلم دوره الحضاري في مجتمعه المسلم، وفي المجتمعات الأخرى، من خلال منهج قرآني يعيد للقرآن دستوريته ومرجعيته بين الأمة بجمع أطيافها، ويعيد النصاب لتلك الأمة بين الأمم فعلاً حضارياً، واستشرافاً مستقبلياً، وتصحيحاً للمسار، وإصلاحاً للمعوج، وبناء للمجتمعات على أساس من التقوى.

وهذا التفسير- في نظري- يجب أن يتكامل فيه أدوار المفسرين مع الفقهاء مع أهل التاريخ والحضارة والعلوم الاجتماعية حتى يستوي على عوده ويؤتي ثمرته باذن ربه ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

يدخله اجتهاد أو نقد أو مراجعة، وذلك أن القائم بالتفسير متنوع، أعلاه مرتبة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وفسر النبي صلى الله عليه وسلم عدداً من الآيات، كان الصحابة رضوان عليهم يسألون النبي عنها، فيجيبهم، وكثير منها مجموع في كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيم، كما أنها منشورة في كتب التفسير، خاصة ما يعرف منها بالتفسير بالمأثور، كتفسير الإمام ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير وغيرهما، ثم هناك تفسير الصحابة الذين عايشوا الوحي وكانوا أهل لغة بالسليقة، فهؤلاء تفسيرهم مقدم على غيره، ثم يجيء تفسير غيرهم، على أنه من الصواب أن نقول أيضاً: إن هذه الأنواع الأولى من التفسير يدخلها الاجتهاد أيضاً، فتفسير القرآن للقرآن إن كان قطعياً فلا مجال فيه للاجتهاد، أما إن كان فيه بذل جهد لتوفيق الآيات فيما بينها، فهذا يدخل فيه أعمال العقل مع أدوات التفسير، وكذلك تفسير النبي صلى الله عليه وسلم إن كان قطعياً، فهو خارج الاجتهاد، أما إن كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى شرح وإيضاح فيدخل فيه الاجتهاد من أهله وفي محله.

ولا شك أن إسقاط التفسير على الواقع يحتاج إلى معرفة لفقهاء الواقع، على أن تكون التفاسير السابقة بمنزلة المراجع والمصادر لبحث مسألة جديدة، فيفيد المفسر منها، ويستبعد ما يراه غير موافق لمقاصد الشريعة وروحها، وما هو بعيد عن واقعنا بما يحافظ على قدسية كلام الله تعالى، وأن ينزل أحسن المنازل، مع استشعاره أنه حين يفسر القرآن أنه يقول: إن مراد الله تعالى من كلامه هو كذا.

ليس ملكاً لكل أحد دون امتلاك أدواته، ولا نعني بهذا أن يكون المفسر خريج كلية متخصصة في تفسير القرآن، ولا أن يعرف أنه خريج مؤسسة ترى أن من حقها وحدها امتلاك تفسير النص القرآني، كلا، ولكننا نقصد أن يمكن الذي يريد أن يخوض غمار التفسير نفسه من امتلاك أدوات تلك المهنة والصناعة، وإن لم تكن وظيفته في المجتمع وظيفه دينية، المهم أن هناك معايير للصناعة كباقي الصناعات، وتفسير القرآن صناعة من أجل الصناعات الفكرية والثقافية.

على أنه من المهم أن ندرك أنه ليس كل القرآن يحتاج إلى تفسير، فهناك آيات لا تحتاج إلى عالم ولا إلى متخصص، فكما أشار ابن عباس- رضي الله عنه- إلى صنوف من التفسير، منها ما يعرفه كل أحد، وذلك أن القرآن هو خطاب الله تعالى لكل إنسان، ومنها ما يعرفه من أحاط باللغة العربية، لأن القرآن نزل بهذه اللغة، وقد كان تفسير القرآن في عصر النبوة قليلاً، لأن الصحابة وكذلك التابعون كانوا على درجة فائقة من اللغة، ولكن لما بعد عهد الأمة باللغة، وانحدر مستواها عند أبنائها احتاج الناس إلى أن يعرفوا تفسير ما كان يفهمه أجدادهم وسلفهم سليقة دون جهد أو عناء، ومن القرآن ما لا يعرف تفسيره إلا العلماء، وهذا الذي نقول فيه بامتلاك الأدوات كأية صناعة، ومن القرآن ما لا يعرف تفسيره وبيانه إلا الله، وهو عدد قليل جداً، غالبه يتركز على الحروف المقطعة التي تكون في بدايات عدد من السور، مثل «الم» «حم» «المص» «كهيعص» «الر»، وهكذا، ولا يعني هذا أنه من الأحاجي والألغاز، لأن العلماء تحدثوا عن تلك الحروف، وقالوا: إن المراد منها بيان إعجاز القرآن، وإنه يتألف من حروف العربية التي تتكون منها لغة العرب، ومع هذا فهم عاجزون عن إنشاء آية أو بعض آيات، ولكن القطع بمراد الله فيها لا يعلمه إلا الله تعالى.

وإن كنا نعتبر التفسير لوناً من ألوان الاجتهاد مع امتلاك أدواته، فهناك ما لا



الأولوية الشرعية لتطهير البلاد من الفساد

د. جاسر عودة

الذين يضحون بأرواحهم في سبيل رفع الظلم وإصلاح ما فسد من الأحوال شهداء عند الله تعالى، بل وفي أعلى منازل الشهداء. وهذا ليس من عندي ولا ينبغي أن يكون من عندي، وإنما هذا من نص حديث رسول الله ﷺ. فقد أخرج الحاكم في المستدرک وصححه، وابن عبد البر في التمهيد، عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فنهاه وأمره فقتله»، وكذلك روى أبوداود، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر». وأخرج الترمذي -وحسنه- عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر».

لكن البعض أحياناً ينظر إلى المسائل بنوع من الشكلية والحرفية. فلا يدعهم أن يموت المسلم في حرب بين المسلمين والكفار حتى يكون شهيداً في سبيل الله. وهذه الصورة النمطية لا تلزم لأن النبي ﷺ نص على أن ذلك الرجل الذي قام إلى الإمام الجائر الظالم ليقول «كلمة عدل» أو «كلمة حق» حتى يغير الظلم إلى العدل ويغير الفساد إلى الإصلاح، هو في منزلة حمزة رضي الله عنه. والعدل والحق والإصلاح مفاهيم قرآنية لها معانٍ ودلالات معينة.

وإقامة العدل وإصلاح ما فسد من الأمور من القيم الإسلامية الأصيلة. ولكن من أين نبدأ؟ والجواب: إن الأولوية الشرعية هي لتطهير البلاد والعباد من الفساد والفاستدين. والأولوية معناها يتعلق بتنظيم بذل الجهد والوقت والمال على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة وعلى مستوى السياسات وصنعها كذلك.

فهناك قاعدة شرعية نصها: درء المفاست مقدم على جلب المصالح، وهذه قاعدة أولويات، بمعنى أنه قبل أن نسعى إلى تحقيق المصالح والمقاصد الشرعية، لا بد من إزالة المفاست والمنكرات - الأكبر فالأصغر. ومثل ذلك أنه لا بد للإنسان المريض

♦ أكاديمي مصري مقيم في قطر

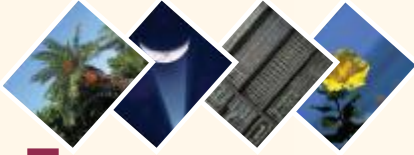
الفساد آفة الأمم

تعيش الأمم في عصرنا الحاضر حالات من الفساد الذي عمّ شتى مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية وغيرها، الأمر الذي انعكس سلباً على أحوال الشعوب - المتقدمة منها والنامية - حروباً وأزمات طاحنة استبدت فيها القوى بالضعيف واستغل فيها الغني الفقير، وحلت الرذائل والمبادئ الفاسدة مكان القيم والأخلاق الفاضلة وظهرت البلايا والنكبات والمصائب، ومحقت البركات وطفف الميزان والمكيال في المعاملات وتسئم الفاسدون مقاليد الأمور وأبعد المخلصون الصادقون وتآصلت في النفوس جذور الحقد والكراهية، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس لبيدقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون» (الروم: ٤١).

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي القراء تسليط الضوء على هذه الآفة الخطيرة وسبل الخروج منها على أساس من الكتاب والسنة، حيث تناولها العلماء والفقهاء بالتفصيل في كتبهم وأبحاثهم ودراساتهم واضعين نصب أعينهم قول الله تعالى: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً» (طه: ١٢٤) وقوله ﷺ محذراً من الخصال التي تؤدي إلى الفساد:

«يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن وتزلت بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة، وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولو لا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم» (رواه البزار وابن ماجه والبيهقي).

التحرير



حفظ أساسيات هذه المصالح والمعاني. فكل ما أضر وأخل بهذه الأساسيات والحقوق، لابد من إعطاء الأولوية لإزالته. فيكون ديني محفوظاً إن كنت مسلماً لا يتعدى عليه أحد، ولغير المسلم حرية الاعتقاد. ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف: ٢٩)، وأصل المال بمعنى أنه إذا نزل الناس عن ما يسمونه حد الفقر في مجتمع ما نتيجة للسرقة والاختلاس واستغلال المناصب والنفوذ فهذا له أولوية في التطهير والتصحيح. والعرض من الحقوق التي يجب الحفاظ عليها من الانتهاك والاعتداء، هذا طبعاً فضلاً عن التعذيب والقتل، وكل ما كان من هذا الباب له أولوية في القصاص والتعويض. وهكذا.

البناء صعب، ولذلك لا ينبغي لنا أن نبني وعندنا من عوامل الهدم ما عندنا، والهدم سهل ولا يحتاج إلى الوقت والجهد الذي يحتاجه البناء. إذن لابد في واقع عالمنا الإسلامي اليوم من استكمال الشوط في تطهير المجتمعات الإسلامية من الفساد بكل أشكاله وصوره قبل الحديث عن البناء والتغيير.

الأولوية في إزالة الفساد لابد أن تكون لتغيير أنفسنا قبل تغيير العالم من حولنا

ولنبداً بما يسمى في الشريعة بـ «رد المظالم». وهذا يعني أن كل من ظلم لابد أن نرد له حقه. وهذه لا تحتاج إلى مراحل أو ستة أشهر أو خمس سنوات، لأن رد المظالم هذا يمكنه أن يتم فوراً وبقرارات سريعة. ولكن، ما معنى رد المظالم وإقامة العدل؟ هل معنى العدالة أن نتساوى جميعاً في كل شيء؟ يعني أن نتساوى مع كل الناس فيما أكل وأشرب وألبس، إلى آخره؟ لا. العدالة هنا معناها أن نتساوى في الحقوق الأساسية، بمعنى أن أضمن الحق الأساسي لنفسي وللجميع، وهذه الحقوق الأساسية تتعلق ببعض المعايير، هي في الإسلام مقاصد الشريعة الإسلامية التي نزلت الشريعة لتحقيقها في دنيا الناس، من حفظ للدين والنفس والعقل والنسل والعرض والمال، بمعنى

مثلاً أن يشفى أولاً قبل أن يمارس الرياضة وأن يسبح ويجري، ولو كان مريضاً بمرضين أحدهما أخطر وأضر من الآخر، فلا بد من مواجهة المرض الخطير أولاً ثم المرض البسيط. وهذا ترتيب بدهي، وهو يتسق مع القوانين والسنن الإلهية في خلق هذا العالم ومع التفكير المنطقي عند العقلاء.

والأولوية في إزالة الفساد لابد أن تكون لتغيير أنفسنا قبل تغيير العالم من حولنا. فالتغيير كذلك تحكمه قوانين وسنن ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في مواضع كثيرة، كمثل قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١). هذا قانون لا يتخلف، مثل قوانين الفيزياء والطبيعة والجاذبية وحركة الشمس والقمر. وبالتالي لن يحدث تغيير حقيقي في أي مجتمع إلا بعد أن يتغير ما بداخل هذا المجتمع ويتطهر من الفساد والأمراض. ولا ينبغي أن تلفتنا القضايا الجانبية المفتعلة وغير المفتعلة عن أولوية التخلص من كل الجرائم والنقاط السوداء في المجتمع وإعطاء ذلك أولوية.



العدل.. الطريق الأمثل للقضاء على الفساد

محمود علي محمد

لئن كان لبعض الأحداث ذكريات في النفس تظل محفورة في الذاكرة لا يجزؤ الزمن على محوها مهما تقدمت، وهي تظل بين الفينة والأخرى، كلما عبرت المجال الفكري أو البصري أمثالها أو نظائرها، فإن لبعض الكلمات وقعا ورنينا- أيضا- يحدث داخل النفس موسيقى عذبة شجية، خاصة إذا ما كانت صدى لأمر جليل أو حدث مؤثر. ومن أرق تلك الكلمات عذوبة وأشجاءها لحنًا وأحلاها جرسًا، كلمتان خفيفتان على اللسان قويتان في المعنى والبنيان لطالما سمعناهما وسنظل ما سترت العدل أقلامنا، ونطق الحق على ألسنتنا، وما دما نستشعر عظم وجلال الرسالة التي نضطلع بها «يحيا العدل».

خلقه اصطفاهم لأداء أعظم مهمة، هي رسالة السماء إلى الأرض التي أقامها الحق منذ خلق السموات والأرض، وقال: ﴿والسمااء رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن: ٧-٩).

العدل مطلب إنساني

إن الشعور بالرغبة في العدل كان قائمًا في النفس البشرية منذ أقدم عصور التاريخ، فروح العدل مستمدة من غريزة الاجتماع ذاتها، لذلك كان العدل أساس أي صرح اجتماعي ومحوره وغايته، فالإنسان القلق على وجود ذاته، أو على حرته أو عرضه أو ماله لا ترجى منه ذرة من خير لمجتمعه، لأنه يكون حينذاك فاقداً للثقة في المحافظة على حقه الطبيعي في الأمن والحرية، ومن ثم يتولد في نفسه الشعور بمرارة الاغتراب في وطنه.

وإذا كانت الحضارة المصرية قد سبقت الحضارات الأخرى بألوف السنين، فإنها بداية قد سبقتها بكل ما شكل أسسها ودعائمها ومظاهرها، ولقد كان العدل هو أحد أهم الأسس التي قامت عليها هذه الحضارة (٢).



يحيا العدل، هتاف تتطلق به أفواه لطالما كمنها ظلام الصمت وصوت الظلم، فتاقت لبريق الحق، واثقة به وبأهله، ومنتدرة بسنن الكون، وأنه مهما أوتي الباطل من زخرف القول ولحنه، ومهما قوي عوده واشتد فلا بد يوماً أن ينكسر ويندحر لتشرق أضواء العدل المبهرة محطمة حجب الظلم وأستاره، فلن تحول دون

شمس العدل غيوم الباطل، فما أن تتطلق كلمات الحكم بالعدل حتى يدوي الهتاف كالرعد مجلجلاً يزلزل الأركان، فتهتز له المشاعر وتسمو معه الأرواح في لحظة أسمى ما تكون فيها المشاعر وأصدق ما تكون الأحاسيس. وكيف لا؟ وقد أنصف مظلوم، أو أعيد حق مهضوم طال انتظاره وعز طلبه، فكانت الكلمات أصدق تعبير عن خلجات النفس البشرية التي فطرها الله على العدل.

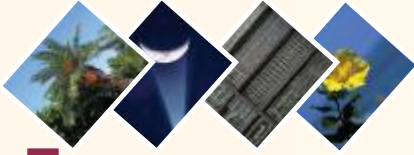
فالعدل معنى جليل، تطمئن إليه النفوس، وترتاح إليه الأفتدة، وتتطلق به ملكات الإنسان الآمن على نفسه وماله وعرضه، فيبدع وينتج، ويسهم في حل المشكلات التي تعوق مسيرة أمنه وتعرقل نهضتها.

باحث دراسات إسلامية

فمنذ كان الإنسان، وأنى يكون، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، كان العدل وسيبقى، حلم حياته، وأمل مفكره، وجوهر شرائعه، وسيباج أمنه، ورائد ركبه على طريق الأمن والرخاء، وصانع الحضارات وحارسها، وهدفاً مرموقاً ومأمولاً لنضال صنوف لا تنتهي من الشهداء والشرفاء، ولم تخمد لهم جذوة، عبر أجيال غير ذات عدد(١).

أعظم مهمة

إن توافق الكلمات مع المعاني شيء عظيم، وإن تطابق المعاني مع المباني لشيء أعظم، فما أروع أن تتسامى عدالة البشر لترسي في الأرض عدالة السماء، إنها لحظات فوق أن توصف وأعظم من أن تكشف، إنها بحق تجليات ربانية على فئة من



ما أروع أن تتسامى عدالة البشر لترسي في الأرض عدالة السماء

صفة من صفات الحق جل في علاه تنزهت عن التأويل والتبديل صفاته، وقد أمر سبحانه عباده به فقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾، وهو والقسط صنوان، قال تعالى في أهلهم ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ (المائدة: ٤٢)، وقد تكررت هذه الفاصلة القرآنية في المصحف الشريف ثلاث مرات.

ولقد وردت كلمات العدل والقسط والميزان ومشتقاتها ما يزيد على ٧٠ مرة في القرآن الكريم بسوره المتعددة بما يدل على اهتمام الشارع الحكيم به والحث على إقامته، يقول تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ (الأنعام: ١٥٢)، ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا...﴾ (النساء: ١٣٥) ﴿يأيها الذي آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى...﴾ (المائدة: ٨). ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...﴾ (النساء: ٥٨)، ﴿وإن

امرأة معصوبة العينين ممسكة بيد سيفاً وبالأخرى ميزاناً، إنها معصوبة العينين لا ترى البشر فلا تميز بينهم، لا تجور على عدو بغيض ولا تحابي صديقاً، لا يميل فؤادها متأثراً بما تراه عينها إما حباً أو كرهاً، ثم هي ممسكة بسيف الحق تقطع الباطل به، وتمضي به على أعناق الأثمين، إنها علامة بارزة وشعار يزين واجهات كافة دور المحاكم، حقا لقد أفلح الفنان وعظم المكان، فما أجمل أن يرسم هذا الشعار النبيل على دور العدالة يعلوه قول الحق تعالى ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾، إنه وازع اطمئنان ومبعث أمان لكل من تلج قدماه أعتاب المحاكم.

العدل في القرآن الكريم

العدل هو اسم من أسماء الله الحسنى تقدست أسماؤه، والعدل

ويتجلى مفهوم العدالة الذي استقر في الوجدان المصري آنذاك، في الخطاب الذي وجهه تحتمس الثالث إلى «رخمارع» بمناسبة تعيينه وزيراً (vizir)، وكان الوزير يشغل بحكم منصبه كبير القضاة، يقول الفرعون: «لا ينبغي محاباة الأمراء والموظفين، ولا ينبغي استعباد كائن من كان، عندما يأتي شاكي من مصر العليا أو السفلى من واجبك العمل على أن يتم كل شيء طبقاً للقانون، أن يحصل كل على حقه، لا ينبغي أن يكون باستطاعة من فصل في دعواه أن يقول «لم أمكن من الحصول على حقي»، إن ما يحبه الإله هو أن يتحقق العدل، وإن ما يمقته الإله هو أن يحابي طرف على الطرف الآخر، انظر إلى من تعرفه كما تنظر إلى من لا تعرفه، ولا ترد شاكياً قبل أن تستمع إلى قوله، ولا تستشط غضباً ضد إنسان بلا مبرر (٣)».

إنه خطاب تكليف بمهام الوزارة والقضاء، حمل كل معاني المساواة والعدل بين البشر مهما كانت مسمياتهم أو وظائفهم أو مكانتهم. لقد صور فنان قديم العدالة بأنها



هو مسئولية الحاكم، فإن تحقيقه هو جوهر رسالة القضاء، وإذا كانت الأمم تحيا بأخلاقها وتخلد حضارتها بسمو العدل فيها، فإنه بقدر ما يمتد سيف العدالة ظلًا وحماية للحاكم والمحكوم، بقدر ما ينحسر الظلم، فتبقى دائماً كلمة الحق هي العليا (٤).

القضاء موطن العدل

يهرع الناس جميعاً إلى ساحة القضاء يلتمسون فيه العدل والنصف، وهم عنده سواء، لا يهرب أحد لقوته، ولا يستخف بحق أحد لهوانه، وضعف حيلته، لا شريف أمامه ولا مشروف. ويقول د. كامل عبيد: وإذا كان القضاء هو موطن العدل بمضمونه وفحواه، وهو إليه الطريق والأداة فإنه بهذا يغدو في كل أمة من أعز مقدساتها وأغلاها، ويضحى مقوماً من أعلى مقومات تراثها وحضارتها وأسمائها.

والقضاة هم ضمير أمتهم ورمز إرادتها، وصدى وجدانها ومعقد رجائها في إعلاء كلمة الحق والعدل، التي أودعها خالقهم أمانة مقدسة

لا يدرك قيمة العدل إلا من ذاق مرارة الظلم واكتوى بناره

(النساء: ٥٨)، «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط».

العدل الذاتي

وقوامه أن يعدل المرء مع نفسه بأن يأخذ لها بقدر ما يعطي منها من غير تجاوز، ولا إفراط أو تضريط، فإن الظالم لنفسه المنقاد لهواها حري بظلم غيره والتطاول عليه بالعدوان، يقول تعالى: «يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» (النساء: ١٣٥).

والعدل حق مقدس لكل البشر، يمارسون في ظله حياة آمنة مستقرة، وهو في أي أمة أعظم سمات حضارتها وعماد تقدمها، وإذا كان تأمين العدالة

حكمت فاحكم بينهم بالقسط... (المائدة: ٤٢).

العدل والعدالة في نفس القاضي

والعدالة هي إحدى الفضائل الأربعة التي قال بها الفلاسفة من قديم وهي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، يقول محمد بن حزم في كتاب الأخلاق واليسر: العدل حصن يلجأ إليه كل خائف، وذلك أنك ترى الظالم إذا رأى من يريد ظلمه دعا إلى العدل وأنكر الظلم حينئذ وذمه، ولا ترى أحداً يذم العدل، فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين.

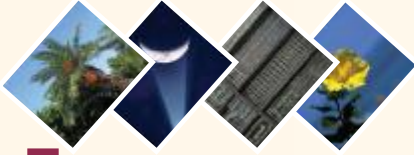
ولا يدرك قيمة العدل ويستشعر سموه، ويستشرف معناه إلا من ذاق مرارة الظلم واكتوى بناره، والعدل واحد في جوهره لا يتجزأ، وإن تعددت مراتبه وتباينت مظاهره، ويقولون مراتب العدل ثلاثة: عدل مطلق، عدل جامع، وعدل ذاتي.

العدل المطلق

هو مبدأ الحق كله والمساواة كلها، إذ به تقوم الحياة، وتتلاقى أطراف الوجود وتتسجم الأضداد، وهو منة الخالق على مخلوقاته، عنه - سبحانه وتعالى - تصدر أنواره وبقدرته تقام موازينه، فإنه عز وجل حرّم الظلم على نفسه وأمر عباده بالعدل، «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته...» (الأنعام: ١١٥)، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».

العدل الجامع

وغايته تساوي الناس في التعايش، وعلامته أن تستقيم الأحكام ويسود الإنصاف، وتطمئن القلوب للحق وطلابه، يقول تعالى: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...»



جوهر رسالة القاضي، وثواب إخلاصه في عدالة السماء حين تهبط على الأرض فتغمرها عدلاً.

ويالعدالة الأرض حين تنطق الأفواه بها هاتفة، يحيى العدل، ويالعهزة من أحبهم الله لعدلتهم، وخسئ الظلم وخاب أهله وصدق الحق سبحانه: ﴿... وقد خاب من حمل ظلماً﴾ (طه: ١١١). فليحي العدل.. قيمة عليا وهدفاً أسمى لكل من ولى الحكم على الأرض.. وليحي العدل نبراساً ومنهجاً وطريقاً لمن اصطفاهم الله لأداء رسالته بين الناس.

وليحي العدل شعراً خفاقاً هادفاً مدوياً يسحق بنبراته المزلزلة كل جبار وظالم، وترجف منه قلوبهم وترتعد على صدور الظالمين فرائصهم وتصم آذانهم.

وليحي العدل في كل ذرة من كريات دم كل قاض، ينبض به قلبه، تلو به هامته، تزداد به مكانته، ويعظم به أجره، فليحي العدل في نفوسنا، في قلوبنا، في وجداننا ما حيننا، نتنفسه كالهواء يروي أجسادنا كالماء.. فليحي العدل.



القدرة لا تبلغ غايتها إلا إن أمسك فرسان الحق بزمام أعتها».

ويقول «ميرابو» خطيب الثورة الفرنسية: الناس في حاجة إلى القضاء ما عاشوا، فإذا فرض عليهم احترامه لزم أن يحسوا بأنه محل ثقتهم وموضع طمأنينتهم.

حقيق أن القضاة موقفون على أمر جد خطير مسؤولياته كثر، وتبعاته جسام، لن يصبوا لذراه الرفيعة وغاياته السامقة إلا إذا تسربلوا بقميمه، وأشربوا مبادئه وتجلى فيهم ذلك القبس النوراني الكامن في أغوار النفس التي فطرها الخالق سبحانه على العدل.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته إلى أبي موسى الأشعري: إن القضاء في مواطن الحق مما يوجب به الأجر ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في نفسه شأنه الله، فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته (٥).

هكذا أوجز أمير المؤمنين عمر

بين أيديهم، لينطقوا في أمرها- بعد جهد وعناء- بكلمة فاصلة، مانحة مانعة، لأنها كلمة الحق جل وعلا يجريها على لسان من استخلفه من عباده ليؤدي رسالته على الأرض بميزان قسط.

فالقضاء قيس من نور الله الحق العدل المبين، لأنه القوام على إرساء العدل، وبه بعث أنبياءه ورساله ليقيموا حجته على خلقه، يقول تعالى: ﴿إنا أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (النساء: ١٣٥)، فالكتاب والميزان قد نزلنا من عند الله أعدل الحاكمين، وبهما بعث الأنبياء والرسول، واستخلفهم وأتباعهم في الأرض، ليعلموا كلمته، ويقوموا حكمه، ويحققوا عدله الذي أقام به السموات والأرض.

يقول صلاح عبدالصبور في مأساة الحلاج: «إن القاضي لا يفتي بل ينصب ميزان العدل، لا يحكم في أشباح بل في أرواح أغلاها الله إلا أن تزهر في حق أو إنصاف، الوالي والقاضي رمزان جليان للقدرة والحق لا تدنو من مرماها أفراس

الهوامش

- ١- المذكرة الإيضاحية لقانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٢ لسنة ١٩٦٨.
- ٢- دفتحي نجيب، التنظيم القضائي المصري، ص ١٩٩.
- ٣- د. محمود سلام زناتي، تاريخ القانون المصري، ص ٨٩.
- ٤- د. محمد كامل عبيد، استقلال القضاء، ص ١٥ وما بعدها (بتصرف يسير).
- ٥- وردت الرسالة بالعديد من المؤلفات منها: عيون الأخبار لابن قتيبة، مقدمة ابن خلدون الأحكام السلطانية للماوردي، مناقف عمر بن الخطاب لابن الجوزي وغيرها.



تعد مسألة المحافظة على أمن المجتمع وسلامته إحدى المسائل الأساسية والمهمة التي أولاها الإسلام عناية خاصة ومميزة، ذلك لأن الله عز وجل أراد لعباده أن تكون حياتهم آمنة مستقرة، والأمن المجتمعي يعني: أن يكون الفضاء العام للمجتمع متمسماً بالاستقرار والهدوء، مع وجود القانون الذي يعطي كل ذي حق حقه، ويعني أيضاً اختفاء كل العوامل والأسباب التي تؤدي إلى غياب الطمأنينة والسكينة عن نفوس جميع أفراد المجتمع ومختلف شرائحه.

الإسلام والأمن المجتمعي

أ.د. أمان عبدالمؤمن قحيف

**إذا قسمنا الأمور إلى
«منكر» و«معروف» فإن
ترويع الناس وتخويفهم
يقع ضمن المنكر**

الشريعة الإسلامية، بهذا يكون التشريع قد جاء ليؤكد في الكثير من المواضع على حرص الإسلام الحنيف على توفير الأمن المجتمعي للناس جميعاً، الأمر الذي يفيد أن من يتناول على الناس، أو يتسبب في ترويعهم، أو قرض مضاجعهم، أو الإساءة إليهم بالقول أو الفعل، أو من يتسبب في إرهابهم وتخويفهم، كل من يفعل هذا أو يقدم عليه تتعارض سلوكياته تلك من حيث المعنى والمضمون مع ما أمرت به الشريعة وأقره الدين الحنيف.

إن الشريعة الإسلامية التي جعلت تبسم الإنسان في وجه أخيه صدقة لا يمكن أن توافق أو تبيح بحال من الأحوال لإنسان أن يتسبب في إرهاب الناس أو تخويفهم أو ترويعهم أياً ما كان هؤلاء الناس، وأياً ما كانت مذاهبهم وملهم وعقائدهم، لأن الله عز وجل أرسل نبيه ﷺ رحمة للعالمين جميعاً سواء من آمن منهم به أو من لم يؤمن به، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ومعلوم أن النبي ﷺ هو المثل والقُدوة والأسوة الحسنة للمسلمين، كل المسلمين، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الأحزاب: ٢١)، من هنا كان على المؤمن أن يكون داعية خيراً ورسول سلام أينما كان وحيثما كان، لا فرق في ذلك بين وجوده في دار

ضياح الأنساب وانتشار الأمراض المستعصية- كالإيدز- مثلاً، ذلك المرض الذي انتشر في الحضارات التي لا تعيش حياتها وفقاً للتعاليم والتشريعات الدينية التي تحض على فضائل الأعمال وتؤكد القيم الأخلاقية السامية.

هكذا يتأكد لدينا أن تحريم الإسلام للفاحشة يعد هو الآخر طريقاً نحو تمهيد الفضاء المجتمعي للأمة كي تعيش في حالة من الأمن والاستقرار والتوافق بين مكونات المجتمع التي تشكل بنيته العامة.

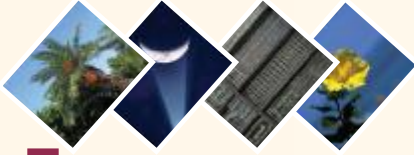
من هذا المنطلق يتبين لنا أن الإسلام كان حريصاً على أمن المجتمع واستقراره عندما حرم الزنا، ويقاس على ذلك تحريمه للكذب، والغيبة، والنميمة، وقتل النفس بغير الحق، والخداع، وسب الآخرين أو لعنهم، أو التناول عليهم... إلخ من الأمور والمسائل التي حرمتها

الأمن المجتمعي خاصة تتصف بها المجتمعات المتحضرة والأمن المتقدمة، فأنت لا تجد أمة متخلفة علمياً وتكنولوجياً تتم بتوافر الأمن والهدوء لأفراد مجتمعاتها، تماماً مثلما يعز عليك أن تجد أمة نجحت في ارتياد آفاق الحضرة والرقي وتعاني في الوقت نفسه من غياب الأمن المجتمعي الذي يحقق السكينة لكل أفرادها، وتعد المجتمعات الأوروبية والأميركية المتقدمة وبعض المجتمعات الأفريقية المتخلفة علمياً أوضح الأمثلة على ذلك.

ولما كانت العبادة السليمة لا تتحقق، شأنها شأن عمارة الأرض، إلا في ظل جو من الأمن المجتمعي فقد حرص الإسلام الحنيف أشد الحرص على أن يتوفر للناس أمنهم، ويتوفر لهم الجو المناسب الذي يضمن فيه الإنسان صيانة ماله وعرضه وولده من التلف أو التعرض للمخاطر.

ويتبين للمدقق في تعاليم الإسلام الحنيف وتشريعاته أنها تصب في النهاية في مصلحة أن يعيش الناس في جو من السكينة والاطمئنان النفسي والروحي، فالله تعالى عندما حرم الزنا- مثلاً- أراد من ذلك ألا يحدث أي نوع من التناول أو الاعتداء على أعراض الناس، لأن ذلك يؤدي إلى اندلاع الخلافات والمشاحنات بينهم، ويؤدي أيضاً إلى

باحث أكاديمي



الشرعية التي حرصت على المحافظة على حياة الناس وأموالهم وأنفسهم، ومعلوم أن تلك الأمور من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية الغراء.

ولقد اشتملت سيرة رسول الله ﷺ على العديد من المواقف التي تؤكد حرصه ﷺ قبل البعثة وبعدها، على أن يكون الأمن المجتمعي متحققاً في أهله وقومه إلى أبعد مدى ممكن، فالثابت من كتب السير

أن الناس هرعوا في صباح يوم من الأيام على سماع أصوات وعلية حول مكة مما حرك مخاوفهم وأزعج نفوسهم، فهرعوا الى خارج مكة يتساءلون: ما الخطب؟ وإذا بهم يرون رسول الله ﷺ قد سبقهم الى استكشاف الأمر، وعاد ليطمئنهم جميعاً بأنه لا شيء يدعو للخوف ولا للهلع أو التوتر، وهذا الأمر يكشف من جهة عن شجاعته وشهامته ﷺ ويكشف في نفس الوقت عن حرصه على أن يكون مجتمعه الذي يعيش فيه ويحيا بين جنباوته آمناً مستقراً طوال الوقت، أما بعد بعثته فقد كان ﷺ من أحرص الناس على إشاعة الطمأنينة في النفوس وتكريس الأمن في المجتمع، لدرجة أنه ﷺ لم يكن يحب أو يقبل أن يحدث أي نوع من أنواع التوتر في العلاقات بين الذوات الإنسانية المفردة من بني قومه، فضلاً عن حرصه على المجتمع ككل متكامل.

ولقد حرص الرسول ﷺ على شيوع الأمن بين الأفراد والأسر داخل بنية المجتمع الواحد حتى في أبسط الأمور، لذلك كان يأمر المسلمين بأن من أعد مرقاً فعليه أن يكثر منه ليعطي جيرانه من هذا المرق، وأكثر من توصيتهم بالجيران خيراً، ونقل لهم أن جبريل ﷺ مازال يوصيه بالجار حتى ظن النبي ﷺ أن الشرع سيعطي للجار حقاً أو جزءاً



وتعالى، قال عز وجل في هذا المعنى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠).

ونظراً لتأكيد الأسلام على أهمية الأمن المجتمعي للحياة البشرية فقد جعله الله تبارك وتعالى بمنزلة إحدى المكافآت الكبرى التي يتحصل عليها المؤمنون جزاء إيمانهم بريهم والتزامهم بالمنهج السماوي في حياتهم الخاصة والعامة، أو في عباداتهم ومعاملاتهم، فالله تبارك وتعالى عندما يستخلف المؤمنين في الأرض، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم ويبدل الخوف في حياتهم آمناً، ويجعلهم يعيشون في طمأنينة وأمان، فإن ذلك كله يأتي كنتيجة لكونهم من أهل الإيمان والطاعة الخالصة الذين لا يرتدون إلى الكفر والفسوق، قال تعالى في محكم كتابة الكريم: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور: ٥٥).

من ثم فإن من يعكر صفو المجتمع بتهديد الأمن فيه يعد فاعلاً للمنكر لا محالة، وهو منفلت من تعاليم الأسلام

الإجابة أو في دار الدعوة، فالمؤمن لا يخيف الآخرين، ولا يربعهم، ولا يقض مضجعهم، ولا يقلق أمنهم العام.

ولقد أراد الأسلام الحنيف من الناس أن يتعاملوا برياطة جأش وقوة إرادة مع الملمات التي قد تتعرض لها الأمم والشعوب في مراحل حياتها وتطورات تاريخها، فلا يجب الجزع، أو الهلع، أو الخوف، أو الانهيار النفسي عند حدوث طارئ ما، بما يؤثر سلباً على حالة المجموع، ويؤدي إلى شيوع وإشاعة الرعب بين الناس، إذ يجب من

الناحية الشرعية مواجهة الأمور بحزم وعزم ورياطة جأش، وهنا يشير الأسلام إلى ضرورة الاستفادة ممن يمتلك القدرة على توجيه الأمور نحو الوجهة الصحيحة والسليمة، بمعنى أنه لا بد من أن يوسد الأمر إلى أهله، حتى يتمكن المجموع من النجاة من الملمات التي قد تصيب الناس على مختلف طوائفهم ومذاهبهم، قال تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ (النساء: ٨٣).

والأسلام الذي جعل من قواعده الأساسية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينهي عن ترويع الناس، كل الناس، ذلك لأننا إذا قسمنا الأمور إلى «منكر ومعروف» فإن المرء لا يتردد للحظة واحدة في أن يضع مسألة ترويع الناس وتخويفهم ضمن المنكر الذي جاء الأسلام الحنيف لينهي كل الناس عن إتيانه أو الإقدام عليه، بل إن ديننا الحنيف جعل خيرية هذه الأمة تكمن في أمور عدة من أوائها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأكثر من ذلك أنه ذهب إلى أن شرط تحقق خيرية هذه الأمة يكمن في كونها تمارس الدعوة إلى الخير وتنهي عن المنكر والشروع، بعد إيمانها بالله تبارك



قد تعود بالضرر على مختلف أفراد المجتمع وجميع أبنائه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (الأنفال: ٢٥)، فالفتن أو السلوكات الشاذة تجلب على المجتمع كله ما لا يرضاه من المسائل والأمور، على النحو الذي يحذر منه الرسول ﷺ في حديثه الذي جاء فيه: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً» (رواه البخاري).

رابعاً: المحافظة على إيجاد جو عام مناسب للعمل والانتاج وعمارة الأرض، فالحق تبارك وتعالى كلف الإنسان بالسعي في الأرض وإعمارها لكي يأكل منها حلالاً طيباً، قال عز وجل: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك: ١٥).. وغني عن البيان أن الإشارة إلى المشي في مناكب الأرض يفيد معنى الاجتهاد في الأخذ بأسباب طلب الرزق الحلال، تلك الأمور التي لا تتحقق إلا في ظل جو عام يتسم بالأمن والطمأنينة والهدوء.

ويجب أن ندرك جميعاً أن تحقيق الأمن المجتمعي ليس مسؤولية الدول والحكومات وحدها، بل هو قضية يجب أن تسهم فيها كل قطاعات الشعوب من أفراد ومؤسسات المجتمع المدني، بجانب الهيئات والمؤسسات الحكومية، ومختلف القوى والفعاليات التي يتشكل منها البناء العام للأمة والمجتمع.



تحقيق الأمن المجتمعي ليس مسؤولية الدول والحكومات وحدها بل هو قضية كل قطاعات الشعوب أفراداً ومؤسسات

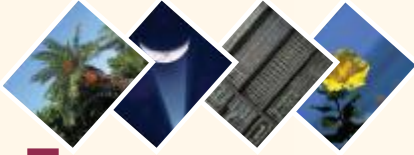
لا يجب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٦).

ثالثاً: المحافظة على إيجاد جو عام يناسب ممارسة العبادة والدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لأن كلا من العبادة والدعوة في حاجة ماسة وضرورة إلى أجواء هادئة ومستقرة، يكون من شأنها إتاحة الفرصة للدعاة إلى الله أن يمارسوا عملهم في سكينة وروية، ويسهم في مساعدتهم في الأخذ بيد الأمة نحو الالتزام بالمبادئ الدينية والقيم الأخلاقية، الأمر الذي يهيئ المجتمع كله لتلقي جزاء الله تعالى وثوابه والفوز بالسعادة لكل فرد من أفرادها، لأنه إذا مارست مجموعة معينة من الناس بعض الأفعال السلبية والخاطئة فإن الأمور

من الميراث. كل هذه مسائل كانت تهدف ضمن ما تهدف إليه إلى تحقيق درجة عالية من التأخي، والتواصل، والتعاون، والتكافل بين أبناء المجتمع الواحد، تلك الأمور التي تصب في النهاية في تكريس الأمن والأمان للذوات الإنسانية المقررة، بل للمجتمع بشكل عام. إن حرص الإسلام على استتباب الأمن يرجع إلى أمور عدة نذكر منها ما يلي:

أولاً: إن من مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على حياة الناس وأموالهم، ومعلوم أن استتباب الأمن يحافظ على الحياة والأموال، لأن افتقاد المجتمع للأمن يؤدي بالتالي إلى تعرض جميع الأنفس والممتلكات للتهلكة، والنهب، والتدمير، بهذا يأتي الحرص على الأمن المجتمعي في صدارة ما يأمر به الإسلام وما تهدف إليه مختلف القوانين الأخرى.

ثانياً: إن الشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على تقليص أظافر أولئك الأفراد الذين يعيثون في الأرض فساداً، حتى وإن ادعوا أنهم من أصحاب القلوب الطيبة والأفئدة النقية، ومعلوم أن انتشار الفساد في أي مجتمع من المجتمعات يؤدي بالضرورة إلى افتقاده للأمن، الأمر الذي يتيح لهؤلاء الأفراد الخارجين على الدين والقانون أن ينشطوا في الإفساد في الأرض، وهذا على خلاف مراد الله تبارك وتعالى في الكون، لذلك توعد الله عز وجل هذا الصنف من الناس بجهنم وبئس المصير، قال تعالى في هذا المعنى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله



الفساد المالي.. أسبابه وصوره وعلاجه

د. حسين حسين شحاتة

■ معنى الفساد المالي:

يقصد به كافة المعاملات المالية والاقتصادية المخالفة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وتؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل وإلى عدم استقرار المجتمع وإلى الحياة الضنك لطبقة الفقراء والمعوزين ومن في حكمهم.

■ أسباب الفساد المالي:

من أسباب الفساد المالي في المجتمع، ما يلي:

ضعف القيم الإيمانية وعدم الخشية من الله.

انتشار الأخلاق السيئة ومنها: الظلم، والكذب، والنفاق، والرياء، والأنانية، وعدم الولاء والانتماء للوطن، والجشع، والمادية، والانتهازية وما في حكم ذلك.

انتشار الفساد السياسي ومنه الدكتاتورية وسلب الإرادة والطفغان والاحتكار السياسي والظلم والاستبداد.

انتشار الفساد الاجتماعي، ومنه زيادة الفوارق بين الطبقات بسبب سوء توزيع الثروة والفاحشة والفسوق.

■ نماذج من الفساد المالي المعاصر،

يجب تجنبها:

من هذه النماذج على سبيل المثال:

- الاختلاس: وهو سلب وابتزاز مال الغير خلسة بدون حق مشروع.

- السرقة والغصب: وهو الاعتداء على مال الغير عمداً وقهراً.

- الغش: وهو تقديم معلومات كاذبة عن السلع والخدمات مخالفة للحقيقة والواقع.

- التديس والغرر والجهالة: ويقصد به تقديم معلومات وإيضاحات إلى الغير

خبيير مالي

والحد منه.

تغليظ العقوبات على المفسدين بالعدل ليرتدع من تحدته نفسه بالفساد. القدوة الصالحة على مستوى البيت والمجتمع والدولة.

■ دور التربية الصالحة في الأسرة

للتصدي للفساد المالي:

يبدأ تطبيق برنامج الإصلاح الإسلامي للفساد المالي من الأسرة على النحو التالي:

بيان مسؤولية الوالدين في تربية النشء على الصلاح: وفقاً لوصية رسول الله ﷺ: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته» ومن محاور تربية الأولاد على مستوى الأسرة ما يلي:

التربية الروحية.

التربية الأخلاقية.

التربية السلوكية.

التربية الاقتصادية الإسلامية.

تطبيق مبدأ المساءلة والحوكمة على الأولاد في مجال الإنفاق وتقويم أي فساد مالي أولاً بأول.

تطبيق مبدأ العقاب على الأولاد في حالة وجود انحراف مالي.

أن يكون الوالدان قدوة حسنة في كل شيء وفي المعاملات المالية.

■ دور التربية الصالحة على مستوى

دور التعليم والمجتمع للتصدي للفساد المالي:

يلي دور الأسرة في الإصلاح المالي: دور التعليم في مراحلها المختلفة، ثم الدعاة والمصلحين، ثم دور أجهزة الإعلام المختلفة، ثم دور الحكومة.

بمعنى تكون محاور الإصلاح الإسلامي للفساد المالي: الفردي ثم مؤسسات وهيئات المجتمع ثم الحكومة.

لتحفيزه على الشراء مخالفة للواقع.

- الرشوة: وهو الحصول على مال أو منعه نظير تسهيل الغبن وأمر معين بدون حقه.

- بخس الحقوق: وهو عدم الوفاء بما اتفق عليه وإعطاء الغير دون حقه.

- التكبس (الترجيب) من الوظيفة.. استغلال الوظيفة أو الجاه للتكسب بدون حق.

- الاعتداء على المال العام بطرق مختلفة مثل السرقة والاختلاس والتكسب من الوظيفة.

- الاحتكار: وهو حبس السلعة عن التداول لإغلاء الأسعار.

- العمولات الوهمية: وهي نوع من أنواع الرشوة.

- المماطلة في أداء الحقوق مع المقدرة على أدائها.

- شهادة الزور للمساعدة على أكل أموال الناس بالباطل

■ المنهج الإسلامي لعلاج الفساد

المالي:

يقوم هذا المنهج على المبادئ والسياسات الآتية:

الاهتمام بالتربية الروحية والأخلاقية على مستوى البيت والمجتمع والدولة.

الاهتمام بتوعية الناس بما أحل الله وحرّم في المعاملات: معرفة الحلال للاتباع، ومعرفة الحرام للاجتباب في المعاملات.

حسن اختيار العاملين على أساس القيم الإيمانية والأخلاقية والكفاءة الفنية.

تفعيل أجهزة الرقابة المختلفة على مستوى البيت والمجتمع والدولة لتقوم بدورها في التصدي لكافة سبل الفساد



دور الوعي الإسلامي في مكافحة الفساد

د. عبدالرحمن العيسوي

الفساد أصبح ظاهرة خطيرة تصيب جميع مجتمعات العالم، النامية والمتطورة والمتقدمة منها على حد سواء، وإن كان بدرجات متفاوتة. ومن المؤسف أن معدلات الفساد آخذة في الازدياد، فضلاً عن تنوع المجالات التي يلحقها، كالفساد السياسي والاقتصادي والإداري والاجتماعي والأخلاقي.

وليس هناك تعريف محدد للفساد بالمعنى الذي يستخدم فيه هذا المصطلح في الوقت الحالي، لكن هناك ثمة اتجاهات متعددة تتفق في كون الفساد «إساءة استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة للكسب الخاص»، ولكن هذا فقط أحد مظاهر أو مجالات الفساد.

جميع الحكومات هي عرضة للفساد السياسي، وتختلف أشكال الفساد، لكنها تشمل الرشوة والابتزاز والمحسوبية والمحابة والاختلاس، في حين أن الفساد يمكن أن يسهل الأعمال الإجرامية، من قبيل الاتجار بالمخدرات وغسيل الأموال والمتاجرة بها، لكنه لا يقتصر على هذه النشاطات، بل قد يمتد ليشمل كل مجالات الحياة العصرية، فالفساد الحكومي هو استخدام سلطات مشروعة أو شرعية لتحقيق أهداف غير مشروعة أو أهداف شخصية.

ومن أظهر مظاهر الفساد ما يلي:

- ١- الرشوة.
- ٢- الابتزاز.
- ٣- المحسوبية.
- ٤- المحابة.
- ٥- الوساطة.
- ٦- الاختلاس.



والإتقان.

والفساد يتفشى ويتسرب إلى أعصاب الحياة فيصيبها بالشلل والعطب والخراب.

تعريف ظاهرة الفساد

الفساد مصطلح يشير، بشكل عام، إلى حالات انتهاك مبدأ النزاهة وقيمها ومعاييرها، ويعرف الفساد السياسي، وهو أحد مظاهر الفساد أو أحد مجالات الفساد العديدة، بأنه استخدام لسلطات مشروعة من قبل مسؤولين حكوميين لغرض تحقيق مكاسب خاصة غير مشروعة، كذلك سوء استخدام سلطات الحكومة لتحقيق أغراض أخرى تصب في المصالح الشخصية.

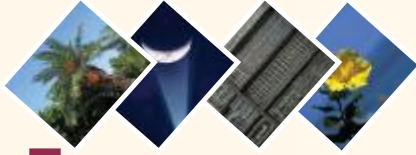
الفساد corruption آفة

تدمر جهود التنمية وتمتص عائداتها، ومن المؤسف أن الفساد يزيد الفقراء فقراً والأثرياء ثراءً إذا كانوا فاسدين وبذلك في ظل الفساد تنعدم العدالة الاجتماعية، فلا عدالة مع الفساد، بل ولا تنمية في ظل الفساد، فالمجتمع الذي ينشد النمو والرخاء والتقدم والازدهار والقوة لا بد له من أن يتخلص أولاً من الفساد ويبسط قيم الإصلاح.

والفساد آفة العصر، والفساد يعوق جهود التقدم والنماء والرخاء، فضلاً عن تحطيمه وتدميره للقيم الأخلاقية والوطنية والعربية والإسلامية، والفساد يجعل أفراد المجتمع يشعرون باليأس والإحباط ويفقدون الأمل في الإصلاح وفي التطوير وفي التقدم والرخاء وفي بسط العدالة والديمقراطية، وتغيب الآمال في مستقبل أفضل وفي حياة أكثر رخاءً.

وينال الفساد من قيم الحق والعدالة والإنصاف والمساواة والإخاء والرحمة والشفقة بين الناس. ويجعل عامة الناس يشعرون بفقدان الثقة ويفقد الأفراد الأمل في جدوى الإصلاح والتطوير والتقدم والرخاء والتجويد والتحسين

باحث دراسات نفسية



أنواع الفساد

● الفساد السياسي: إساءة استخدام السلطات العامة (الحكومة) من قبل النخب الحاكمة لأهداف غير مشروعة كالرشوة، الابتزاز، المحسوبية، والاختلاس.

● جرائم الشركات: في علم الجريمة تتمثل جرائم الشركات أو الجرائم الاقتصادية في انحرافات «مالية أو إدارية» ارتكبت عن طريق شركة (كيان تجاري له شخصية قانونية مستقلة من أشخاص طبيعيين يقومون بإدارة أنشطتها)، أو من قبل أفراد بالإنابة، ومخالفة القواعد والأحكام المالية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في المؤسسة.

- رشوة.
- فساد البيانات أو فساد المعلومات.
- الفساد اللغوي.
- التعفن أو التحلل.

ومؤدى ذلك أن الفساد قد يكون سياسياً أو إدارياً أو اقتصادياً أو مالياً أو اجتماعياً وأخلاقياً، ويتمثل الفساد السياسي في تزوير الانتخابات وتكوين المجالس النيابية بالبطلان وهدر رغبات الشعب، ويتمثل الفساد الاقتصادي في الرشوة والاختلاس والابتزاز ويتمثل الفساد الإداري في فساد البيانات والاحصاءات في تعيين الأقارب والمحاسيب.

وقد يمارس الناس الفساد دون أن يعترفوا بذلك بل قد يدعون أنهم مصلحون كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ (البقرة: ١١)، ووفقاً لتفسير د. شوقي ضيف فإن الله تعالى يقول للمفسدين: لا تفسدوا في الأرض عن طريق المعصية والنفاق، قالوا إنما نحن نسير على الهدى وليس ما نقوم به من الفساد.

الفساد آفة تدمر جهود التنمية وتمتص عائداتها

(IMF) الذي ينظر إلى الفساد من حيث أنه علاقة الأيدي الطويلة المتعمدة التي تهدف لاستنتاج الفوائد من هذا السلوك لشخص واحد أو لمجموعة ذات علاقة بالآخرين.

يصبح «الفساد» علاقة وسلوكاً اجتماعياً، يسعى رموزه إلى انتهاك قواعد السلوك الاجتماعي، فيما يمثل عند المجتمع المصلحة العامة، لهذا يصنف المختصون في قضايا الفساد أنواعه إلى واسع وضيق، فالفساد الواسع ينمو من خلال الحصول على تسهيلات خدمية تتوزع على شكل معلومات، تراخيص، أما الفساد الضيق فهو قبض الرشوة مقابل خدمة وظيفية بسيطة، أي عندما يقوم موظف بقبول أو طلب ابتزاز «رشوة» لتسهيل عقد أو إجراء طرح لمنافسة عامة مثلاً، كما يمكن للفساد أن يحدث عن طريق استغلال الوظيفة العامة من دون اللجوء إلى الرشوة، وذلك بتعيين الأقارب ضمن منطوق «المحسوبية والمنسوبية» أو سرقة أموال الدولة مباشرة.

فالفساد ظاهرة اجتماعية وإدارية وسياسية واقتصادية، وهو نوع من العلاقة يتم فيها انتهاك القيم والمثل والمعايير والقوانين المنظمة للأعمال. للفساد درجات مختلفة، منه البسيط ومنه الواسع المعقد، والفساد قد ينال كل مظاهر الحياة وكل جوانبها من دون استثناء.

- ٧- الأعمال الإجرامية.
- ٨- غسيل الأموال.
- ٩- تهريب الأموال.
- ١٠- التهريب من الضرائب.
- ١١- الاتجار في البشر.
- ١٢- سرقة الآثار.
- ١٣- تعاطي المخدرات.
- ١٤- التزوير.
- ١٥- التزيف.

الفساد لغة واصلاحاً

الفساد في اللغة هو «فسد» ضد صَلَحَ. «والفساد» لغة البطلان، فيقال فسد الشيء أي بطل واضمحل، ويأتي التعبير على معانٍ عدة بحسب موقعه، والتعريف العام لمفهوم الفساد بأنه اللهو واللعب وأخذ المال ظلماً من غير وجه حق، مما يجعل تلك التعابير المتعددة عن مفهوم الفساد، توجه المصطلح نحو إفراز معنى يناقض المدلول السلبي للفساد، فهو ضد الجِد القائم على فعل الائتمان على ما هو تحت اليد، ويقال فسد الطعام مثلاً إذا ناله العفن وفسدت اللحوم إذا نالها النتن.

يعرف الفساد بأنه «انحراف أو تدمير النزاهة في أداء الوظائف العامة من خلال الرشوة والمحاباة، وقد يعني الفساد: التلف إذا ارتبط المعنى بسلمة ما وهو لفظ شامل لكافة النواحي السلبية في الحياة، ويقال طعام فاسد كما يقال استدلال فاسد أو حكم فاسد أو سلوك فاسد إذا ابتعد عن الطريق القويم.

تعريف الفساد دولياً

التعاريف التي قدمتها المؤسسات الدولية لمصطلح الفساد- خاصة الهيئات التي تحمل صفة اقتصادية وسياسية كالبنك الدولي مثلاً- تعتبر الفساد «استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص غير المشروع»، وهذا التعريف يتداخل مع أطروحة صندوق النقد الدولي



ومن بين أبشع مظاهر الفساد وأكثرها قسوة قتل النفس بغير حق كما في قوله تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ (المائدة: ٣٢).

والمسلم مدعو للإحسان للناس والابتعاد عن الفساد والفواحش والرذائل وكافة الجرائم أو إيذاء الناس وظلمهم والاعتداء عليهم، فالإسلام يسعى لتكوين المجتمع المسالم الذي يحسن فيه الناس بعضهم



ويأمر الله الناس بعدم الفساد في الأرض بعد إصلاحها كما في قوله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ (الأعراف: ٥٦). فالله يحب المؤمنين ولا يحب المشركين ويؤكد هذا النص البليغ أن الأرض مخلوقة بنظام دقيق يكفل لها صلاحها وأن الإنسان هو الذي يفسدها، والإنسان يدعو الله خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

إلى بعض.

اهتداء بقوله تعالى: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ (القصص: ٧٧).

فالمسلم منهي عن الفساد في المجتمع أو في الأرض ومدعو للإحسان إلى الناس وبرهم والعطف عليهم ومساعدتهم.

وإذا انتشر الفساد كما هو الحال الآن في بعض المجتمعات التي ابتعدت عن حظيرة الدين وعن مظلة الإيمان كان ذلك من صنع الناس ومن أيديهم كما في قوله عز وجل: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم: ٤١). فالفساد يكون من صنع البشر ومن أعمال الناس.

وقد يمارس الإنسان الظلم وهو لا يعلم أو لا يدرك ذلك أو لا يعي أو يشعر أنه يفسد كما في قوله ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة: ١٢).

ما أحوجنا نحن معشر الإسلام أن نعود إلى حظيرة الإيمان وأن نتحلى بقيم إسلامنا الحنيف التي هي خير عاصم من الزلل والشطط والفساد والعدوان وسائر الرذائل والآثام.

العقاب تدعيماً لفكرة الثواب والعقاب التي شرعها الإسلام لتكون وسيلة ناجحة في تربية المسلم على التقوى والطاعة كما جاء في قوله عز وجل: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (الرعد: ٢٥)، أي الدار الآخرة حيث ينالون العقاب.

ويقابل القرآن الكريم بين «الفساد» و«الإصلاح» في قوله تعالى: ﴿الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ (الشعراء: ١٥٢).

ومن مظاهر سلوك الفساد العديدة التي يذكرها القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر هلاك الحرث والزرع والنسل كما في قوله عز وجل: ﴿ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة: ٢٠٥).

فالله تعالى يقول إنه يكره الفساد وبالطبع لا يحبه ولا يحب المفسدين في الأرض والذين يزداد عددهم في هذه الأيام نظراً لبعد الناس عن حظيرة الإيمان وعن قيم إسلامنا الحنيف في النزاهة وطهارة القلب وطهارة اليد والأمانة والصدق والوفاء والولاء والرغبة في تعمير الأرض والأكل الحلال من خيراتها.

ويصف الله تعالى الفاسدين بالخاسرين ويربط بين الفساد أو ممارسة الفساد وقطع صلة الرحم، تلك التي أمر الله تعالى بأن توصل، ولعله من مزايا الهدى الإسلامي الكريم الدعوة إلى صلة الأرحام تحقيقاً للتكافل والتضامن والتساند الاجتماعي وصيانة وحدة الأسرة المسلمة وترابطها كما جاء في قوله تعالى: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ (البقرة: ٢٧)، أي قطع صلة ذوي الرحم ويرتكبون الآثام والمعاصي وهم الخاسرون وهم الذين سيلقون عذاب النار، وقوله تعالى ﴿ويفسدون في الأرض﴾ تعبير عن الفساد في المجتمع كله.

فللسفاد أشكال ومظاهر مختلفة كلها منهي عنها بالكتاب والسنة.

وليس ما نشاهده في هذه الأيام من تقشي ظواهر الفساد إلا من بعد الناس عن الهدى الإسلامي المبارك الذي يحض على فعل الخير وتجنب الشرور والآثام والمعاصي والمفاسد ما ظهر منها وما بطن.

وينذر الله تعالى الفاسدين بسوء



مسؤولية الإعلام عن الفساد

محمد الهامي

اعتناق فكر ثقافي يطرح دعامة من دعائمها الراسخة للمناقشة، ولئن كان هذا النفور وذلك العداء الخفي نادراً نسبياً فهو يؤدي دائماً إلى صميم الحضارة، وربما وجدنا حضارة ما إذا ما وُجِعت لذلك تستبعد في عناد ومكابرة هذا أو ذلك من أية إسهامات خارجية، فليس هناك حضارة- كما قال مارسيل موس- جديرة باسم الحضارة ليس لها عادات الرفض والنفور من الإسهامات الدخيلة».

إلا أن الإعلام لدينا ينفر مما يميزنا! وأكثر ما يبدو هذا واضحاً لدى الحديث المفزوع عن «السلفيين»، وهو حديث ما بقي له إلا أن يصفهم بأصحاب الأنياب والمخالب النازلون من الفضاء والقاصدون تدمير الحضارة الإنسانية، وهذا الفزع المرعوب يوحي كأن السلفيين ظهروا فجأة في مجتمعاتنا العربية لا أنهم بشر منا يعيشون بيننا نعرفهم ويعرفونا منذ زمان، كأننا نزل السلفيون فجأة في مجتمع غربي، فانتفض يريد بحث هذه «الظاهرة الغريبة الجديدة التي خرجت في غفلة من الزمان»!

بل إن إعلاماً يقوم عليه مسلمون لا يُخفي انزعاجه من أمور هي من صميم ديننا وتراثنا، فتجد مسلماً ينزعج من اللحية والجلباب والنقاب وما إلى ذلك، كأن رسولنا لم يكن ذا لحية، أو أن زوجاته لم يكن منقبات، أو كأننا ما عشنا عمرنا الحضاري كله نرتدي الجلباب والعباءة والعمامة حتى خلعناها في لحظات الهزيمة العسكرية والتكبة الحضارية!!

لا يدري هؤلاء أن تغريب المجتمعات الإسلامية، بل والشرقية كلها، أمر مستحيل، لم تفلح فيه مائتا سنة من السيطرة الكاملة.

وأهم، ولم يعد غريباً أن تقرأ الرد على ما يطرحه الإعلام الآن في كتاب مات صاحبه منذ قرن!

هذه الأزمة التي تفرض التوقف والتكرار وإعادة هضم المهضوم وإنتاج المستهلك إنما هي صورة للمشكلة العميقة التي تجعل النموذج الغربي هو النموذج المقدس الذي تحاكم إليه المواقف والرؤى، فبه تقاس وبه يقضى عليها بالصلاحية أو عدمها، وهو حديثٌ مُسْحَقٌ حضارياً، جعلنا في «مأزق حقيقي لا يمكن الخروج منه إلا بتجاوز الإشكاليات الأساسية» بحسب د. رفيق حبيب (القبطي ديانة والمسلم حضارة) الذي يقول إن «شرط الديمقراطية كقاعدة للعمل السياسي تحول إلى معيار تملكه القوى العلمانية، فأصبحت هذه القوى هي المسيطرة على المفهوم، وهي الداعية له، وعلى هذا الأساس أصبحت هناك فئة محددة تملك أن تقرر ديمقراطية القوى الأخرى من عدمها، ويتعدى الموقف بسبب تبني هذه القوى في معظمها للنموذج الغربي، مما عليها وكيلاً للحضارة الغربية، وفي نفس الوقت صاحبة الحق الوحيد في قبول ورفض القوى السياسية الأخرى وتحديد مدى صلاحيتها للعمل السياسي، وبهذا فرض النموذج الغربي باعتباره الإطار المرجعي لتحديد «الشرعي» وعزل «غير الشرعي»، وأدى ذلك بالضرورة لأزمة «الإسلامي» فأى طرح إسلامي يوضع على معيار غربي حتى يتم قبوله أو رفضه».

لا يريد القائمون على الإعلام أن يفهموا أن خصوصياتنا الثقافية ضرورية لبناء حضارة متفردة، حتى لو سقنا لهم كلام واحد من أهم فلاسفة الحضارة في القرن العشرين، وحتى لو كان فرنسياً، يقول فرناندو بروديل: «الشائع في كل حضارة أنها تُبدي نفوراً من

روى ابن قتيبة في عيون الأخيار أن أبا حية التميري، وكان مشهوراً بالجبين مع الكذب والتعالي، كان له سيف يسميه «لعاب المثية» رغم أنه ليس بينه وبين الخشبة فرق، سمع يوماً صوتاً خارج الدار فظنه لصاً فخرج حاملاً خشبته ينادي: أيها المغتر بنا والمجترئ علينا، بس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل، لعاب المثية الذي سمعت به، مشهور ضربته لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك وإلا دخلت بالعقوبة عليك، إني والله إن أدعُ قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً، يا سبحان الله، ما أكثرهم وأطيبهم! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً.

وإن مثل إعلامنا في العالم العربي الآن كمثل أبي حية، يخلق القضايا الموهومة ثم يُشيعها مناقشة ومتابعة وتحليلاً ورسداً، ولا يكاد ينتهي من حادثة إلا يبدأ في أخرى تدور في نفس سياق القضايا الموهومة.

خذ مثلاً قضية «الدولة الدينية والدولة المدنية»، ذلك الأمر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بفعل الهوس الإعلامي، لتبدو القضية وكأنها فكرة طرحت نفسها الآن للمرة الأولى، رغم أن نقاشها بدأ منذ نحو مائة عام في العالم الإسلامي، وقد كُتب فيها ما لا يكاد يحصى من الدراسات والمقالات والكتب حتى صار اتهام الإسلام بالدولة الدينية اتهاماً مُملاً وسخيفاً، إنها تهمة لا نجدها حتى في كتب المستشرقين منذ نصف قرن على الأقل! فهل هذا فعل جاهل لا يعلم أم فعل مُغرض لا يريد أن يفهم؟

ومثل هذا كثير في عالمنا العربي، إذ تظل القضايا المطروحة «مهلك سر»، كأننا الحياة لا تتحرك ولا تفرض قضايا جديدة هي أولى

باحث تراشي

النيابة في زكاة مال الصبي والمجنون ومن في حكمهما



د. صالح النهام

للنيابة في الزكاة أهمية كبرى في شرعنا الإسلامي، إذ إن الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي شقيقة الصلاة، وقد تكرر ذكر الزكاة في القرآن الكريم ثلاثين مرة، وفي سبع وعشرين منها مقرونة بالصلاة في آية واحدة، مما يدل على أهميتها وعظم شأنها، وذكرت ثمانين منها في السور المكية، والبقية في السور المدنية، وأركان الإسلام تشكل وحدة متكاملة لا يقوم الدين إلا بأدائها **مجتمعة.**

كان صحيحاً، مع العلم أننا نعرّف النيابة بوجه عام، ومن هنا يكون التعريف غير جامع، كذلك التعبير بأن النيابة وقوع الشيء عن المنوب عنه مع سقوطه عنه، هذا تعريف للنيابة بنتيجتها، والشيء لا يعرف بنتيجته، بل بما يُظهر حقيقته وماهيته، أما التعريف الأول فقد جاء جامعاً؛ لوضوحه وموافقته لبعض المعاني اللغوية لكلمة (نوب)، والتي من معانيها اللغوية: القيام مقام الغير.

المسألة الثانية: الزكاة في مال الصبي

والمجنون ومن في حكمهما:

لا غرو أن العلماء أجمعوا على وجوب الزكاة في مال المسلم البالغ العاقل (٥)، لكنهم اختلفوا في وجوبها في مال الصبي والمجنون ومن في حكمهما، مثل: المعتوه، والعبد المكاتب، ونحوهم ممن لا يستطيعون الاستقلال في التصرفات المالية.

والمراد بالصبي، هو: غير البالغ، والبلوغ يعرف بأمارات طبيعية أو بالسن، أما الأمارات فمنها متفق عليها، مثل: الاحتلام، والحيض، والحمل، ومنها مختلف في تحقق البلوغ بها، مثل: غلظ الصوت.

أما السن التي يحصل بها البلوغ فهي

لا ريب أن أساس الملكية في الإسلام هو الاستخلاف، فليست الملكية فردية محضة على النحو الرأسمالي، ولا اجتماعية محضة، أي: ملكية الدولة، كما في المجتمع الشيوعي، إنما هي ملكية لله تعالى، استخلف فيها الإنسان (١).

المسألة الأولى: التعريف بالنيابة:

النيابة لغة مصدر للفعل ناب، وتأتي لعدة معان منها:

- الرجوع، يقال: ناب إلى الله - عز وجل - بمعنى: رجع.
- العقاب، يقال: نابوه أي: عاقبه.
- القيام مقام غيره، يقال: ناب عنه نوباً، ومناباً، بمعنى: قام مقامه، تقول: جاءت نوبتك ونيابتك، ومن هنا: يظهر أن النوبة والنيابة بمعنى واحد (٢).
- والنيابة اصطلاحاً عُرِّفت بتعاريف عدة منها:
- قيام الشخص عن غيره بأمر من الأمور (٣).

- وقوع الشيء عن المنوب عنه، مع سقوط الشيء عنه (٤).

والذي يظهر من التعريفين أن التعريف الثاني خاص بالنيابة الصحيحة لقولهم: «مع سقوط الشيء عنه»، والشيء المطلوب من الشخص لا يسقط بفعل غيره، إلا إذا

خمس عشرة سنة عند الشافعية (٦)، والحنابلة (٧)، وهو المفتى به عند الحنفية (٨)، ودليلهم على ذلك: خبر ابن عمر رضي الله عنهما عندما قال: «عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجْزِنِي - فِي الْمَقَاتِلَةِ - وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِي» (٩).

ويرى المالكية أن سن البلوغ تمام ثمانين سنة (١٠)، وهو قول أبي حنيفة في الذكر، أما الأنثى فسن بلوغها عنده سبع عشرة سنة (١١)، ووجهتهم أن تلك السن هي التي يقع فيها اليأس من الاحتلام.

والراجح في ذلك قول الجمهور؛ لاستناده إلى النص، وعلى هذا فإذا لم يحصل بلوغ طبيعي ثبت بلوغ الصبي أو الصبية خمس عشرة سنة.

أما المجنون فهو من أصابه الجنون وهو اختلال في العقل ينشأ عنه اضطراب وهيجان، وقد يكون مطبقاً، أي: مستمرّاً، أو غير مطبق، أي: متقطع، وأيضاً فقد يكون أصلياً، وقد يكون طارئاً، فالأصلي أن يبلغ الشخص مجنوناً، والطارئ هو ما يقع بالشخص بعد بلوغه عاقلاً.

والمراد بالجنون هنا عند الحنفية الجنون الأصلي وكذا الطارئ الذي يدوم سنة أو أكثر، أما الطارئ الذي لا يدوم سنة فالصحيح أن صاحبه يُعد كالسليم بالنسبة للزكاة (١٢)، ووجهتهم في ذلك: أن السنة للزكاة كالشهر، أي: شهر رمضان بالنسبة للصوم والإفاقة، فالإفاقة في جزء من الشهر توجب صوم الشهر، فكذا الإفاقة في جزء من السنة تكفي لانقضاء الحول على المال، قال أبو يوسف: العبرة في الطارئ الذي لا يدوم سنة بأكثر السنة، فإن أفاق أكثر السنة كان كالصحيح، وإلا فلا، لأن للأكثر حكم الكل، فمن كان مفيقاً في معظم السنة عدّ مفيقاً في كلها. هذا والذي يجن ويفيق كالصحيح، لأنه بمنزلة النائم والمغمى عليه وهؤلاء كالصحيح بالنسبة للزكاة.

أما المعتوه فهو قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير وإن كان لا يضرب ولا يشتم كما يفعل المجنون، وهو في حكم الصحيح بالنسبة للزكاة (١٣).

وبعد هذا التوضيح لمفردات العنوان أقول: اختلف الفقهاء في وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون، إلا أن هذا الخلاف يتطلب منا الوقوف على محل تحرير النزاع أولاً، فأقول: إن الاتفاق قائم على وجوب إخراج زكاة الفطر عن الصبي، وعن المجنون؛ وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رَمَضانَ على كل نفس من المسلمين حرّاً أو عبداً أو رجلاً أو امرأةً صغيراً أو كبيراً صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعير» (١٤).

وكذلك الاتفاق قائم على وجوبها في زكاة مال أبي الصبي والمجنون إن لم يكن للصبي أو المجنون مال (١٥)، لأن نفقتهما واجبة على الأب، أما إن كان لهما مال فقد اتفق عامة أهل العلم على وجوبها

أجمع العلماء على وجوب الزكاة في مال المسلم البالغ لكنهم اختلفوا في وجوبها في مال الصبي والمجنون

في مالهما؛ لأنها حق الفقير والمسكين، وحق العبد لا يمنع وجوبه صبي ولا جنون، ولم يخالف في هذا أحد سوى محمد بن الحسن وزفر من الحنفية (١٦)، حيث قال بوجوبها حينئذ في مال أبيه أيضاً، أي: كما لو لم يكن للصبي أو المجنون مال، ووجه قولهما: إنها عبادة والعبادات لا تجب على الصبي أو المجنون كالصوم والصلاة.

والراجح القول الأول؛ لأنها ليست عبادة محضة كما سيتبين لنا فيما بعد، مع العلم أن الخلاف الآتي إنما هو في غير زكاة الفطر، وبيانه على النحو التالي:

اختلف الفقهاء في وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون على عدة آراء يمكن إجمالها في رأيين، بيانهما فيما يلي:

الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء من المالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الظاهر، إلى أن الزكاة عبادة مالية واجبة في مال الصبي والمجنون مطلقاً ذكراً كان أو أنثى، أي: سواء أكان زروعاً أم ثماراً، وسواء أكان ظاهراً كالنعم، أم باطناً كالذهب، وسواء أكان ينمى ويستثمر أم كان لا ينمى (١٧)، وهذا مروى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم منهم أم المؤمنين عائشة، وابن عمر، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم (١٨).

لكن هؤلاء قد اختلفوا فيمن يتولى

إخراج تلك الزكاة، أهو الولي أم الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته؟ فذهب أكثرهم إلى أنه الولي فإن لم يفعل تقصيراً أو اعتقاداً لعدم وجوبها في مالهما وجب على كل منهما بعد البلوغ أو الإفاقة إخراجها عما مضى من سنين (١٩).

وذهب ابن مسعود والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى إلى أنه الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته أي: إنها تجب في مال كليهما لكن لا تخرج منه حتى يبلغ الصبي أو يفيق المجنون فيخيره الولي بما عليه من زكاة فيقوم بدفعها (٢٠).

وبناء على هذا القول، فالولي ينوب عنهما في إخراج زكاة أموالهما، وتقريتها، ومن ثم ينوي عنهما؛ لأنهما لا نية لهما، فلما تعذرت منهما قام بها الولي قياساً على الإخراج عنهما (٢١).

إذن الولي يقوم مقامهما في أداء ما عليهما، ومن ثم تعتبر نيته في الإخراج كما تعتبر النية من رب المال، وذلك باتفاق القائلين بوجوب الزكاة في أموالهما في الجملة (٢٢).

الرأي الثاني: لا تجب الزكاة في مال الصبي والمجنون، وبعض من ذهب إلى ذلك لا يستثنون شيئاً من المال وهم سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والشعبي والحسن البصري كما حكى ابن رشد عنه، لكن أكثرهم يستثنون بعض أموالهما فيوجبون الزكاة فيه، ومعظم هؤلاء يستثنون زروع وثمار كل من الصبي والمجنون فيوجبون الزكاة فيهما، وهؤلاء هم الحنفية وزيد بن علي وجعفر الصادق من أئمة الشيعة، وبعضهم يستثنون أموالهما الظاهرة، أو النامية كالنعم والثمار والزروع فيوجبون فيها الزكاة وهم ابن شبرمة والحسن البصري كما حكى ابن حزم عنه (٢٣).

والسبب في الاختلاف أمران:

تعتبرنية الولي في إخراج زكاة الصبي والمجنون كأنه رب المال

لا تحصل بدون نية، فدل ذلك على أنها حق للعبد .

- الزكاة يجري فيها الجبر على الأداء والاستخلاف من الساعي، ويصح فيها توكيل الذمي بأدائها وهو ليس من أهل العبادات، لأن شرط صحة أداء العبادات الإسلام، ولو كانت الزكاة عبادة ما صح ذلك.

- حقيقة الزكاة أنها تملك المال للفقير، والمنتفع بها هو الفقير، فكانت حق الفقير.

واستدل الرأي القائل بعدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون بأدلة كثيرة إليك بعضاً منها:

- قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، والصبي والمجنون لا ذنوب عليهما، حتى يحتاجا إلى التطهير والتزكية، فلا تأخذ حينئذ من أموالهما الزكاة.

- الزكاة عبادة محضة، كالصلاة، والعبادات يناط الأمر بها بالملكف، وهو البالغ العاقل، أما غير الملكف فلا تجب عليه التكاليف الشرعية، مع العلم أن العبادة تحتاج إلى نية ولا نية للصبي ولا المجنون، ومن ثم فلا تجب عليهما الزكاة، كما لا يجب عليهما صوم ولا صلاة.

- الإسلام يراعي أموال الضعفاء، ويحرص على نمائها، وعدم مسها، إلا بالتي هي أحسن، وأخذ الزكاة منها عامماً بعد عام يعرضها للانقراض، فيتعرضان للحاجة والفقر.

ويمكن الإجابة على استدلال الرأي الثاني بما يلي:

- إن التطهير في الآية الكريمة ليس خاصاً بالذنوب لينحصر في الملكفين، وإنما هو عام في تربية الخلق، وتزكية النفس، وتعميدها على الفضائل.

- قولكم: إن الزكاة عبادة محضة كالصلاة، فصحيح؛ لكنها عبادة مالية،

فهذا النص أيضاً عام يشمل كل أغنياء المسلمين صغاراً أو كباراً، عقلاء أو مجانين، كما أنه عام في فقرائهم، إذ لم يقل أحد بأن الصغير الفقير أو المجنون الفقير لا يأخذ من الزكاة.

الدليل الثاني: إن المقصود من الزكاة هو مواساة الفقير والمسكين، وتطهير مال الغني وحصوله على الثواب، وكل من الصبي والمجنون بحاجة إلى التطهير والثواب، كما أنهما من أهل المواساة، ولهذا يجب في مالهما نفقة أصولهما وفروعهما المحتاجين، وإذا ملك أي منهما أباه الرقيق فإنه يعتق عليه ويصير حراً بمجرد ملكه إياه، فتجب الزكاة في أموالهما.

الدليل الثالث: الزكاة حق العباد، والصبي والمجنون أهل بالاتفاق لوجوب حقوق العباد في أموالهما كضمان المتلفات، وأروش الجنائيات، ونفقة الأقارب والزوجات، ويدل على أنها حق العبد ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (التوبة: ٦٠)، وقوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِمَّا لِيُؤْتُوا مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَالَّذِينَ فِي شَرَارِئِهِمْ لَمْ يَكْفُرُوا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، والإضافة بحرف اللام تقتضي الاختصاص على جهة الملك إذا كان المضاف إليه من أهل الملك كما في الآيتين الكريمتين.

- الإجماع على أن من عليه الزكاة إذا وهب جميع النصاب للفقير بدون نية أداء الزكاة سقطت عنه الزكاة، والعبادة

الأول: اختلاف العلماء في مفهوم الزكاة الشرعية، هل هي عبادة كالصلاة والصيام أم هي حق العبد للفقراء ونحوهم على الأغنياء؟ فمن قال: إنها عبادة، قال: الصبي والمجنون ليسا من أهل وجوب العبادة، فلا تجب عليهما الزكاة كما لا تجب عليهما الصلاة والصوم، ومن قال: إنها حق العبد، قال: الصبي والمجنون من أهل وجوب حقوق العباد كضمان المتلفات وأروش الجنائيات ونفقة الأقارب والزوجات (٢٤).

الثاني: لقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ تدل على وجوب الزكاة في أموال الصغار، ومن ثبتت عنده تلك الأحاديث، قال: بوجوب الزكاة في أموالهم، ومن لم تثبت عنده تلك الأحاديث، أو رآها أضعف من أن تخصص العمومات الواردة بعدم تكليفهم، قال: بعدم وجوب الزكاة في أموالهم (٢٥).

وقد استدلل القائلون بوجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون بأدلة كثيرة هاك بعضاً منها:

الدليل الأول: النصوص العامة في الزكاة الواردة في الكتاب والسنة والتي دلت على وجوب الزكاة في أموال المسلمين ولم تفصل بين البالغين والصبيان ولا بين العقلاء والمجانين، بل أمرت بأخذ الصدقة من أموال المسلمين عموماً دون استثناء لمال الصبي والمجنون، ومنها قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ (التوبة: ١٠٣)، فهذا النص عام في كل صغير وكبير وعاقل ومجنون؛ لأنهم جميعاً بحاجة إلى التطهير والتزكية والدعاء، ومنها قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن: «... فَإِنَّهُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» (٢٦)،

تجري فيها النيابة، حتى إنها تتأدى بأداء الوكيل إجمالاً حتى ولو كان ذمياً، وما دامت عبادة مالية تجري فيها النيابة فإنها تجب في مال الصبي والمجنون ويؤديها الولي عنهما.

- وقولكم: إن العبادات تحتاج إلى نية ولا نية للصبي ولا المجنون، ومن ثم فلا تجب عليهما الزكاة، كما لا يجب عليهما صوم ولا صلاة، فيرد عليه ب: أن المأمور بأخذ الزكاة من أغنياء المسلمين الإمام؛ بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾، فإن أخذها بنفسه أو عماله بنية أنها الصدقة أجزاء عن الغائب والمغنى عليه والمجنون والصغير ومن لم ينو عند أدائها.

- وأما قولكم بسقوط الصلاة والصوم عنهما، فلأنهما عبادات بدينية شخصية لا يجوز فيها توكيل ولا إنابة، بل على الإنسان أن يباشرهما بنفسه، لأن التعبد فيهما إنما هو باحتمال مشقتها، ثم إن سقوط فريضة لا يلزمه سقوط غيرها، فسقوط الصلاة عن الحائض لا يلزمه سقوط الصوم عنها، وسقوط الصوم عن المريض لا يلزمه سقوط الصلاة عنه، فسقوط الصوم والصلاة عن الصبي والمجنون لا يلزمه سقوط الزكاة عن أموالهما.

إذن بعد بيان رأي الفريقين، فإن الذي يغلب على الظن رجحان رأي جمهور العلماء في وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون مطلقاً، لكن هل يخرجها الولي أم أنها تجب ولا يخرجها الولي، بل يخرجها الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته؟ فالأكثر قالوا: يخرجها الولي، والبعض قال: يخرجها الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته، وقد استند هذا البعض إلى ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من ولي مال يتيم فليحص عليه السنين فإذا دفع إليه

ماله أخبره بما عليه من زكاة»، فهؤلاء ينظرون إلى أن الزكاة حق الفقير، لكنها عبادة يتقرب بها الشخص نفسه إلى ربه لينال مرضاته.

لكن ما استند إليه هذا البعض مجاب عنه: بأن ما روي عن ابن مسعود منقطع، لأنه مروى عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن مسعود، ومجاهد لم يدرك ابن مسعود، ثم إن ليثاً ضعيف، قال البيهقي: ضعّف أهل العلم ليثاً، فروايته لا يحتج بها.

فالأرجح حينئذ ما رآه الأكثر، وهو أن على الولي أن يخرجها من مالهما، لأنه يقوم مقامهما في أداء ما عليهما من الحقوق كنفقة الأقارب، وضمان التلطفات إجمالاً، فما الذي يمنع من قيامه بأداء

حق المسكين وابن السبيل؟ وأيضاً، لأن الزكاة لسد حاجة الفقير، والمسكين، وابن السبيل، وسد حاجة هؤلاء أمر لا يقبل التأجيل.

هذا، وإذا خشي الولي أن يطالبه الصبي بعد بلوغه أو المجنون بعد إفاقته بغرامة ما دفع من مالهما بناء على مذهب القائلين بعدم وجوب الزكاة في مالهما، فعليه أن يرفع الأمر إلى قاض يرى وجوب الزكاة في مالهما، حتى يحكم له بوجوب دفع زكاة مالهما، فلا يستطيع قاض بعد ذلك نقض هذا الحكم، لأن الحكم الأول رفع الخلاف، وتعتبر نية الولي في الإخراج كأنه رب المال، فعليه أن ينوي أنها زكاة مال الصبي والمجنون.

الهوامش

- ١٦- انظر: حلية العلماء للشاشي: (٩/٣)، معالم السنن للبيهقي: (٣٨/٢)، وانظر: معنى هذا الاعتراض في فتح القدير: (٢١٧/٢).
- ١٧- انظر: حاشية الدسوقي: (٤٣١/١)، المهذب للشيرازي: (١٤٠/١)، الإنصاف للمرداوي: (١٩١/٣).
- ١٨- انظر: المدينة لسحنون: (٢٥٠/١)، حاشية النجدي على مفتي الإيرادات للفتوح: (٤٣٥/١).
- ١٩- انظر: موطأ مالك: (٢٥١/١) المجموع: (٢٨١/٥) - (٢٨٢)، كشاف القناع: (٢٥٨/٢).
- ٢٠- انظر: مصنف عبد الرزاق: (٧٠/٤)، سنن البيهقي: (١٠٨/٤)، حلية العلماء للشاشي: (٩/٣)، وانظر: معنى هذا الاعتراض في فتح القدير: (٢١٧/٢).
- ٢١- انظر: مغني المحتاج للشربيني: (٥٥١/١) - (٥٥٢)، الشرح الكبير للمقدسي: (١٥٢/٧).
- ٢٢- انظر: حاشية الدسوقي: (٥٠٠/١)، مغني المحتاج: (٥٥١/١) - (٥٥٢)، التوضيح في الجمع بين المقنع والتقيح للشويكي: (٣٩٧/١).
- ٢٣- انظر: الاختيار لتعليل المختار لعبدالله الموصلي الحنفي: (١٣٠/١)، حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح: (ص: ٥٨٧-٥٨٨).
- ٢٤- انظر: بداية المجتهد: (٤١٥/١)، المجموع: (٢٩٣/٥) - (٢٩٦)، الانتصار في المسائل الكبار للكلوذاني: (٢٧٠/٣).
- ٢٥- انظر: الهداية مع فتح القدير: (١٥٤/٢)، حاشية ابن عابدين: (٢٥٨/٢) - (٢٥٩).
- ٢٦- أخرجه البخاري، برقم: (١٣٩٥)، مسلم، برقم: (١٣٠).

- ١- انظر: دراسة مقارنة حول الموارد المالية الإسلامية والضرائب المعاصرة: (ص: ٥-٦).
- ٢- انظر: مادة: (ناب)، في كل من: مختار الصحاح، القاموس المحيط.
- ٣- انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: (١٧/٢).
- ٤- انظر: شرح الزرقاني على مختصر خليل: (٢٤٣/٢).
- ٥- انظر: البدائع للكاساني: (٢١٢/٢)، النية في شرح الهداية للعيني: (٣٤٤-٣٥٤)، بداية المجتهد لابن رشد: (٤١٥/١)، جواهر الإكليل شرح مختصر خليل: (١٢٦/٢)، نهاية المحتاج للرملي: (٣٦١/٤)، منهاج الطالبين للنووي: (٧٦، ٧٧/٣)، المغني لابن قدامة: (٦٢٢/٢)، كشاف القناع للبهوتي: (٢٥٨/٢).
- ٦- انظر: المجموع للنووي: (٢٩٣/٥) - (٢٩٦).
- ٧- انظر: المغني: (٦٢٢/٢).
- ٨- انظر: اختلاف العلماء للطحاوي باختصار الجصاص: (٦-٥/٢).
- ٩- أخرجه البخاري، برقم: (٢٦٦٤)، وذكره الطحاوي في كتابه اختلاف العلماء، بزيادة: في المقابلة.
- ١٠- انظر: مواهب الجليل للحطاب: (٩٥/٥).
- ١١- انظر: حاشية ابن عابدين: (٢٥٨/٢) - (٢٥٩).
- ١٢- انظر: حاشية ابن عابدين: (٢٥٨/٢).
- ١٣- انظر: المرجع السابق.
- ١٤- أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٥٣٣٩)، مسلم، برقم: (٢٣٢٩).
- ١٥- انظر: البدائع: (٨١٤/٢)، موطأ مالك: (٢٥١/١) المجموع: (٢٨١/٥) - (٢٨٢)، المتع في شرح المقنع للفتوح الحنبلي: (١٩٧/٢) - (١٩٨).

لقد جاءت شريعة الإسلام لهداية الناس للحق، وإخراجهم من سجن الهوى وعبودية الشهوات وريقة التسلط والظلم إلى رحابة العدل والحرية والكرامة، لإقامة مجتمع يتمتع كل أفراد وجماعته بما لهم من حقوق، ويقوم كل منهم أفراداً وجماعات بما عليهم من واجبات والتزامات.

إحياء الواجب الكفائي والعيني طريق لإقامة مجتمع العمران

د. المصطفى تودي

ولما كانت المصلحة المرجوة من الواجب الكفائي هو تحققه بذاته في الأمة، ولأن فائدته لا تتوقف على قيام كل مكلف به، فإن الشارع لم يطلب حصوله من فرد أو أفراد معينين، وإنما طلب وجوده في المجتمع من غير نظر إلى الفرد الذي يقوم به، لأن مقصود الشارع منه حصوله في الجماعة، أي إيجاد الفعل لابتلاء المكلف.

وإصطلاح الأصوليون - ومنهم الشافعي - على إطلاق الواجب الكفائي على العام الذي يراد به الخصوص، وهو ما يرى فيه الشيخ أبو زهرة: «أن التعبير عنه بهذا المعنى تعبير جيد محكم مستقيم، ذلك لأن الخصوص فيه ملاحظ، والتكليف عام، بدليل إثم الجميع إن لم يقع الفعل... والخصوص ملاحظ لأن المقصود أن يقع الفعل من أدنى عدد، أو من العدد الذي يعقل أن يقع منه الفعل» (٥).

ب - أقسام الواجب الكفائي ذهب أغلب الفقهاء إلى تقسيم الواجب الكفائي إلى ضربين (٦):
- واجبات دينية: ويقصدون بها الفروض المرتبطة بالعبادة المحضة كصلاة الجنازة.

- وواجبات دنيوية: ويعنون بها المصالح العامة والمنافع التي تعود على الأمة كلها، كالصنائع والحرف والعلوم

للمصلحة بتكرر ذلك الفعل كالصلوات الخمس، فإن مصلحتها الخضوع لله، وتعظيمه ومناجاته والتذلل له والمثول بين يديه والتفهم لخطابه والتأدب بأدابه، وهذه المصالح تتكرر كلما كررت الصلاة» (٢).

ومن هنا فإن الواجبات العينية يحتم الشارع فعلها على كل فرد من الأفراد، حتى إذا عجز عن القيام بالفعل لم يطلب الشارع وقوعها من غيره، لأن المصلحة التكليفية فيها ترجع إلى المكلف نفسه» (٣).

ثانياً: تعريف الواجب الكفائي وتقسيماته

أ - تعريف الواجب الكفائي الواجب الكفائي هو المصلحة التي قصد الشارع حصولها وقيامها من غير نظر إلى فاعلها، ولذلك طلب الشارع من مجموع المكلفين إقامته لا من كل فرد بعينه، ولذلك سمي كفائياً، إذا تحققت مصلحته سقط عن الباقيين، لأنه يكفي في حصوله قيام بعض المكلفين بفعله دون البعض، ففرض الكفاية إذن هو ما يطلب من جملة الناس، أي يطلب تحقق الفعل فيه من الجماعة، فإذا فعله البعض سقط الطلب عن الباقيين، وإن لم يفعله أحد أثم الجميع، ويكفي في سقوطه عن من لم يقم به اعتقاده أن غيره قام به كالإفتاء وتعلم الطب والصناعات التي يحتاج إليها الناس (٤).

كما ألزمت الشريعة الإسلامية الأفراد بواجبات دينية؛ لتحقيق مقاصد خاصة وجلب منافع ودفع مضار جزئية تعود فائدتها على آحاد الناس وهو ما يسمى بالواجب العيني، فإنها كذلك تضمنت واجبات على الأمة كلها، لإقامة مجتمع الخلافة والعمران، وبناء الأمة الشاهدة على الأمم الأخرى، وبذلك ألزم الشارع الأمة بواجبات لا ترتبط بإقامتها بأفراد مخصوصين، ولا تعود مصلحتها على آحاد معروفين، بل كلفت بها الأمة تحقيقاً لمقاصد الشرع في حفظ ورعاية مصالحها الجماعية ودفع المخاطر والمفاسد عنها.

أولاً: تعريف الواجب العيني وتقسيماته

أ - تعريف الواجب العيني الواجب العيني هو «الذي يوجه فيه الطلب إلى كل واحد من المكلفين بعينه، بحيث إذا تركه أثم واستحق الذم ككل الفرائض التي يَأْتُم تاركها من صلاة وزكاة وحج ووفاء بالعقد» (١).

والمقصود من إقامة الواجب العيني هو تحقيق المصلحة الخاصة لكل فرد وهي تتكرر بتكرر القيام بهذا الواجب، يقول القرافي: «الأفعال قسماً منها ما تتكرر مصلحته بتكرره، ومنها ما لا تتكرر مصلحته بتكرره، فالقسم الأول شرعه صاحب الشرع على الأعيان كثيراً

♦ أستاذ مكون بالمركز التربوي الجهوي - فاس

المقصود من إقامة الواجب العيني هو تحقيق المصلحة الخاصة لكل فرد في المجتمع

ولهما مساس بكيان الأمة ووجودها في توفير احتياجاتها المختلفة قصد الارتقاء بها، وتظهر أهميتهما من خلال الأبعاد الآتية:

أ- ارتباط الواجب الكفائي والعيني بالمقاصد الشرعية

الواجبات العينية وإن ارتبطت بالإلزام بها بذات الفرد اختباراً له وتركية لنفسه وإصلاحاً لأمره وأمتحاناً لطاعته واستقامته، فإنها لا تخلو من أثر على الحياة الاجتماعية، ومن مقاصد عامة، لأنها تربي الفرد المسؤول الذي يعود على مجتمعه بالنعمة والرفق، وتساعد على نشر قيم التعاون والتضامن والوفاء، وتكون الضمير الحي الذي يراقب السلوك الذاتي ويقومه، مما يجعل الفرد عنصراً منسجماً مع مجتمعه، عضواً نافعاً فيه، ويساهم في استقامة الحياة الاجتماعية للأمة، «فهو مأمور بحفظ دينه اعتقاداً وعملاً، وبحفظ نفسه قياماً بضرورة حياته، وبحفظ عقله حفظاً لمورد الخطاب من ربه إليه، وبحفظ نسله التفاتاً إلى بقاء عوضه في عمارة هذه الدار، ورعياً له عن وضعه في مضیعة اختلاط الأنساب، وبحفظ ماله استعانة على إقامة تلك الأوجه الأربعة» (٨).

أما مقاصد الشرع من الفروض الكفائية فمتعددة، جماعها حفظ مصالح الأمة وضرورتها ودفع المفساد والمخاطر عنها، وتلبية حاجياتها والنهوض بما يقيم كيانها، وقد أكد العلماء على أن مصلحة الأمة هي مدار الواجبات الكفائية يقول الشاطبي: «... أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق» (٩).

وقال العزین عبدالسلام: «واعلم أن المقصود بفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفساد دون ابتلاء الأعيان بتكليفهم» (١٠).

ب- الفروض الكفائية والعينية حقوق لله وواجبات على الأمة ذلك أن حقوق الله لها ارتباط

الوازع الديني قويا والقيام بالواجب خلقا، والجهود الفردية تكفي لسد حاجيات الأمة ومتطلباتها، أما في عصرنا هذا فإن التخلي عن الواجب أصبح طبعاً، والاستهتار بالمسؤولية شيم كثير من الأفراد، مما أدى إلى ضياع الكثير من المصالح العامة والخاصة وتعطيل الواجبات الكفائية، حتى تضررت الأمة من هذا الضياع والتعطيل، ونتج عنه ضيق وحرَج وضعف للأمة، فتفوقت الأمم الأخرى وصرنا هدفاً للغزو الفكري والسياسي والاقتصادي.

الثالث: أن حث الطباع وإن كان حاضراً والوازع الديني وإن كان موجوداً فإنهما لا يكفيان للتصدي لحاجات الأمة الكبيرة ومتطلباتها العظيمة، ولدفع المخاطر عنها ومواجهة التحديات التي تواجهها، بل إن ذلك يتطلب تكتل جهود الأمة وتوحيد طاقاتها لدفع التخلف والتبعية عنها.

ولأهمية هذه الواجبات على واقع الأمة وعظم شأنها على مستقبلها لم تكلف الأفراد بها، ذلك أن قدرة الأفراد وطاقاتهم وقدرات الجماعة قاصرة عن النهوض والقيام بها.

ثالثاً: أهمية الواجب العيني والكفائي

حظي الواجب العيني والكفائي باهتمام كبير سواء من قبل الأصوليين القدامى أو من الباحثين المعاصرين، نظراً للمكانة التي يحتلونها ضمن مباحث الأصول، ولعلاقتها المباشرة بالحياة العامة للناس، وبما يترتب عن القيام بهما من مصالح للفرد والمجتمع والأمة كلها، فلهما ارتباط بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية،

التي تلبى حاجيات الأمة وضرورتها العمرانية.

وقد قصر الإمام الغزالي الواجب الكفائي على أعمال الآخرة فقط دون أمور الدنيا، مستدلاً على أن الطبع يحث عليها فأغنى عن حث الشارع بالإيجاب، يقول الإمام الغزالي: «أما المبايعات والمناكحات، والحراثة، والزراعة، وكل حرفة لا يستغني الناس عنها، لو تصور إهمالها لكانت من فروض الكفايات، ولكن في بواعث الطباع مندوحة عن الإيجاب؛ لأن قوام الدنيا بهذه الأسباب، وقوام الدين موقوف على قوام الدنيا ونظامها لا محالة» (٧). ولكن الراجح الذي عليه عامة الفقهاء أن الواجب الكفائي يتضمن الصنفين معاً، أمور الآخرة وأمور الدنيا، لأن الشارع ألزم بهما المكلف وحث على فعلهما، كما أن الفروض الكفائية المرتبطة بأمور الدنيا تتعلق بها قوة الأمة ونهضتها وتقدمها.

ثم إن مسألة حث الطبع التي استند إليها الإمام الغزالي لا تغني عن حث الشارع بالإيجاب بإطلاق وذلك لأمر أهمها:

الأول: أن الطبع قد يتخاذل في كثير من الأحيان على قيام الإنسان بواجباته، خصوصاً في هذا الزمان الذي رق فيه الدين في النفوس، وضعف الوازع الديني، ومن ثم يتدخل الشرع بالإلزام للقيام بما من شأنه إصلاح الطباع وتركية النفوس ودفعها إلى فعل ما فيه مصلحة الأمة والمجتمع.

الثاني: إن مبدأ حث الطبع الذي يغني عن حث الشارع، والذي انبنى عليه الخلاف في العصور المتقدمة قد يكون سائفاً في تلك الفترة التي كان فيها

الفروض العينية لا يمكن القيام بها والامتثال لها إلا إذا وجدت الواجبات الكفائية والمصالح العامة

منها له وقيامهم به، بل إن الذي يسقط هو مباشرة الأفراد الآخرين للعمل نفسه وليس المسؤولية؛ يقول الإمام الشاطبي: «يصح أن يقال إنه واجب على الجميع على وجه من التجوز، لأن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة، فهم مطلوبون بسدها على الجملة. فبعضهم هو قادر عليها مباشرة، وذلك من كان أهلاً لها، والباقون- وإن لم يقدرُوا عليها- قادرون على إقامة القادرين، فمن كان قادراً على الولاية فهو مطلوب بإقامتها، ومن لا يقدر عليها مطلوب بأمر آخر وهو إقامة ذلك القادر وإجباره على القيام بها» (١٥)، لأن العمل- الواجب الكفائي- قد يباشره فرد بذاته، لكن مسؤولية المراقبة والمساعدة والحث على إنجاح العمل لا تسقط على الأمة، ولذلك فإن ذمة كل فرد من أفراد الأمة تبقى مشغولة حتى يتحقق الواجب الكفائي ويثمر ثماره ومنافعه، فهو إذن واجب عيني على الأمة إلا أنه لا يتكرر القيام به إذا وجد، يقول القرافي: «الأفعال قسمان منها ما تتكرر مصلحته بتكرره، ومما لا تتكرر مصلحته بتكرره، فالقسم الأول شرعه صاحب الشرع على الأعيان كثيراً للمصلحة بتكرر ذلك الفعل كالصلوات الخمس... والقسم الثاني كإتقاد الغريق إذا شاله إنسان، فإنازل بعد ذلك في البحر لا يحصل شيئاً من المصلحة، فجعله صاحب الشرع على الكفاية، نفيًا للعبث وكذلك كسوة العريان وإطعام الجيعان ونحوهما» (١٦).

و- أهمية الواجب الكفائي في مقاومة الغزو الفكري والاقتصادي والعسكري لقد تأكد مما سبق أن القيام بالفروض الكفائية نهوض بالمصالح العامة للأمة، وسد لحاجياتها وضرورتها، وتقوية للقطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية والصناعية والفلاحية، وقد أدى تعطيل هذه الوظائف والقطاعات الأساسية، وقلة

للأمة بالجهاد وضمان استقرار المجتمع بإقامة العدل عن طريق القضاء، ونشر للأمن ودفع للفتن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتحقق هذه المقاصد التي تخدمها الواجبات الكفائية يوجد المجتمع المستقر الآمن الذي يستطيع فيه الفرد أداء واجباته العينية والامتثال للأوامر والنواهي الإلهية، «لأن الفروض العامة أو التضامنية، من الوجهة العملية، يتوقف عليها التمكن من أداء الفروض العينية «الفردية»، فما لم يكن هناك دفاع وجهاد، وما لم تظهر دولة إسلامية آمنة ذات سلطان، وما لم يتحقق العدل بالقضاء وفق أحكام الشريعة الإلهية، وهكذا، فإن أداء الفرد للفرض العيني، من عبادة أو زكاة أو نحو ذلك، قد يصبح متعذراً، بل إن حياة الفرد نفسه أو تمكنه من الحياة في حرية قد لا تكون ممكنة، وبقاء الدين نفسه يمكن أن يكون عرضة للخطر، فالفروض الكفائية أو التضامنية لها إذن هذه الأهمية العظمى، فيما يتعلق بحياة الأمة الإسلامية والدين» (١٤).

ه- الواجب الكفائي فرض عين على الأمة كلها وقد يصير عينياً على بعض الأفراد

لما كان المقصود من الواجب الكفائي وجوده وحصول المصلحة فيه دون النظر إلى فاعله، فإنه فرض عيني يلزم الأمة كلها القيام به تحقيقاً لمقاصد الشارع، فهو يؤدي بالتضامن والتعاون والإنابة، لأن جهود الأفراد منفصلة قاصرة عن القيام به لأهميته وخطورته، وارتباطه بأمور كلية في الدين، وبفضايا كبيرة في الأمة، ولذلك فإن مسؤولية الأمة في الواجب الكفائي لا تسقط بمباشرة أفراد

بالحياة الاجتماعية للناس، لأنها إما تتعلق بالواجبات العبادية أو بالمصلحة العامة للأمة، لأن أغلب حقوق الله التي لها ارتباط بالمصالح العام هي واجبات على الأمة كلها، إذ عليها يتوقف كيان المجتمع، والقيام بها نهوض بالمجتمع وقيام بمصالح الأمة، ومن ثم كان القيام بالواجبات الكفائية قياماً ورعايةً لحقوق الله.

ج- تساوي الواجب العيني والكفائي في الأهمية

الواجب العيني والكفائي متساويان في الإيجاب والإلزام، لأن كلا منهما طلب الشارع حصوله وحتم وجوده، ورتب عليهما العقاب على تركهما وعدم القيام بهما، إذ لو لم يكن للواجب الكفائي أهمية كبيرة ومنزلة خطيرة ما طلب الشارع من الجميع القيام به ولا حتم على الكافة إيجاده، ولا رتب على الأمة كلها الإثم على تركه، ومن ثم لم تبق للمفاضلة بين الواجب الكفائي والعيني فائدة، لأن كل منهما جزء من أحكام الشريعة ومصالح قصدها الشارع من وراء القيام بها على سبيل الحتم والإلزام، ويبقى الفرق بينهما «أن المقصود في فرض الكفاية تحصيل المصلحة التي تضمنها، من أي شخص حصلت كان هو المطلوب، وفي فرض العين تعبد الأعيان بفعله» (١٢).

د- توقف الواجب العيني على الكفائي

فالفروض العينية لا يمكن القيام بها والامتثال لها إلا إذا وجدت الواجبات الكفائية والمصالح العامة، يقول الشاطبي: «لا يقوم العيني إلا بالكفائي، وذلك أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق» (١٣)، لأن الواجب الكفائي حفظ

الاهتمام بها إلى تخلف الأمة وتراجعها، وضعف تحصيناتها ومقاومتها، فانعدمت الوسائل التي يتحقق بها العمران، وندرت أسباب المعيشة الكريمة للناس، نظرا لهدر الثروات والكفاءات وقلة الإنتاج، فأدى إهمال الواجبات الكفائية إلى احتياج الأمة إلى غيرها في العلم والطعام والدواء، وإحياء الواجب الكفائي كفيل بنهضة الأمة وتحقيق اكتفائها الذاتي ومقاومة الأطماع الخارجية السياسية والاقتصادية التي تروم تضعيف طاقات الأمة وتخريب تحصيناتها الثقافية والاجتماعية والتربوية.

وقد يتعين الواجب الكفائي على بعض الأفراد في الأمة حسب الأحوال الآتية:

١- قد يهمل الناس القيام بالواجب الكفائي ويتخاذلون عن القيام به، فيتحول إلى فرض عيني، على كل مسلم يجد في نفسه القدرة والكفاءة لتنفيذه أن يجتهد من تلقاء نفسه لإيجاد الوسائل للنهوض به وتحقيق غاياته.

٢- إذا شرع فرد من أفراد الأمة في أداء الواجب الكفائي تعين في حقه وصار واجبا عينيا عليه، والمعيار الأساسي في سقوط مباشرة الواجب الكفائي عن باقي المكلفين هو تحقق المصلحة أو المطلوب الشرعي، لأن العبرة ليست في قيام فرد بذاته لهذا الواجب، وإنما الغرض حصول المقصود والمصلحة من هذا الواجب، فإذا لم يتحقق المقصود من الواجب الكفائي بقيام من بدأ فيه، فإن المسؤولية لا تسقط عن الأمة وبصير واجبا عينيا على من يليه، كالجهاد مثلا إذا شرع المرء فيه وجب عليه أن يمضي فيه وألا يتخلف عنه أو يتولى حتى يتحقق المقصود، يقول الشاطبي: «...وكذلك الجهاد حيث يكون فرض كفاية، إنما يتعين القيام به على من فيه نجدة وشجاعة وما أشبه ذلك من الخطط الشرعية، إذ لا يصح أن يطلب بها من لا يبدي فيها ولا يعيد؛ فإنه من باب تكليف ما لا يطاق بالنسبة

إلى المكلف، ومن باب العبث بالنسبة إلى المصلحة المجتلبة أو المفسدة المستدفة. وكلاهما باطل شرعا» (١٧).

٣- إذا لم يكن في الأمة من يقوم بالواجب الكفائي إلا فرد واحد تعين عليه أداء هذا الواجب، كالبلدة التي وجد فيها عدة أطباء ووجد المريض ثم ارتحل الأطباء إلا واحدا، أو ماتوا إلا واحدا قبل علاج المريض، فالتكليف بالعلاج كان كفاثيا عند وجود الأطباء في البلدة، ولم يكلف به واحد منهم بعينه، ولما انفراد واحد منهم في البلدة تعين هو للتكليف بالعلاج وأصبح العلاج واجبا عينيا عليه (١٨).

٤- قد يتمالأ الأفراد على ترك القيام بالواجب الكفائي أو تعطيله، فيؤدي ذلك إلى الإضرار بالناس وإلحاق الحرج بهم واختلال أحوال المجتمع، كما إذا تركوا أو عطلوا الحرف والصناعات التي يحتاجون إليها، ولا يتم معاشهم إلا بها، فإنه يجوز للدولة أن تلزم الناس بهذه الفروض الكفائية، وتقيم الوسائل التي يتحقق بها ذلك وترتب الجزاءات العقابية على تركه، قال صاحب المنهاج: «ومن فروض الكفاية الحرف والصناعات وما يتم به المعاش»، قال الشارح: «لتوقف قيام الدين على قيام الدنيا، وقيامها ذينك- الحرف والصناعات- ولا يحتاج لأمر الناس بها لكونهم جبلوا على القيام بها، لكن لو تماالأوا على تركها أثموا وقوتلوا» (١٩). وقال ابن حزم: «هو فرض على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم» (٢٠).

رابعاً: أسباب تعطيل الواجب الكفائي

إن الناظر للواقع الإسلامي المعاصر، والمتفحص لأحوال المجتمع اليوم يرى كثيرا من مظاهر الضعف والتخلف والتراجع الحضاري، نتيجة عدم قيام الأمة بواجباتها وتعطيل مصالحها العامة، مما كان له الأثر السيئ على فقدان الأمة

لصفة الشهود الحضاري وعجز المجتمع عن الخلافة والعمران وضعفت قواه من الناحيتين السياسية والاجتماعية.

ومن أسباب تعطيل الواجب الكفائي نجد:

أ- سوء فهم الأمة لواجباتها الكفائية وذلك نتيجة جهل كثير من أبنائها لأهمية هذه الفروض الاجتماعية، وعدم تقديرهم لمكانة هذه المصالح العامة في تنمية المجتمع وتقدمه، ونهوض الأمة وقوتها، أدى ذلك إلى تخلفها في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وإلى خلل كبير في المسيرة الحضارية للأمة وتراجعها عن أداء دورها الريادي بين الأمم، ثم إن انحصار فهم كثير من الناس للأبعاد الحقيقية للواجبات الكفائية أدى إلى تضييع المصالح العامة للأمة، والمقاصد الشرعية التي رعى الشارع إلى تحقيقها من وراء إلزام الأمة بالواجبات الكفائية، وقد ساهم في ذلك سيادة فهم خاطئ حول فلسفة الواجب الكفائي وإلزاميته للأمة، مفاده أن مسؤولية الأمة تنتهي بمجرد قيام فرد منها بهذا الواجب، فأدى ذلك إلى سيادة الروح التواكلية والنفسية السلبية، بدعوى أن هذا الواجب يؤدي كفاثيا، وأن هناك كثيرين يكفونني هذا الأمر، مما نتج عنه ضياع هذه المصالح العامة، وتخلف المجتمع، وتراجع الأمة حضاريا.

ب- إشكالية التسمية

لقد درج الأصوليون على تسمية هذه المصالح العامة بالفروض الكفائية، انطلاقاً من أن الشارع لم يطلب حصولها من فرد معين، وإنما طلب وجودها في الأمة تحقيقاً للمصالح العام، ونهوضاً بأمور المجتمع، والكفائية لا تغير بأي وجه انتفاء المسؤولية عن المجموع بمباشرة فرد وشروعه في هذا الواجب، بل يتبقى الطلب وارداً على الجميع في إقامته عن طريق المتابعة والمعاونة والمراقبة والنصح والتقد وإقامة القادر... ومن ثم

سبيل إحياء الواجب الكفائي هو تقويم الفكر وتجديد الفهم وتصحيح الدين

بالواجب الكفائي؛ أن يكون دافعا للقيام بهذه الفروض، وتكثيف الجهود وتجميع الطاقات لإعمال هذه المصالح العامة في الحياة، فإنه من الناحية العملية يعتبر هذا التداخل سببا في تعطيل هذه الفروض نظرا لسوء فهم الدولة والأمة لواجباتهما.

خامساً: مجتمع العمران رهين بإحياء الواجب الكفائي

لما كانت قوة الأمة وتقدمها رهينة بفهمها لواجباتها ومرتبطة بقيامها بمسؤولياتها، وكانت واجبات الأمة تدخل ضمن الفروض الكفائية التي ألزم الله عز وجل بها أفراد الأمة جميعا ولم يعين أحدا منهم؛ لأن مصلحتها مرتبطة بالجميع، كان بعث الواجب الكفائي وإحياءه سبيلا لإقامة المجتمع المتضامن المستقر، والأمة المترابطة القوية، وسبيلا للشهود الحضاري للأمة الذي يخولها منزلة الخلافة والإعمار، ولن يتأتى هذا إلا عن طريق:

أ- تصحيح أبعاد الواجب الكفائي في فكر الأمة

إن سبيل إحياء الواجب الكفائي هو تقويم الفكر وتجديد الفهم وتصحيح الدين، ودفع فساد التصور وانحراف السلوك، وربط الدنيا بالآخرة، ذلك أن بعث الواجبات الكفائية يقتضي معالجة أسباب التعطيل التي من أهمها، قصور الفهم لأبعاد هذه الفروض ولتقتضيات الاستخلاف على الأرض، وقلة الاعتناء بالسنن الكونية التي تتحكم بأسباب النهوض أو انهيار الحضارات، فقد تم إهمال الدنيا من أجل الآخرة، وإهمال علوم الدنيا التي يحتاج إليها في قوام أمور الحياة.

فكان إحياء فقه الواجبات الكفائية والمصالح العامة؛ وأبعادها الحقيقية في الأمة، وإعمالها في الحياة الاجتماعية والسياسية عن طريق تجديد الفهم وفقه المقاصد، كفيل بإعادة الأمة إلى

التركيز على إصلاح الأفراد يعود بالنفع والصلاح على الأمة والمجتمع، غير أن خطورة الواجب الكفائي وعلاقته بأمور كلية في الدين ومصالح عامة للمسلمين، وما يترتب عن إهماله أو تعطيله من خراب في العمران، وضعف وهوان في الحضارة وتخلف عن الشهود الحضاري، يجعله يحتاج إلى مجهود أكبر، وإلى تجميع الجهود وتكثيف الطاقات والخطط من أجل استرجاع الدور الريادي للأمة، حتى تكون مهابة الجانب ويعم الأمن ويترد النظام ويستقر الأمن، ويعم العمران فتقوم الدولة وتتقوى الأمة.

د- تداخل مسؤولية الدولة والأمة في القيام بالواجب الكفائي

لاشك أن الدولة هي الشكل التنظيمي المؤسساتي للأمة، فالفرض الأساسي من الدولة هو أن تتوصل الأمة بواسطتها إلى القيام بالواجبات العامة والسهر على المصالح الضرورية، فهي أداة بيد الأمة لتنفيذ الواجبات المفروضة عليها، وهذا مقتضى «عقد الإمامة» الذي تحدث عنه الأئمة والفقهاء قديما، فالواجبات الكفائية هي الوظائف العامة للمقاة على عاتق الدولة سواء كانت هذه الوظائف سياسية أو اجتماعية، غير أن المستقرى للواقع الإسلامي المعاصر والمتتبع لأحوال المجتمعات يرى أن كثيرا من المصالح العامة والفروض الكفائية ضاعت بين توالى الأمة على الدولة وإهمال وتعطيل الدولة لها، ولعل أبرز مثال لذلك ميدان البحث العلمي الذي به تقوى الأمة ويستقيم حالها، فهو يشهد تراجعاً يعيش حالة أقرب إلى التعطيل والإهمال.

وإذا كان الأصل في اشتراك الدولة والأمة، وتداخل مسؤولياتها في النهوض

فإن «الكفائية» نظر إلى مرحلة الأداء أو مباشرة العمل، أما المسؤولية كما رأينا فلا تسقط على العموم أو عن المجتمع، لأن المصلحة فيها مرتبطة بالأمة ولا تتحقق إلا بوجودها من المكلفين دون أن تتوقف على قيام كل مكلف بها، ومن هنا اعتبرت تسميتها بـ«الكفائية» تسمية غير موفقة؛ لأن أساس هذه التسمية النظر فقط إلى مرحلة الأداء، أي أن هذه الفروض يمكن أن تؤدي بالاكتماء بأن يقوم بها البعض، وهي فكرة الإنابة أو التمثيل.. ولكن هذا الوصف أدى إلى سوء الفهم لطبيعة تلك الفروض وعدم تقدير لأهميتها- من الناحيتين الروحية والسياسية- التقدير الحق... ولذا فإن الأولى أن تسمى هذه الفروض «الاجتماعية» أو «السياسية» أو «العامة» أو «التضامنية» بينما تسمى الفروض العينية «الفردية» أو «الخاصة»، فتكون هذه التسمية أكثر دقة من الناحية العلمية وأكثر انطباقا على طبيعتها (٢٢).

ج- إهمال العمل الحركي والدعوي

للاواجب الكفائي

لما طوح الزمان بالأمة إلى الضعف والوهن، وسار بها الأمر إلى التقليد والجهل، وآلت معها معالم الحضارة الإسلامية إلى الضمور في الفكر، والانحطاط في العمران، انحسر فكر العمل الحركي والدعوي على الأمور الجزئية الخاصة بالأفراد، وقصر مجهوده على الفرد إصلاحا له وتركيزا لنفسه ورجوعا به إلى الحق، وتم إهمال العمل على إحياء المصالح العامة على مستوى الأمة، والقيام بالفروض الكفائية، إما جهلا بأهميتها وخطورتها، أو بسبب سوء فهم طبيعتها، وما من شك أن

الهوامش

- ١- أصول الفقه، محمد أبوزهرة، (دار الفكر العربي- بدون تاريخ): ص ٣٥.
- ٢- الفروق، القرافي، (ط ١ / ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م/ دار الكتب العلمية بيروت): ١/ ٤٧٠.
- ٣- انظر، مباحث الحكم عند الأصوليين، محمد سلام مذكور، (ط ٢ / ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م/ دار النهضة العربية): ص ٧٥.
- ٤- العزة في أصول الفقه، علال الفاسي، (مؤسسة علال الفاسي، بدون تاريخ): ص ٢.
- ٥- الشافعي، محمد أبوزهرة، (ط ٢ / ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م/ دار الفكر العربي): ص ١٧٩.
- ٦- الأشباه والنظائر، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (الطبعة ١ - ١٤٠٣هـ - دار الكتب العلمية بيروت): ١ / ٤١٠ - تيسير التحرير، محمد أمين بادشاه: ٢١٣/٢.
- ٧- الوسيط في المذهب، محمد بن محمد أبوحماد الغزالي، (تحقيق محمد محمد تامر، ط ١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م / دار السلام): ٧/ ٧-٦.
- ٨- الموافقات: ١٣٥/٢.
- ٩- المصدر نفسه: ١٣٥/٢.
- ١٠- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، محمد عزالدين بن عبدالسلام السلمي، (ط ١ - ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م - المكتبة الحسينية المصرية): ١/ ٤١.
- ١١- الأشباه والنظائر، السيوطي، (ط ١ - ١٤٠٣هـ - دار الكتب العلمي): ١/ ٤١٠.
- ١٢- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبدالقادر بن بدران الدمشقي، (ط ٢ / ١٤٠١هـ / مؤسسة الرسالة بيروت): ١/ ٢٢٩.
- ١٣- الموافقات: ١٣٥/٢.
- ١٤- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، (ط ١ / ١٩٧٩م/ دار التراث القاهرة): ص ٣١٠.
- ١٥- الموافقات: ١٢٨/١.
- ١٦- الفروق، القرافي: ١/ ٤٧٠.
- ١٧- الموافقات: ١٢٧/١.
- ١٨- مباحث الحكم عند الأصوليين، محمد سلام مذكور، ص ٧٨.
- ١٩- المنهاج بشرح الرملي: ١٩٤/٧، نقلًا عن النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، ص ٣١٧-٣١٨.
- ٢٠- المحلى، ابن حزم، (تحقيق أحمد محمد شاكر- مطبعة النهضة- مصر- بدون تاريخ): ١٥٦/٦.
- ٢١- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، ص ٣١٠.
- ٢٢- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، ص ٢٠٨-٢٠٩.
- ٢٣- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، ص ٣١١.
- ٢٤- أصول الفقه، الشيخ محمد الخضري بك، (ط ٣ - ١٣٥٨هـ - ١٩٣٨م - مطبعة الاستقامة): ص ٤١-٤٢.
- ٢٥- العام وتخصيصه في الاصطلاح الأصولي نظرية وتطبيقًا، إدريس حمادي (١٤١٨هـ - ١٩٨٨م/ مطبعة السلام فاس): ص ٣٦٦.
- ٢٦- الموافقات: ١/ ١٣٠.

أفراد الأمة، ويتوجب على الأمة إعداد من يقوم بالواجب الكفائي ومساعدة من تظهر عليه الكفاءة والقدرة على أداء مصلحة معينة، ومن هنا «يتجلى أن لا تناقض بين أن يوجه الخطاب إلى عموم الناس وفي نفس الوقت إلى الخصوص منهم لأن لكل وجهته، ويتجلى أيضا أن في كل فرض كفائي نوعين من التكليف، عام وخاص، فالعام يتوجه إلى الأمة قاطبة، والخاص يتوجه إلى الفئات المختصة المؤهلة عمليا بهذا الفرض» (٢٥).

ذلك أن استعدادات الناس مختلفة ومواهبهم في الأمور متباينة، فهذا قد تهيأ للطب، وهذا تعلقت نفسه بطلب العلم، وذاك بعلم اللغة ودقائقتها، وآخر وقف نفسه لحراسة وأمن المسلمين، وآخر تهيأ لإتقان بعض المهن المحتاج إليها، والواجب على الأمة أن تربي كل امرئ على ما تهيأ له، وتسهل ظهور مواهبه، وتوجهه إلى ما يوافق ميوله، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه، فتتوفر بذلك كل المصالح والتخصصات التي يحتاجها المجتمع الإسلامي ليكون أقوى المجتمعات اقتصاديا وعسكريا وعلميا إلى جانب القوة الإيمانية العقدية.

يقول الشاطبي: «وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم، لأنه سير أولا في طريق مشترك، فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة محتاج إليها في الجملة، وإن كان به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية... فبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة، فأنت ترى أن الترقى في طلب الكفاية ليس على ترتيب واحد، ولا هو مطلوب من حيث المقاصد دون الوسائل، ولا بالعكس؛ بل لا يصح أن ينظر فيه نظر واحد حتى يفصل بنحو من هذا التفصيل، ويوزع في أهل الإسلام بمثل هذا التوزيع، وإلا لم ينضبط القول فيه بوجه من الوجوه» (٢٦).

طريق الشهود، والحفاظ على خيراتها ووسطيتها حتى تصبح هذه الواجبات طريق التنمية والتقدم، وسبيلا لإقامة مجتمع الخلافة والإعمار (٢٣).

ب- تربية المجتمع على القيام بالواجب الكفائي

لاشك أن الخطط والمشاريع التنموية تركز على محورية المجتمع ومكانته الفعالة في أي تنمية شاملة، وتحرص على بناء مجتمع متقدم، يفقه دوره ويعي مسؤوليته في الحياة، وكان إحياء الواجب الكفائي، وترسيخ فلسفته، وتوضيح أبعاده داخل المجتمع، رهيناً بتربية المجتمع المسؤول الذي يحرص على أداء واجباته وتحصيل المصالح العامة المقصودة من إقامته، فيساهم في حماية الكيان الإسلامي وإعمارها.

ج- تكوين الأمة لمن يقوم بالواجب الكفائي وإعداده لذلك

لما كان مفهوم الواجب الكفائي في الإسلام يتسع لكل نشاط يقصد به وجه الله وخدمة الإسلام وإعلاء شأن المجتمع الإسلامي وتحقيق مصالح الإنسان، كان الخطاب في الواجب الكفائي موجها إلى المجموع لا إلى كل فرد، ومؤدى ذلك أن «للأمة مصالح كثيرة لا بد من وجودها لتنظم أحوالها وتسد في حياتها، ومن هذه المصالح ما لا يقدر عليه إلا باستعداد خاص وتعلم ودراية، فمثلا الطب لا يقدر على القيام به الفلاح الذي لم يتجاوز فكره دائرة مزرعته... والقضاء بين الناس لا يقدر عليه إلا الفقيه ذو الفراسة الذي عنده علم بأحوال البيئة التي يعيش فيها إلى غير ذلك من الكفايات اللازم وجودها، ولا يقدر عليها إلا بعض من الأمة استعد لها وأتقن مقدماتها ووسائلها... وإذا لم يكن في الأمة مستعدون فعليها تذليل الطريق لإيجادهم بالتعليم» (٢٤).

ومن ثم يتحقق معنى التكافل الاجتماعي في المصالح الكفائية بين سائر

منذ عدة عقود بدأت شرارة الثورة العلمية تتأجج، وتزداد يوماً بعد يوم اشتعالاً وانتشاراً وتوغلاً في مسارات الحياة كافة، ومع تقدمها السريع بدأت المجتمعات تحني ثمارها الحلوة والمرّة، فالثورة العلمية التي أوصلت الإنسان إلى القمر، وساهمت في تصنيع أدوية فعالة لعلاج العديد من الأمراض، وقدمت للبشرية الكثير من المخترعات الحديثة هي التي دمرت نجازاكي وهيروشيما، وهي التي ابتدعت بنوك الأجنّة وتأجير الأرحام، وأوجدت عقاقير مدمرة استُخدمت في استجواب الأسرى والمعتقلين وتعذيبهم. وبالطبع لا يمكن إيقاف مسيرة العلم للأثار السلبية لثورته، لكن لا بُدّ من وضع ضوابط ومعايير أخلاقية تكبح جماح بحوثها، وتوجّهها لخدمة البشرية بدلاً من استغلالها استغلالاً سيئاً.

المعايير الخلقية والمهنية للصيدلاني في التراث الإسلامي

د. محمود مهدي

وبالنسبة للصيدلة عند العرب قبل الإسلام، فلم يكن لدى العرب صيدلة بالمعنى العلمي المعروف، لكن قامت مداواتهم للأمراض على ما ورثوه من شيوخهم وعجائزهم، معتمدين في ذلك على المضردات الدوائية والغذائية التي تجود بها بيئتهم، ملتزمين في مداواتهم بالقيم ومكارم الأخلاق الاجتماعية الموروثة.

المعايير الخلقية والمهنية في صدر

الإسلام:

وتعد مرحلة صدر الإسلام وعصور الخلفاء الراشدين امتداداً من الناحية الفنية لما قبل الإسلام، ولكن برزت معايير خلقية جديدة مستمدة من مبادئ الإسلام وتعاليمه، تحض التجار بشكل عام على الصدق والأمانة، وتحذر من الغش والتدليس والتطفيف في الكيل والميزان. فحافظ الناس على هذه الأخلاق، وتمسكوا بها في جميع معاملاتهم. والتزم الخلفاء الراشدون هذا النهج، وعزروا من لم يلتزم بتعاليم الإسلام في معاملاته. وغالباً ما كانت الرقابة في هذه المرحلة رقابة ذاتية، تتبع من الضمير الذي ينبه صاحبه إلى مسؤولياته تجاه مجتمعه، ومراقبته لله

المعالج، كل هذه التجاوزات وغيرها في هذا العصر تحتاج لضوابط تحد منها، وتلزم أصحاب المهنة الحرص عليها.

وقد تمخّض اجتماع الاتحاد الدولي للصيدلة في سيدني بأستراليا في سبتمبر من عام ١٩٨٨م عن مجموعة من المعايير الأخلاقية التي تحدّد القيم الخلقية والمهنية التي يجب أن يتبعها الصيدالون لارتقاء بمثالياتها، وتدعيم رسالتها، ومقاومة أي انحراف بين المشتغلين بها، وإن كنت أرى أنها مُعيّبة في ظل كثرة الصيدليات وقلة الرقابة.

وهذا الموضوع يهدف إلى أمرين:

الأول: إلقاء الضوء على عناية المجتمعات القديمة، وبخاصة العرب بوضع معايير أخلاقية تضبط سلوكيات القائم على مهنة الصيدلة، وكشف اللثام عن بعض الجهود التي بُذلت في هذا الشأن.

الثاني: استنهاض همم علماء الدين والأخلاق والفلسفة والصيدلة للمساهمة في ترسيخ هذه القيم والإضافة إليها بالتأليف فيها، وإثراء هذا الجانب بأفكارهم وإبداعاتهم الفكرية.

المعايير الخلقية والمهنية عند العرب

قبل الإسلام:

الصيدلة مهنة من أشرف المهن، تعمل على حفظ الصحة الموجودة، واسترداد المفقودة، وتحرص على سلامة الناس وعدم تعرضهم للضرر، وقد تبه العلماء والحكام منذ القدم إلى ضرورة وضع ضوابط ومعايير أخلاقية تحكم تصرفات الصيدالون حتى لا يُستغل شرف هذه المهنة أسوأ استغلال. واليوم وبعد اتساع نشاط الصيدليات واحتوائها على الأدوية المصنعة والمركبة، والسموم والمواد المخدرة، ووسائل منع الحمل وتنظيمه، والأدوات المساعدة في الحقن ونقل الدم... الخ، وأمام إغراءات شركات تصنيع وتوزيع الأدوية، وأمام الربح الكبير من المواد المخدرة، ينزلق البعض إلى هاوية الطمع والجشع، والضرب بمصلحة المريض وأخلاق المجتمع عرض الحائط، حيث بيعت وسائل منع الحمل والحبوب المخدرة والسموم بلا تذكرة طبية، مما ألحق ضرراً خلقياً وصحياً بالعديد، ولزيادة هامش الربح قدمت الأدوية ذات الفاعلية المحدودة على الأكثر فاعلية، وأغرت بعض شركات الأدوية وموزعوها الكثير من الأطباء لوصف أدوية بعينها، لزيادة مبيعاتها، وأحياناً يتدخل الصيدلاني بإبدال الدواء دون الرجوع للطبيب

♦ باحث أكاديمي

عز وجل ، فكان المطيب أو مُعدِّ الدواء يرعَى للمريض ذمته، ويحفظ له عِرْضَه وماله وأسراره خشية الله تعالى.

المعايير الخلقية والمهنية في العصر الأموي:

وشهد العصر الأموي انفتاحاً على العالم الخارجي نتيجة الفتوحات، واتصل العرب بالأمم الأخرى وأطلعوا على حضاراتها وأفادوا منها، واستقدم الخلفاء بعض الأطباء والصيدال المتأثرين بالعلم اليوناني، وشهد هذا العصر غرس بذور علم الصيدلة، فألف تياذوق (١) كتاباً في أبدال الأدوية وكيفية ذفها (٢)، وترجم مسرجويه (٣) لعمر بن عبدالعزيز كتاب إهرن القس في الطب (٤)، وركب ابن أثال (٥) الأدوية والسموم والترياقات. وشهد صدر هذا العصر تجاوزاً للقيم الخلقية لمهنة الصيدلة من بعض الأطباء، فابن أثال ركب لمعاوية سموماً استغلها في تصفية خصومه ومعارضيه (٦).

المعايير الخلقية والمهنية في العصر

العباسي:

في العصر العباسي اكتملت للصيدلة مقومات الازدهار، فترجمت الكتب، وظهر التأليف، وكثرت الصيدليات، وركبت الأدوية، ووضعت لها الدساتير، وسنت القوانين لمراقبة أصناف الأدوية، وامتحن الصيدال قبل الحصول على موافقة لممارسة هذه المهنة (٧) للوقوف على ما يتحلّى به الصيدلاني من قيم وأداب وأخلاق وإمام بقواعد الصنعة تؤهله لممارسة المهنة. وأخضع بعض الخلفاء أطباءه وصيدالته لامتحانات تأكدًا من وفائهم وإخلاصهم وأمانتهم، وأنهم ليسوا مدسوسين من قبل جهة معادية تريد التخلص منه، فقد كان الطبيب أقرب للحاكم من خاصته، يدخل عليه في خلواته وأوقات راحته، وحياة الحاكم مرهونة بوفائه، يستطيع بدس جرعة سم صغيرة في الطعام أن يقضي عليه. وممن مرّ بهذه التجربة حنين بن إسحق

حين أصبح طبيباً للمأمون، الذي أخضعه لاختبارين قاسيين:

الأول: اختبار علمه بالشك في وصفاته الدوائية؛ فكان الخليفة يسمع رأيه، لكنه لا يأخذ بقوله دواءً يصفه حتى يشار فيه غيره؛ ليتأكد من صواب رأيه.

الثاني: اختبار أمانته الصيدلانية بالترغيب والترهيب؛ فقد أحضره الخليفة ذات يوم وخلع عليه، وقال له ممتحناً: أريد أن تصف لي دواءً يقتل عدواً نريد قتله، ولم يمكن اشتهاه (٨)، ونريده سراً.

أما عامة الصيدال الذين يريدون العمل في البيمارستانات، أو من يمتلكون حوانيت «صيدليات» خاصة لبيع الأدوية، أو يتجولون ببضاعتهم في الأسواق وأماكن تجمع الناس، فهؤلاء كانوا يخضعون لاختبارات للتأكد من أمانتهم وصدقهم، وعدم استغلالهم، وإمامهم بقوانين الصنعة. وكانت الرقابة على هذه الفئة من الصيدال محط عناية الخلفاء والقادة والعلماء.

وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله سنّ العديد من نظم الرقابة في الدولة الإسلامية لمواجهة ما قد يعترى المجتمع من مخاطر التسبب والإهمال وضيّع الخلق من أرباب المهن، ومن هذه النظم امتحان كل من يرغب في ممارسة مهنة الطب، وصدر القرار بمنع الأطباء من الممارسة إلا بعد أن يمتحنهم سنان بن ثابت ويجيزهم، وبالطبع فقد كان أكثر هؤلاء الأطباء صيدال في ذات الوقت. وفي عهد الخليفة المستجد بالله فوّض إلى أمين الدولة بن التلميذ رئاسة الطب ببغداد وامتحان المتطبين (٩).

وصية داود بن أبي النصر لولده (١٠):
تعدّ وصية داود التي أوردتها في كتابه منهاج الدكان (١١) من أهم الوصايا التي ترسم صورة مثلى لما يجب أن يكون عليه الصيدلاني، فهي لم تُعن فقط بالجانب الأخلاقي والمهني للصيدلاني، لكنها شملت كل جوانب شخصيته، على أساس أن جميع

صفات الشخصية تمثل وحدة واحدة لا تنفصل ولا تتجزأ، فُعِينت بالصيدلاني ابناً ووالداً وزوجاً ومتملماً ومعلماً وتاجراً وعضواً في المجتمع، واهتمت بالجوانب الروحية والأخلاقية، والمهنية والمهارية، والشخصية والاجتماعية. ولعل الإحساس بصدق العاطفة في الوصية يرجع إلى أنها كانت موجّهة من والد لولده، فهي خاصة في منشئها، لكنها عامة الدلالة واسعة الشمول. ومما تمتاز به الوصية أنها تعلل للكثير من النصائح، فتشير إلى الغاية من كل نصيحة ليزول كل إبهام، ويُمحى معها كل تساؤل، كما امتازت بالسهولة والوضوح، وإمكانية تنفيذ بنودها. وجاءت الوصية في بابين من أبواب الكتاب، هما الباب الأول، وهو بعنوان: «في ما ينبغي لمن استصلح نفسه أن يكون متقلداً يعمل هذه المركبات أن يكون على غاية من الدين والثقة والتحرز والخوف من الله تعالى أولاً ومن الناس ثانياً (١٢)». والباب الثالث والعشرون وعنوانه «وصايا يُنتفع بها (١٣)» وفيه جاء مجموع الوصايا يرسم للصيدلاني طريق يومه، وما يجب عليه أن يفعل منذ أن يستيقظ من نومه صباحاً حتى يعود لمراقده ليلاً.

ويمكن القول أن الوصية قد جمعت بين ثلاثة محاور رئيسية، حددت الكثير من الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الصيدلاني، وعالج كل واحد منها جانباً من جوانب شخصيته، وهذه المحاور هي:

المحور الروحي والأخلاقي:

بدأ داود وصيته ببيان مكانة العقل الذي هو هبة الله للإنسان، وأنه كالسراج الذي به يميز بين الخير والشر، والحسن والقبیح. ويبيّن أن الإنسان مخير بين الخير والشر، وليس مجبوراً على فعل أحدهما، ثم يقول لولده: اعلم أن عناية الله تكلأ من يسعى نحو الخير، وتتخلّى عن قصد غير ذلك. وينصح قائلاً: اتق الله عز وجل ، واجعل خوفك منه خوف محبة في ذاته لا خوف عقابه. ويحثه على شكر الله

العرب أضافوا لمن سبقهم ومهدوا الطريق لمن بعدهم حين حددوا قيم وآداب وأخلاقيات مهنة الصيدلة

ولا تكثر الكلام فيهما. وتأمل ما تكتب للمرضى فأنت مسؤول عنه.

المحور الشخصي والاجتماعي:

وفيما يتعلق بهذا الجانب فهو لا

يهمل دور المنزل والعلاقات الاجتماعية الأخرى في تجويد عمل الصيدلاني، فكلما كان مستقرًا اجتماعيًا، تخلو حياته من المنغصات، انعكس ذلك على أدائه، فيقول له: أخرج من البيت وأهل بيتك عنك راضون ولك داعون، لا تعاد أحدًا من أهلك أو من غيرهم، خالط الأخيار، ولا تعاشر الأشرار، ولا تلق الناس بوجه عبوس، وأكرم الناس على قدر منازلهم، اقتصد في نفقتك، وتودد إلى خدمة الأجلاء من معامليك، ولا تهمل متوسطي القدر، ودار الأدوان، دار بمالك عن عرضك، سالم الناس تسلم، انظر إلى مَنْ هو دونك يعظم شركك، ولا تتظر لمن هو فوقك تتعب، لا تغتر بثناء الناس، ولا تغضب من شتمهم، إياك والهزل والمزاح مع الناس، ولا تستقل بأحد ولا تزدرية، واكظم غيظك، اشرح صدرك.

وإذا كانت آداب أي مهنة أو أخلاقياتها هي مجموعة من القواعد والمبادئ والقيم المصطلح عليها عند أهل هذه المهنة، والتي يجب مراعاتها والالتزام بها والمحافظة عليها لدعم رسالة هذه المهنة في خدمة الناس، فإن ما سطره داود يعد معيارًا خليقًا جامعًا لكثير من آداب مهنة الصيدلة، حيث إنه حرص على أن يرى «الصيدلاني» في صورة مثلى تؤدي ما عليها من حقوق نحو الله والمجتمع.

ويمكن القول إن العرب قد أضافوا لمن سبقهم، ومهدوا الطريق لمن بعدهم حين حددوا كثيرًا من قيم وآداب وأخلاقيات مهنة الصيدلة. وبنظرة سريعة على ما أقره اجتماع الاتحاد الدولي للصيدلة في سيدني بأستراليا في سبتمبر من عام ١٩٨٨م من أخلاقيات مهنة الصيدلة (١٥) يتأكد لنا هذا.

وفيما يلي بعض بنود لائحة الاتحاد

وتحسن عند المشتري. ويوصيه بالدقة في تحري مقادير الأدوية المفردة والمركبة حسب ما وصف الطبيب فيقول: واضبط ما يقوله الطبيب، فإن النقص قد يفوت الغرض من الدواء، والزيادة قد تضر بالمريض، ويمكن الزيادة بمقدار ما يُفقد من الدواء أثناء إعداده. واحرص على بيع الدواء مُعَرَّبًا مُنْقَىً. وبيِّن له ما يجب أن يتحلَّى به من خلق في معاملته للزبائن: لا تهمل أمر الملهوفين وبادر بقضاء حوائجهم، لا تتعامل مع الزبائن وأنت جائع فيسوء مزاجك وتفارق المشتري فينفر منك الناس، ولا تُردَّ أيُّ مستحق مهما كان مذهبه أو دينه أو جنسه.

ويحضه على احترام معلميه وتواضعه مع مَنْ طلب منه علمًا فيقول: واعترف بحق من يعلمك علمًا، والتزم مكارمته، واحترم مجالس العلماء، ولا تمن على مَنْ طلب منك علمًا، بل تواضع له كأنك تتعلم منه. وأقدِّم ما وضعه المتقدمون من التراكيب وحزروه وجربوه ووجدوه نافعًا ودونوه في كتبهم.

ويحذره من مخالفة نصائحه فيقول: العدول عن هذه التعليمات خيانة للأمانة تستوجب العقاب.

كما بيِّن له أن الطبيب يوقِّع الكشف على المريض ويصف له الدواء، ويعتمد على الصيدلاني، وهنا يرجع الأمر إلى الصيدلاني الذي يتحمل الإثم إن فرط؛ لأن تفریطه مؤدِّ إلى إتلاف المال والروح، وهما ذنبان عقابهما عند الله شديد، فيحضه على تحري الدقة والفضة كما لو كان يعدُّ الدواء لنفسه.

ويقول له: كن باشَّ الوجه وأنت تعامل الناس، وقلل الأيمان في البيع والشراء،

تعالى حين يستيقظ من نومه لأنه أبقاه حيًا، ولأنه جعله قادرًا على شكره. ويأمره بالعديد من الأمور التعبدية التي منها: أد الصلاة، وسَمَّ الله وأنت تفتح دكانك، وأقصد بعملك وجه الله تعالى وثوابه، واعمل الخير لذاته. واحذر في ما تعطيه للناس الغش والنقص والتبديل. واقنع بالكسب اليسير، واقتصد في النفقة، وبادر بالصدقة. وغض بصرك عن النساء، واشرح صدرك، وإياك والعجب والتعاضم، وتواضع، واصدق، واصبر على البلايا، ولا تكثر الضحك والمزاح مع الرجال فيطمعوا فيك، ولا مع النساء فيتوهمن خلاف المراد. حبِّ لغيرك ما تحب لنفسك. واعلم أن أعظم الذنوب ظلم الناس، وأخذ أموالهم بغير حق، واذكر الله في آخر يومك حيث كنت سالماً أو نالك في يومك شيء من نكد، وإذا عدت لدارك فابداً بالوضوء وأد الصلاة، ثم تناول طعامك، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن، وأكثر من الذكر، ثم نم.

المحور المهني والمهاري:

وفيه ركزت الوصية على أمور من شأنها تجويد عمل الصيدلاني وإتقانه صنعته، فيوصيه بالعناية بأدوات عمله قائلاً: أخرج ميزانك، وامسح كفتيه وخيوطه مما علاها من الوسخ، وحرَّرها ليكون ميزانك صحيحًا، وامسح الصنَّج واعتبرها كل شهر مرة، وإن كان كل أسبوع فأفضل. وتأكد من نظافة وصلاحية الأواني التي تُعدُّ فيها الأشربة والمعاجين (١٤): فأنت مسؤول عنها، وأعدَّ النظر فيها قبل إغلاقها. وأخرج الملاعق كل ليلة من أوعيتها ونظفها ولفها في خرقة نظيفة. وابسط الحوائج (مفردات الأدوية) بين يديك ليتضح لك عددها،

الدولي مشفوعة بما قاله داود للتدليل على أن الأخلاق والقيم المهنية الكريمة في كل العصور لا تتغير ولا تتبدل، يمكن الإضافة إليها، ولكن لا يمكن الحط من قدرها، ولا النَّيْل من شأنها في رقي المجتمعات، يتفق على ذلك العلماء والفلاسفة والمفكرون.

● (١٦) على الصيدلي العامل في مجال خدمة الصحة العامة والأفراد احترام المهنة وتقدير حياة الناس.

يقول داود لولده بعد أن بين له أن المريض يلجأ إلى الطبيب، فيصف له الدواء ويكتبه معتمداً بعد ذلك على علم الصيدلاني وخبرته في إعداده وتركيبه: وقد أكل «الطبيب» فيها على الصيدلاني، فقد رجع الأمر إليك، فلا إثم إن فرطت إلا عليك. فهل تستحسن أنت لو كنت مريضاً أن تفرط في ححك وأنت تعلم أن هذا التفریط مؤد إلى إتلاف المال والروح، وأنت تعلم قدر العقاب من الله تعالى على هذين الذنبيين.

● على الصيدلي أن يكون عادلا في معاملة جميع المرضى دون تمييز.

يقول داود: ولا ترد مستحقا كائنا من كان، وعلى أي المذهب كان.

● على الصيدلي تحديث معلوماته المهنية باستمرار ومتابعة الجديد في علم الصيدلة.

يقول: ومما ينبغي لك أن تعتمد عليه في فعل الحق لذاته واتباع الصحيح أن تلتزم تحرياً ما وضعه المتقدمون من التراكم وحرره من التجارب فوجدوا فيه النفع للناس فوضعوه في كتبهم.

● على الصيدلي تنفيذ المهام الصيدلية بحرص وتركيز.

يقول داود محذراً من التهاون في ضبط مقادير المفردات الدوائية: فإن الكثير من الشيء القليل كميته، القوي كفيته مضر، بل حرر ما يقوله الطبيب، وإن رجحت شيئاً فيكون بمقدار ما ينمحق لا غير. ويوصي ولده بالأل يعتمد

على مساعديه الذين قد لا يتقنون إعداد الدواء قائلًا: ولا تتكل في مصالح الدكان (الصيدلية) على الصبيان؛ فيتغير حالك ويذهب مالك، بل باشر أحوالك بنفسك؛ ليستريح سرك وينشرح صدرك.

● على الصيدلي اجتناب أي فعل يُسيء لمهنته أو يقلل من شأنها، وإن كان لا ينتسب للمهنة بصلة، واضعاً في اعتباره ما للصيدلة من مكانة واحترام.

يقول داود محذرا من سوء الخلق والغش والتدليس: واحترس في ما تعطيه لهما من غش، أو تبديل، أو نقص أو لبس. ويحضه على أن يُعنى بنظافة بضاعته قائلًا: واحرص أن لا تبيع حاجة إلا مغريلة منقاة. ويحذر من مدّ البصر إلى النساء فيقول: ولا تمدن عينيك إلى نظر النساء، ويقول: إياك والعجب... الخ.

● على الصيدلي أن يتأكد من أن المبلغ الذي يتقاضاه مقابل خدماته عادل ومعقول، وأن يرفض الاشتراك في أي عمل من شأنه تعريض المريض للخطر: لأن ذلك مخالف لأخلاقيات المهنة.

يقول: واعلم يا ولدي أنه لا ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق. ويقول: بحسن الأخلاق تدر الأرزاق، وبالأمانة تكثر البركة بالاستحقاق.

● على الصيدلي أن يتأكد أن كل ما ينشده من معلومات ذات علاقة بمهنته صحيحة وموثقة وتتلاءم مع آداب وأخلاقيات مهنة الصيدلة.

إن داود يشدد في مسألة احترام المعلومات وتوثيقها وتوافقها مع آداب المهنة تشديداً عظيماً حتى جعلها جزءاً من الشريعة حيث يقول لولده عن خلاصة تجارب السابقين النافعة التي دونها في كتبهم وجعلوها دساتير يتنفع بها من بعدهم: وقد صارت هذه الأشياء عرقاً بين الناس، فصارت بمثابة الأقوال الشرعية التي لا ينبغي أن يحاد عنها ولا يعدل، وأنه من عدل عنها فقد خان، ومن خان فقد اختل عن أمانته، ومن اختل عن أمانته

فقد كذب الشرائع، ومن كذب الشرائع فقد كفر، ومن كفر فقد استوجب العقاب، ومن استوجب العقاب فقد هان قدره عند الله، ومن هان قدره عند الله فقد استخف به الناس، ومن استخف به الناس فلا حياة له، ومن لا حياة له كمن لم يكن، ومن لم يكن فهو معدوم غير موجود.

وأخيراً إذا كان قدامى علمائنا قد عُنوا بهذا الأمر كل هذه العناية، أفلا يدفَعنا ذلك إلى تعقب آثارهم، واستلهام أفكارهم والإفادة من تراثهم!.

المراجع

- أحد الأطباء المشهورين في العصر الأموي، خدم الحجاج بطب، وكان يحضر الأدوية، وألف كتابا في أبدال الأدوية، وضمنه تفسير بعض أسمائها، توفي بواسط سنة ٩٠هـ. ينظر: المنتخبات الملتقطات: ١/٣٨٨.
- عيون الأنباء: ١/٤١٤.
- طبيب وترجمان له كناش في الغذاء. ينظر: طبقات الأطباء والحكماء: ٦١.
- أمرن القس طبيب عاش في صدر دولة بني أمية، ألف كتابه بالسريانية وترجمه ماسرجويه «ماسرجيس» إلى العربية. الفهرست: ١/٢٩٧. والمنتخبات الملتقطات: ٧٦١/٢.
- طبيب دمشقي متميز، كان خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها، علما بما كان منها سم قاتل. ينظر: عيون الأنباء: ١/٤٠١.
- عيون الأنباء: ١/٢٠٤.
- تاريخ الطب والصيدلة المصرية: سمير الجبالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٤: ٤٤/٢.
- أي لا يمكن اكتشاف أمره.
- عيون الأنباء: ٢/٢٨٧.
- هو داود بن أبي النصر بن حفاظ، الكوهين العطار الإسرائيلي، طبيب قاهري كان حيا سنة ٦٥٨.
- هو كتاب جمع فيه كثيرا مما ترقق في مؤلفات السابقين من الأدوية المركبة خاصة كالأشربة والريوبات والمعاجين والجوارشات والسفوفات والأقراص والمعوقات والحبوب وغيرها، وضم إلى أبواب كتابه أبوابا ذات فائدة تحدث فيها عن أبدال الأدوية التي يتعذر وجودها، وبابا في شرح أسماء الأدوية المفردة، وبابا في الكيمايل والموازن وغير ذلك.
- منهاج الدكان: ١٥، ١٦.
- منهاج الدكان: ٣٥٥-٣٦٣.
- الأشربة والمعاجين: هي بعض المركبات الدوائية أو الأشكال الصيدلانية.
- http://www.pharmag8.com/vb.php?showthread=٢٩٣٤
- البند المسوق بنجمة، الكائن فوق السطر هو أحد بنود مؤتمر سيديني.

تعتبر ولاية العلم من أعظم الولايات الشرعية التي اعتنى بها الإسلام عناية خاصة، ولا غرابة في ذلك، فالعلم في الإسلام هو أساس كل شيء وعليه يقوم كل شيء، فهو إمام جميع الولايات المؤسسية والضرورية، الدينية والدنيوية، وهي تابعة له، فأحكامها، وقواعدها، وشروطها وكل ما يتعلق بها لا يدرك إلا بالعلم. يقول ابن القيم مبيّناً ذلك: «إن كل ما سوى الله يفتقر إلى العلم، لا قوام له بدونه.. فكل ما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته، فما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم، ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا بالعلم، ولا عبد الله وحده إلا بالعلم، ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم».

ولاية التعليم في عصر النبوة والرسالة.. الوظائف والشروط والمنهج (٢-١)

د. محمد الأنصاري

الإيمانية، والتعبدية، والخلقية وغيرها .
- تزكية الأنفس وتربيتها وتمتيعها
بواعث الخير فيها، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿ويزكّيهم﴾، فالتزكية وظيفة النبوة ومقصد الرسالة القرآنية والبعثة النبوية، قال تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩)، فالربانية منزلة إيمانية عالية لا تدرك إلا بتزكية الأنفس وتطهيرها وتربيتها على قيم الخير والصلاح التي رسم القرآن الكريم معالمها وأوضح سبلها ومنهجها .

- إنذار الناس وتحذيرهم، والأصل في هذه الوظيفة قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (التوبة: ١٢٢)، فوظيفة الإنذار والتحذير من أجل الوظائف التربوية لولاية التعليم في الإسلام، فهي وظيفة الفقهاء والعلماء كما بين النص القرآني السابق.

- تفقيه الناس في الواقع، وهذه الوظيفة من الوظائف المنوطة بولاية التعليم الإسلامية، حيث يجب عليها أن تفقه الناس في دينهم كما فقهتهم في دينهم، حتى يعرفوا ما يلزمهم من

رسول الله ﷺ «مر بمجلسين في مسجد، فقال: كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم، ويعلمون الجاهل فهم أفضل، وإنما بعثت معلما، قال ثم جلس فيهم» (الدارمي في المقدمة)، فالنبي ﷺ جعل المقصد من بعثته القيام بوظيفة التعليم، وجعل التعلم والتعليم أفضل من الذكر والدعاء .

ومن هاهنا فإن المتأمل في نصوص الوحي، السداس لسيرة الرسول ﷺ في التربية والتعليم يمكنه الخلوص إلى أن وظائف ولاية التعليم الإسلامية ومقاصدها تتلخص في الوظائف التالية:
- تعليم الناس وتفقيهم في دينهم، وإخراجهم من دائرة الجهل والامية إلى المستوى المطلوب منهم شرعا، وحده الأدنى أن يعرف كل مكلف ما يلزمه، مما فرضه الله عليه حسب قدرته، ويمكن تسمية هذه الوظيفة الأم بوظيفة «التفقيه في الدين»، وهي المنصوص عليها في قوله سبحانه: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة: ٢) وفي قوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (البخاري)، فالتفقه هاهنا يشمل كل مجالات الدين

العلم لا يحصل إلا بالتعلم والتعليم، ومن هنا كانت ولاية التعليم من أجل الولايات وأشرف المؤسسات الدينية والدنيوية، مما يستوجب رعايتها والعناية بها، والعمل على تقويمها وترشيدها، على مستوى الوظائف والمقاصد والوسائل، والمنهج والبرامج، من منطلق الإسلام وفي إطاره، وضمن قواعده وأحكامه، ومقاصد شريعته، لتحقيق بذلك مراد الله في خلقه وأرضه .

أولا: وظائف ولاية التعليم

ومقاصدها

إن ولاية التعليم الإسلامية ولاية نبوية، لها وظائف جلية، هي وظائف النبوة التي من أجلها بعث الرسول ﷺ وأنزلت الرسالة، قال تعالى في بيانها: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢)، فهي وظيفة التلاوة والتزكية والاتباع، ووظيفة تعليم الكتاب والحكمة.

ولهذا كانت هذه الولاية هي أشرف الولايات الدينية والخطط الشرعية، وكانت وظائفها هي أشرف الوظائف وأفضلها، وقد بين النبي عليه السلام ذلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن

باحث أكاديمي مغربي

فقه واقعهم، وما يلزمهم لحل مشاكلهم الدنيوية في إطار تعاليم الدين وأحكام شريعته.

والواقع هنا واقعان: واقع محلي، واقع إقليمي وعالمي، وتفقيه المسلمين فيهما إنما يكون بالقدر الذي يمكنهم من معرفة القريب من البعيد، والمصلح من المفسد، والضال من المهتدي، والعدو من الصديق، وما يجب عليهم تجاه كل صنف من تلك الأصناف.

- تعليم الناس فقه تنزيل الأحكام والمعارف وكيفية تطبيقها، وهي وظيفة من أهم وظائف ولاية التعليم الإسلامية، إذ يجب عليها أن تعلم الناس فقه تنزيل فهوماتهم ومعارفهم الدينية والدنيوية على واقع حياتهم وأعمالهم اليومية، والأصل في هذه الوظيفة قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة: ٢)، فالحكمة هي فقه تنزيل الشيء وفقه تدبير الأمر بوضعه في المكان المناسب في الوقت المناسب بالقدر المناسب والكيفية المناسبة.

- صياغة ناشئة الأمة على تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه، وتعد هذه الصياغة من أهم وظائف ولاية التعليم، إذ لا يجوز لها تخريج المتعلمين على غير الصيغة الإسلامية، وأي انحراف عن خط القرآن ومنهجه في التربية والتعليم، يتحمل مسؤوليته ولاة أمر الأمة عامة، وولاية أمر مؤسسة ولاية التعليم خاصة، فهم أمناء الرسول ﷺ وورثته، والواجب عليهم أن يؤدوا الأمانة ويصونوا الإرث من الضياع، وذلك بسيرهم على منهج النبوة في هذه الولاية، فالرسول ﷺ علم أصحابه وصنع منهم علماء مؤمنين بربهم عاملين بمقتضى أحكام دينهم، مرتبطين بالله موصولين به، وهم الذين تولوا قيادة الأمة وإمامتها بعده، فبلغوا رسالة الإسلام، ونشروا دعوته إيماناً منهم بثقل أمانة هذه الولاية التي ورثوها.

ومن هنا فإن الواجب على ولاة أمر ولاية التعليم ومؤسساتها في بلاد المسلمين

جعل النبي ﷺ المقصد من بعثته القيام بوظيفة التعليم وجعله أفضل من الذكر والعبادة

اليوم أن يدركوا ثقل هذه الأمانة وخطورة التقصير في أدائها، والشرط في ذلك أن يتوبوا إلى الله تعالى توبة منهجية نصوحاً من كل السياسات التعليمية الفاشلة، فيعملوا على صياغة سياسة تعليمية تقوم على فلسفة الإسلام، وتتطلق من توجهاته، وتتهدل من مصدره المعصوم المتمثل في الوحي قرآناً وسنة، دون إغفال أخذ النافع مما أنتجه العقل البشري في هذا المجال وراكمته تجربة العلماء المجريين وورثة الأنبياء المخلصين، إذ بصدقهم ووفائهم وحرصهم على نهج النبوة في تعليم الناس، تتحقق هذه الوظيفة التي هي المقصد الكبير لولاية التعليم، وهي صياغة الناشئة على الإسلام فكراً وتعبيراً وتديباً، محبة وولاء، عقيدة وشريعة، علماً وعملاً، تحقلاً وتخلقاً، قلباً وقالباً.

- وظيفة البحث العلمي الأكاديمي: إن من أهم الوظائف المنوطة بولاية التعليم الإسلامية، خدمة البحث العلمي الأكاديمي توجيهاً وتأطيراً وإنجازاً، فعلى ولاة أمر هذه الولاية أن يعدوا خطة واضحة المعالم، تؤطر جميع مجالات البحث العلمي في العلوم الشرعية والكونية والإنسانية على حد سواء، وهذا يقتضي دعم الباحثين والمؤطرين مادياً ومعنوياً، والدفع في اتجاه البحث الجماعي المؤسسي، فهذا النوع من البحث هو السبيل إلى تعميق البحوث العلمية ونضجها، وهو السبيل أيضاً إلى إيجاد إمامات علمية مؤهلة لقيادة البحوث العلمية في المستقبل، وقيادة الدولة والمجتمع في جميع المجالات الدينية والدنيوية، ثم قيادة الأمة في

مختلف مجالات العلم والمعرفة.

- تأهيل الأمة تأهيلاً علمياً يحقق لها الكفاية المطلوبة منها شرعاً في ميادين المعرفة الشرعية والكونية المادية والإنسانية، مما يجعل من المسلمين أمة قوية، في جميع ميادين العلم والمعرفة، حتى تكون مؤهلة بذلك، لتحقيق رسالة التمكين والاستخلاف والشهادة على الناس أجمعين، والوصول إلى مستوى الإمامة والقيادة للعالم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (البقرة: ١٤٣)، فوظيفة الشهادة على الناس أجمعين، ووظيفة جليلة من أشرف وظائف الأمة الوسط، أمة الخيرية التي أخرجها مخرج الناس سبحانه وتعالى للناس لأداء وظيفة الشهادة عليهم، ولا يتأتى لها ذلك إلا إذا بلغت المنزلة العالية علماً وتركية وعدالة، تفكيراً وتعبيراً وتديباً.

هذه هي أهم الوظائف التي أنيطت بمؤسسة ولاية التعليم في الإسلام، وهي لن تتحقق إلا إذا تم الاهتمام في المنهج التعليمي بتعاليم الإسلام وأحكامه ومقاصده المستلهمة من هدايات الوحي وبصائره، فيكون بذلك المنهج التعليمي القرآني المنهج الأقوم والأرشد والأحسن، لقوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩).

ثانياً: صفات ولاية ولاية التعليم

وشروطهم

إن تحقيق تلك الوظائف والمقاصد العظيمة وتحصيل المراد منها لا يتم إلا إذا كان أعضاء مؤسسة ولاية التعليم الإسلامية مؤهلين لإمامة هذه الولاية علماً وخلقاً، حالاً وتجربة، تنظيراً وتخطيطاً وتنزيلاً، فهذه الولاية هي أشرف الولايات وأجلها قدراً وأعظمها موقعا، فهي الولاية الوارثة لوظيفة النبوة في التعليم والتركية والتلاوة المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴿ (الجمعة: ٢).

والقائمون بهذه الوظائف النبوية يجب أن يكونوا مستجمعين لشروط وصفات لابد منها في المرشحين لولاية التعليم والقائمين على تدبير أمرها وإصلاح شأنها ورعاية حالها، ومنها ما يلي:

- أن يكون العضو في مؤسسة ولاية التعليم عالماً بأحكام الدين وتعاليمه، عارفاً بمقاصد شريعته، قادراً على الاجتهاد والتجديد في علوم الشريعة، أو الإبداع والابتكار في العلوم المادية والإنسانية.

- أن يكون العضو مؤمناً بأمانة هذه الولاية وبتقل مسؤوليتها، وجلالة قدرها وشرف منزلتها وأهمية دورها ورسالتها في الأمة، فهذا الإيمان هو الذي يحفزه على أداء واجبه تجاهها، ويمنعه من التقصير في ذلك.

- الخبرة والتجربة، إذ لا يجوز أن يكون عضواً في مؤسسة هذه الولاية من يفتقد إلى خبرة وتجربة في ميدان التربية والتعليم، فهذه الخبرة هي التي تساعد على وضع سياسة تعليمية راشدة، وعلى الاستفادة من التجارب السابقة بعد تقويمها والأخذ بالنافع منها.

- القدرة على التخطيط والتوجيه والترشيد، فولادة ولاية التعليم هم الذين يرسمون خطة هذه الولاية ويضعون سياستها العامة، ويحددون مناهجها وبرامجها ومقاصدها ووظائفها، ويسهرون على تنفيذ هذه الأمور حتى تحقق المراد منها.

- الوفاء والصدق والإخلاص، إذ لا يجوز شرعاً أن يتولى هذه الولاية من لا يتصف بهذه الصفات، فالوفاء صفة تحمل صاحبها على عدم خيانة مبادئه ودينه وأمته، وتحمله أيضاً على صيانة ما أؤتمن عليه من إرث وولاية، والصدق والإخلاص يحملانه على الجد والبذل والعطاء المستمر المتجدد، وعلى السير على خط النبوة في ولاية التعليم وعدم

عناية النبي ﷺ بالتعليم والعلم كانت على اعتبار أنهما ولاية دينية وخطة شرعية

الانحراف عنه، وعلى ابتغاء وجه الله تعالى في جميع الأعمال ونيل مرضاته سبحانه، فانصاف أعضاء مؤسسة ولاية التعليم بهذه الصفات، هو سبيل نجاحها وتحقيق أغراضها ووظائفها، وعدم الاتصاف بها، هو سبيل الانحراف عن خط ولاية التعليم الإسلامية، واستبداله بغيره من السياسات التعليمية المستوردة، القائمة على الفلسفة المادية والعلمانية وعلى مقومات الإلحاد والإفساد، وغير ذلك من القيم المناقضة لقيم الإسلام وتعاليمه، وهذا هو الواقع الذي تعيشه معظم ولايات التعليم الرسمية في بلادنا اليوم، حيث يتولى أمرها من يفتقدون إلى هذه الصفات والشروط، فأثر ذلك بشكل كبير على مستوى خريجها وعلى واقع الأمة وأحوالها، فتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

- الفقه بالواقع، واقع الناس في البلد المقصود بالسياسة التعليمية، وواقع الدولة القائمة على أمر الناس، وواقع الأمة وأحوالها، وماذا يراد بها ومنها؟ وواقع الأعداء محلياً وإقليمياً ودولياً، إذ من شأن هذا الفقه أن يحمل ولاية هذه الولاية على رسم سياسة تعليمية واقعية، ممكنة التنزيل والتطبيق، قادرة على صياغة الإنسان المسلم المتمكن من معرفة الصديق من العدو، والقادر على تحليل الأوضاع والوقائع والأحداث، وعلى معرفة التوجهات الداخلية والخارجية، المحلية والعالمية، الإسلامية وغير الإسلامية.

هذه هي أهم الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر في أعضاء مؤسسة ولاية

التربية والتعليم باعتبارهم ولاة أمرها والقائمين على تدبيرها وسياسة شأنها، وأي نقصان فيها على الحد الأدنى المطلوب والمقبول شرعاً وعقلاً وواقعاً، يعد إخلالاً كبيراً وتقصيراً خطيراً، من شأنه أن يحول خط هذه الولاية عن وجهته الصحيحة، فلا تحقق الأغراض والوظائف المنوطة بها، في تربية الأجيال وتعليمها، وفي تنمية العباد وعمارة البلاد، وتأهيل الأمة للإمامة العالمية والقيام بوظيفة الشهادة على الأمم كلها.

ولتوضيح معالم هذه الولاية بجلاء، باعتبارها أمانة دينية وخطة شرعية، فقد خصصت هذه الورقات لبيان بعض جوانب المنهج الإسلامي في ولاية التعليم خلال عصر النبوة والصحابة، حتى يحصل الاهتمام بالتي هي أقوم بإذن الله فيها، ويتحقق المقصود الشرعي منها.

وذلك من خلال المبحث التالي:

ثالثاً: المنهج النبوي في ولاية العلم

والتعليم

وبيانه في عنصرين:

العنصر الأول: عناية الرسول ﷺ بالعلم والتعليم باعتبارهما ولاية دينية وخطة شرعية

تحفل السنة النبوية والسيرة العملية لحياة الرسول ﷺ بالأدلة الكثيرة، التي تدل على عنايته بولاية العلم تعلماً وتعليماً، فقد رغب في طلب العلم وحث على التعلم والتعليم، واتخذ ﷺ، باعتباره المعلم الأول للأمة، إجراءات عملية لنشر العلم عامة، والثقافة الإسلامية وتعليم القرآن والسنة، وتبليغ أحكام الشريعة وآداب الإسلام للناس على وجه الخصوص، فرسم ﷺ بذلك خطة ولاية التعليم المنهجية والعلمية، فكانت في غاية الدقة والإتقان، وكان القصد منها تحقيق أغراضها ووظائفها المنوطة بها.

فأما فيما يخص ترغيبه ﷺ في التعلم والتعليم وحثه عليهما، فيشهد لذلك قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على

كل مسلم» (ابن عبد البر في جامع بيان العلم)، وقوله ﷺ: «ما عبدالله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد الدين الفقه» (مجمع الزوائد)، وقوله ﷺ: «من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة» (الداري)، وبهذه الأحاديث النبوية التي ترغب في الطلب، كان ﷺ يحب العلم والتعلم والتعليم إلى الناس، بل إنه حذر من كتم العلم تحذيرا شديدا، فقال متوعدا كاتمته: «من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (ابن حبان)، وأحاديثه ﷺ في الحث على التعلم والتعليم ووجوبها والتحذير من تركهما كثيرة جدا.

وأما فيما يخص الإجراءات العملية التي اتخذها ﷺ لتعليم العلم وتبليغه ونشره، فيكمن تلخيصها في مسألتين هما:

المسألة الأولى: العناية بالتعليم الديني (تعليم العلوم الشرعية) إن عناية الرسول ﷺ بتعليم الناس القرآن والسنة، وتعليمهم أحكامهما وشرائعهما، والتفقه فيهما، هي الوظيفة الأولى التي بعث ﷺ لأجلها، فإله تعالى أمره بتبليغ ما أنزل إليه، فكان ﷺ المبلغ والمعلم الأول للوحي، استجابة لأمر ربه: ﴿يَأْيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ (المائدة: ٦٧)، فكانت وظيفة تبليغ الوحي وتعليمه من أولى أولوياته، يقول مهدي شمس الدين: «لقد كان يعلم أصحابه القرآن كلما نزل الوحي به، ويفسره لهم بقدر ما تسعه أفهامهم، وتدعوا إليه الحاجة، وكان يبليغهم أحكام الله في كل واقعة تطرأ، ويجيب على تساؤلاتهم، وقد يترث في الإجابة حتى ينزل عليه الوحي، وكان يأمرهم وينهاهم في غير ذلك مما يتصل بمكارم الأخلاق».

وقد روي أن الرسول ﷺ استعان في القيام بهذه الوظيفة ببعض الصحابة

في المدينة لتعليم القرآن، ومنهم عبادة بن الصامت، وأبان بن سعيد بن العاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وخالد بن سعيد بن العاص، وكان عبدالله بن رواحة ومعاذ بن جبل يتوليان وظيفة ولاية التعليم في المسجد بعد أن يغادرهم الرسول ﷺ.

وتجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ جعل مسؤولية التبليغ والتعليم عامة، على كل من يعلم، فلم تكن الحاجة ماسة إلى معلمين متفرغين في المدينة خاصة، يشهد لهذا قوله ﷺ في إحدى خطبه بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم خيرا: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقون، ولا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقون ويتعظون أو لأعجلنهم العقوبة في الدنيا» (الترغيب والترهيب)، فالمتأمل في هذا الحديث يجده يستبطن أحكاما شرعية عدة ومعالِم منهجية في التربية والتعليم منها:

أ - أن الرسول ﷺ لم يقر قوما على الجهالة بجانب قوم متعلمين.

ب - أنه ﷺ اعتبر بقاء الجاهلين جهالا، وامتناع العلماء عن تعليمهم عصيانا يستوجب العقاب.

ج - أنه أعلن الحرب والعقوبة على الفريقين، حتى يبادرا إلى التعلم والتعليم، فواجب العالم التبليغ وواجب الجاهل البحث والسؤال حتى يتعلم.

د - أن الحديث ورد فيه أنه ﷺ أعطاهم مهلة عام واحد للقضاء على آثار الجهالة والامية فيما بينهم.

ه - أن هذه الحادثة وإن وردت بشأن الأشعرين علماء وجهالا، فإن الرسول ﷺ أعلن بذلك عن مبدأ وجوب التبليغ للعلماء ووجوب التعلم للجهلاء، وبذلك

يكون ﷺ قد أعلن مكافحة الأمية والجهل في الناس واعتبر ذلك واجبا وليس حقا، وفي ذلك تقرير لمبدأ التكافل العلمي في الأمة الذي ينبغي إحياءه في زمننا للقضاء على الجهل بكل أنواعه.

ويشهد لذلك أيضا قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، فهذا الحديث يمثل إعلانا ودعوة منه ﷺ لعموم الصحابة المتعلمين قدرا من العلم قل أو كثر لأداء واجبهم في التعليم والتبليغ، ليعم العلم بالإسلام وأحكامه وتعاليمه المسلمين جميعا، فالإسلام دين علم، ولا يقبل أن يوجد جهلة به ممن ينتسبون إليه، وقوله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب» يشهد لذلك كذلك.

وقد اتخذ الرسول ﷺ في تعليم المسلمين خارج المدينة وسيلة بعث الرسل إلى الناس ليعلموهم أمر دينهم، وأحكام شريعتهم، فأرسل بعض الصحابة إلى القبائل التي دخلت في الإسلام ليعلموهم القرآن وتعاليم الدين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا ﷺ إلى اليمن فقال: «ادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...».

وعن أنس بن مالك أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فسألوه أن يبعث معهم رجلا يعلمهم، فبعث معهم أبا عبيدة، وقال: «هو أمين هذه الأمة»، وبهذا المنهج في التعليم يكون الرسول ﷺ قد جمع بين أسلوبين: أسلوب وجوب التعليم على عموم المسلمين المتعلمين في حق غير المتعلمين منهم، في حال تقارب أماكنهم وكثرة علمائهم، فالتعليم على هذا المعنى فرض كفاية على عموم المسلمين المتعلمين، وأسلوب التعيين الذي يصير به التعليم فرض عين على من عينه ﷺ لذلك، كما فعل مع معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح كما سلف، وهذا أسلوب منهجي في التخصص الوظيفي.

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس والبريد الإلكتروني ورقم الحساب البنكي، واسم الفرع .

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية.

الوعي الإسلامي
مجلة شهرية علمية

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلّة في حال عدم نشرها.

لغة وأدب

مشروع الذاكرة المعرفية

مشروع الذاكرة العربية مشروع حضاري رائد ترعاه جامعة الدول العربية، وهو يهدف إلى إنشاء ذاكرة عربية واسعة تشتمل على كل ما ألفه العرب قديماً وحديثاً في شتى علوم المعرفة (كتب- مقالات- مجلات- دراسات - أبحاث- مخطوطات...) وتحميله على موقع إلكتروني شامل مزود بأليات متقدمة للبحث والاسترجاع، ولاشك أن مثل هذا المشروع سيضع أمام الباحثين والدارسين كل ما يتطلعون إليه في دراساتهم أياً كان حقلها المعرفي، الأمر الذي سيوفر عليهم الوقت والجهد والمال. ومن ثم سيكون بوسعنا الاستغناء إلى حد كبير عن المصادر الأجنبية التي قد تدس السم في الدسم وتشوه الحقائق وتزور الوقائع، خدمة لأغراضها المشبوهة. إن نجاح مثل هذا المشروع يحتاج من كل الدول العربية والمؤسسات الثقافية رفده بما تمتلك من كنوز لغوية وأدبية وفكرية وعلمية حتى يتكامل ويؤتي ثماره المرجوة.

التحرير





حينما تستحيل الرموز الصامتة إلى أصوات تركض

د. بليغ حمدي إسماعيل

القراءة غذاء العقل والروح، وهي نافذتنا نحو العالم وتعتبر من أهم وسائل كسب المعرفة، فهي تمكن الإنسان من الاتصال المباشر بالمعارف الإنسانية في حاضرها وماضيها، وستظل دائماً أهم وسيلة لاتصال الإنسان بعقول الآخرين وأفكارهم، بالإضافة إلى أثرها البالغ في تكوين الشخصية الإنسانية بأبعادها المختلفة.

ولكن القراءة الحقيقية تبدأ من اللحظة التي يحول فيها القارئ الرموز الصامتة إلى أصوات أشبه بالخيول التي تركض في حركة متأسقة. والقراءة على هذا الأساس هي عملية معقدة تشمل تقييم القارئ للكلمات وعلاقتها مع بعضها في الجملة وقبول معنى ورفض معنى آخر، وتتداخل فيها قدرات عقلية مختلفة وتتأثر بمعطيات داخلية تتصل بالقارئ، وعوامل خارجية تتصل بالنص والظروف المحيطة، وجميع ذلك يؤثر على صورة الاستجابة النهائية للمادة المقروءة، وعليه فإن القراءة تشتمل على جميع مقومات التفكير.

إذن فعملية القراءة - كأداء معرفي- تعتبر عملية متكاملة تمر بمجموعة مستويات، تبدأ بالاكشاف أو التحري الأول وأحياناً يسمى التلقي المباشر، ثم مرحلة الاستنطاق التي تعمل على تحليل البنى الداخلية وتفكيكها لتمهد للقراءة التأويلية التحليلية في إعادة تشكيل الوحدات المعرفية إلى منتج نهائي يصف سلوك ودوافع النص المكتوب.

وإلى هذا، يمكننا القول إن القراءة تتجه تسلسلاً منطقياً في التعامل مع الخطاب اللغوي المكتوب، وتتعامل مع هذا الخطاب اللغوي تعاملاً منهجياً أي بضوابط وشروط لا عشوائياً في استدراج الخطاب إلى مناطق أكثر إشراقاً وإعمالاً

ثمة باحثون يرون أن القراءة عملية عقلية تساوي مع التفكير

والتفكيكي تعمل على تحري شبكة العلاقات والرموز والبنى على أساس مكونات داخلية للنص تثير استغراباً في ذهنية القارئ، ومن دون القراءة التأويلية التي تستثمر رد الفعل الذهني لإعادة صياغة وتشكيل ردود الأفعال تلك إلى وحدة معرفية مستقلة تعطي انطباً عن هوية النص المكتوب من حيث النوايا والأهداف.

ومن خلال المواضيع التاريخية لتعريف القراءة نلاحظ أن كثيراً من الباحثين يرون في القراءة عملية عقلية ويساؤونها بالتفكير، أي أن القراءة عملية تفكير، وهم يستبعدون الأخذ بقضية فك الرموز تعريفاً للقراءة، لأن فك الرمز وتحويل الحروف المكتوبة إلى أصوات لا يتعدى كون القارئ يقوم بعملية آلية وقراءته في هذه الحالة آلية ليس فيها تفكير، وهي أشبه بالقارئ العربي عندما يقرأ نصاً مكتوباً باللغة الفارسية التي تكتب بحروف عربية.

يمكن تعريف القراءة من حيث إنها عملية تنويرية مفادها تأويل الرموز الصامتة التي سرعان ما ستتحول إلى خيول راكضة ذات بعد دلالي مقصود، وبهذا التحديد يمكننا أن نذهب مع المحاولات التي ترنو إلى اعتبار القراءة عملية مكتملة لعملية الرصد الكتابي، فلا قراءة من دون نص مكتوب، وبالتالي فالقراءة هي فعل ذهني منتج يؤدي إلى إنتاج واستنباط خطاب لغوي جديد يعتمد في تشكله على آليات القراءة كعملية ذهنية ذات بعد مستقل، ربما يستمد بعض سمات تحفزه من النص المكتوب. وفي كثير من الأحيان تثار حفنة من التساؤلات حول تحديد مواضع أكثر دقة للقراءة، وهل يمكن تعريف القراءة الاستطاقية (أي تحويل الرمز المجرد إلى صوت وحركة وإيقاع حي) في مرحلة الاكتشاف على أساس أنها وحدة قرائية متكاملة بمعزل عن القراءة التأويلية التي تسهم إلى حد ما في تشخيص الهوية النهائية لمفهوم القراءة؟

وكانت هناك محاولات في فلسفة المعنى، مفادها أن القراءة يجب أن تكون مؤدية إلى منتج ذهني، منتج متمثل برد الفعل تجاه النص المكتوب، وإلا فالقراءة تصبح مجرد محاولة عقيمة لا يمكن تأطيرها بمصطلح القراءة، لأن القراءة الاستطاقية بمستويها البنيوي

أستاذ في جامعة الأزهر

دعوة سعاد

عبد الجواد الحمزاوي

يستيقظ.. أخذت تفكر.. ذهب عقلها إلى الوراء بعيدا، بعد قليل خرج من صدرها زفرة حارة ثم قالت: يا حبيبتي يا أمي! تذكرت سعاد مرضها الشديد وهي صغيرة.. كانت في السنة الثالثة الابتدائية.. لم يكن بقريتها أطباء ولا مستشفيات، و كانت المواصلات صعبة جدا لأقرب مدينة.. اغرورقت عينا سعاد بالدموع وهي تشعر بالتعب الشديد في العناية بابنها الوحيد المريض، رغم انتشار الأطباء في كل مكان ورغم الهواتف التي سهلت الأمور كثيرا.. علت شفها ابتسامة حزينة وهي تسائل نفسها: «ماذا تفعل لو كان عندها خمسة أبناء مثل أمها؛ يوم أن مرضت هي؟».

أفاقت سعاد من تفكيرها على بكاء ابنها.. أرضعته وأعطته الدواء.. ضحك علي الصغير وضحكت أمه.. بعد قليل نام علي.. بسرعة ذهبت سعاد إلى الهاتف. طلبت منزل أبيها.. أتاه صوت الأب قلنا على ابنها.. طمأنته وسألته عن أمها. أخبرها أبوها أن أمها في الطريق إليها لتساعد في الاعتناء بعلي الصغير. وعلمت سعاد أن أمها لم تتم طول الليل من قلقها على حفيدها.

وضعت سعاد السماعة ثم قالت: يا رب اشف أمي من كل أمراضها، وبارك لي في عمرها.

بعد ذلك، عادت إلى ابنها النائم.. نظرت إليه وقالت: سوف تأتي جدتك لتعتني بك.

ثم جلست تستعيد أغنيات أمها لها وهي صغيرة.. ابتسمت كثيرا لتلك الأغنيات وأعدت غنائها لابنها.. لم يستمر ذلك طويلا.. نامت سعاد، ولم تستيقظ إلا عندما رن جرس الباب، وكانت أمها هي القادمة.

كانت سعاد تجلس بجانب ابنها الصغير.. تضع كمادات الماء على جبهته وعلى بطنه، وتمسح يديه ورجليه بالماء.. أخيرا، وحينما اقترب أذان الفجر نزلت درجة الحرارة إلى معدلها الطبيعي.. نام الولد وهذأت أنفاسه.

كان قد بقي على موعد المضاد الحيوي أكثر من نصف ساعة.. صنعت سعاد لنفسها فتجانا من القهوة وجلست بجانب السرير تحنسيه، وعند الموعد تماما أيقظت ابنها.. أعطته ملعقة الدواء ثم هدهدته فنام.. ابتسمت سعاد كثيرا وقبلته.. بعد ذلك، قامت إلى المكتب.. أخرجت ورقة وقلمًا وكتبت..

«أرجوك يا سميير .. مرّ على عملي وخذ لي إجازة اعتيادية لمدة يومين لأن إجازاتي العارضة قد انتهت...».

لم تتس سعاد أن تضبط المنبه على الموعد التالي للمضاد الحيوي.. أخذت المنبه معها إلى السرير ووضعته على المخذة.. لم تكد تضع جنبها على السرير حتى قامت ثانية.. ذهبت إلى التسريحة، ثم جذبت خطابها من تحت زجاجة عطر زوجها وزادت فيه «لا تتس أن تعطي عليا الدواء قبل أن تذهب للعمل لأنني متعبة جدا...».

أخيرا نامت سعاد.. لم تستمر كثيرا في نومها.. أيقظها زوجها وهو يبتسم ثم قال: لماذا لم تحدي لي الدواء الذي أعطيه لعلّي قبل أن أنزل؟

رغما عنها ابتسمت سعاد وقالت: اذهب أنت بالسلامة وسأعطيه أنا الدواء..

نزل الزوج ذاهبا إلى عمله وقامت سعاد تتحسس ابنها الصغير.. رأته نائما في براءة.. أضاء الأبتسام وجهها.. لمست جبهته برفق.. جلست بجانبه تنتظر أن

للعقل وهو يؤوله، أو بعبارة أخرى تعمل القراءة مع النص المكتوب عملاً تنقيبياً من حيث قصدية واضحة، إذ لا نص من دون غاية أو دافع معين، وتحديد هذه القصدية في تشكيل الرؤية الأولى لعملية القراءة التي تمثل عملية تدوينية تتضمن الاكتشاف والتأويل معاً. ويجب الإشارة هنا إلى أن أنماط القراءة، التي تمثل وحدات قرائية متكاملة، إنما تميل إلى تخصيص الرؤية المنتجة، هذا التخصص يأتي من خلال تحديد البنى والعلاقات التي تسهم في إنتاج نمط القراءة.

وبنفس المنطق اللغوي يمكن وصف قراءة الخطاب النفسية وقراءته السيميائية على أنها أنماط قرائية تمثل وحدات متكاملة دون خلل، وكذلك القراءة التي تتناول مفهومي الزمان أو المكان، مضافاً إلى ذلك أية قراءة تعمل على تشخيص عنصر محدد من عناصر الكتابة لتمارس عملية فعل القراءة كوحدة شمولية لمجموعة قراءات تسهم في تشييد مفهوم القراءة العام، أي صيرورات تتشكل من مستويات القراءة الاستكشافية أو الاستطاقية بمستوياتها البنيوي والتفكيكي، مروراً بمستوى القراءة التأويلية لتطرح رؤية شمولية لجانب من جوانب النص المكتوب.

وبهذا الفهم لعملية قراءة الخطاب اللغوي، نخلص إلى أن القراءة من حيث هي أداء معرفي أو نشاط ذهني موجه بقصدية لتقصي مساحات نص مكتوب، هذا التقصي محكوم بآليات وعي متوازنة وواضحة ترسم ملامح الغايات المرجوة من وراء قراءة الخطاب اللغوي، هي عملية اكتشاف واستطاق، وتأويل وتدوين، بصورة أخرى فقراءة أي خطاب لغوي هي دورة معرفية متكاملة تمثل مجموعة إجراءات وعمليات ينتج عنها إنتاج نص جديد يمكن تسميته بخطاب القراءة التأويلي.

قاص مغربي



كناسة الشُّعْر و«مليشيات» الحداثة!

محمد عبدالشافى القوصي

أما قبل، فلا أظن أن هناك من يخالفني في وصف الشُّعْر الحرب «الكناسة»! ولا أتوقع أحداً سيسألني: ما المقصود بكناسة الشُّعْر؟ فالمصطلح دال على معناه القريب والبعيد معاً، وإن كان بعض الأدباء أرادوا أن يخفضوا على قرائهم من وطأة الصدمة، فأطلقوا على هذا الغناء صفات أخرى، مثل: شعر العبيد، أو شعر المجانين، أو الشُّعْر الذي ينقض الوضوء، أو ظاهرة العبث في الشعر!

يسمح لنفسه بالهلوسة ويجد حوله نقاداً يصفقون له ويرفعون رأيتهم ويقولون للعالم إن هذا هو الفن الصحيح.

ومن العجيب أن أصحاب هذه الدعوى الجديدة يقولون: إنهم يكتبون قصيدة النثر الخالية من كل قيود القصيدة القديمة مثل الوزن أو الموسيقى وغير ذلك من العناصر الفنية الأساسية في الشعر، فهل هذا الادعاء هو ادعاء صحيح؟ الحقيقة إنه في جوهره ادعاء كاذب، لأنَّ الأدب العربي قد عرف منذ عصوره القديمة ذلك النثر المليء بندي الشعر وعدوبته منذ كتابات الأصمعي، والجاحظ، وابن جني، والثعالبي.

وقد عرفنا هذا اللون من النثر المليء بروح الشعر في كثير من كتابات المعاصرين مثل: المنفلوطي، والرافعي، والعقاد، وزكى مبارك.. فما أكثر ما كتب هؤلاء نثرًا مليئًا بروح الشُّعْر ومليئًا بالوجدان والعاطفة، ولكننا أبداً ما كنا نخرج من كتابات هؤلاء ونحن أشبه بالمجانين الذين فقدوا عقولهم، وفقدوا قدرتهم على التمييز بين الأشياء، بل كنا نخرج من كتابات هؤلاء الموهوبين- ونحن على العكس- في منتهى اليقظة والنشوة القلبية.

**لَمْ يَكْتَفِ «التغريبون»
بفشلهم الثقافي بل تجرأوا
على الأديان والمقدسات!**

أفرادها إلى نباتات مخلوطة من الأرض غير قادرة على النمو والازدهار».

من أسف، فقد وجدت هذه الدعوى العبثية صدىً واسعاً عند عدد كبير من الشعراء الشبان في البلدان العربية بلا استثناء، وليست هذه الدعوى الماكرة التي تبناها أنسي الحاج، وأدونيس، وعبدالمعطي حجازي، وجابر عصفور، وغيرهم... سوى وباء أدبي يمكن أن يقضي على كل شيء لو أُتيح له الانتشار الواسع، وهذا هو ما يسعى إليه أصحاب هذا الاتجاه.

ونحن بدورنا نسأل أصحاب هذا الاتجاه والتابعين لهم: من أين جاءوا بهذه التقاليع العجيبة مادامت المجتمعات الإنسانية ترفضها وتكرها؟ ومن أين جاءوا بهذه التعقيدات الأدبية؟ ولمن يتوجهون بهذا العبث؟ فما المقصود بقصائد المثلثات أو المربعات والمستطيلات، إننا لم نسمع بفنان

في العقود الأخيرة، اجتاحت الشُّعْر العربي موجة بالغة الخطورة، ينبغي تحذير الشعراء الجدد منها، حتى لا يقعوا في مصيدة هذه الموجة الخاطئة المليئة بالفوضى والعبث والتي تهدف إلى تضليل الإنسان وإضعافه أمام مشاكله الحقيقية وهمومه الجارفة.

ولعل سائلاً يسأل: ماذا يريد أصحاب هذه الدعوى بهذا العبث؟

أجاب «رجاء النقاش» عن هذا السؤال في كتابه «ثلاثون عاماً مع الشُّعْر والشعراء» فقال:

«ذلك يعود إلى المنافع الكثيرة التي تهبط عليهم من بعض المؤسسات العلمية الغربية، والتي تريد أن تخلق الاضطراب في صفوف الأمة، وتشوه أمامها حقيقة ما تسعى إليه من أهداف صحيحة نحو النهوض والتقدم وحل المشكلات العسيرة التي تواجهها في السياسة والاقتصاد وسائر جوانب الحياة، ولا جدال في أنه إذا أراد أحد أن يفسد حياة أمة، وينشر الضعف والارتباك بين أفرادها، فإنَّ أفضل وسيلة إلى ذلك هي إفساد ذوق تلك الأمة، وتشويه إحساسها بالجمال، ونشر التمسك في ألفاظها ولغتها، فكل ذلك يؤدي في نهاية الأمر إلى تحويل



جدوى من الخضوع
فلنقطع الركبة ونصب العنق
عموديا، لا خضوع
أدم! يا موت، بعث.. يا كفاح. لا
شيء..

هذا هو الشعر كما يُراد للأجيال
الجديدة أن تؤمن به، وتمشي على
مذهبه، وتكتب على صورته، ولا يمكننا
أن نقول عن هذا الكلام إنه شعر أو
نثر، بل هو نوع من الهلوسة والفوضى
في التعبير والألفاظ والتركيب الفني،
ثم هو بعد ذلك كلام يخلو من العاطفة
والوجدان، ويخلو من الفكرة والمعنى،
ويخلو من الوحدة الفنية التي تربط بين
أجزائه.

أما عن العبث الأدبي والهديان الذي
يمارسه كاهن الحداثيين العرب «أدونيس»
ويسميه شعراً، إليكم هذا النموذج، ثم
احكموا على صاحبه بما شئتم- بشرط
ألا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه أثم
قلبه:

مكان ولادتي..

١٩٣٠ الشمس قدم الطفل

عرفت أقل من امرأة

لأنني تزوجت بأكثر من امرأة

عرفت أقل من رجل

لأنني تزوجت بأكثر من رجل

أعلنا..

الزواج غبار..

لكن..

مثل يرقة تتحول إلى فراشة..

هكذا يتحول غبار الزواج

إلى زهرة من العشق..

١٩٣٣ نبتة تشعل قنديلا..

١٩٤٠ طفل يعد الغيم ينتظره

الحريق

١٩٥٠ تمطر في أنحاء أخرى

وأثاروا ضجة واسعة حول هذه المدرسة
وحول أهميتها، وفتحت الجامعات
الغربية في أوروبا وأميركا أبوابها لرواد
هذه المدرسة، وأغدقت عليهم المنح
الدراسية، وأفسحت لهم مجال الوظائف
العلمية البارزة المؤقتة والدائمة، واتسعت
الحملة لتقدم ترجمات كثيرة جداً لشعراء
هذه المدرسة وأدبائها من العربية إلى
اللغات الأوروبية، ومنذ سنوات يتردد أن
«أدونيس» مرشح لجائزة نوبل من خلال
تحمس المستشرقين الغربيين له ولأدبه
واتجاهاته، ومحاولاتهم الدائمة للضغط
على الأكاديمية السويدية التي تمنح
جائزة نوبل وإقناعها بأن «أدونيس»
هو الذي يمثل حقيقة الشعر العربي
المعاصر!

ومما يؤسف له أن كثيراً من الشعراء
الشبان وقعوا في مصيدة هذه المدرسة
تحت دعاوى لها جاذبيتها، من هذه
الدعاوى أن مدرسة العبث الشعري هي
التي تمثل الحداثة أو التجديد الصحيح،
وأن من لا يكتب بهذه الطريقة يصبح
تقليدياً جامداً متخلفاً عن العصر واقعاً
في إيسار الأفكار القديمة البالية!
ترى.. ما نوع الشعر الذي يدعو إليه
هؤلاء «المجددون» أقصد المخربين أو
الحداثيين؟ وأين هذا الفتح المبين في
عالم الشعر والأدب؟
إنهم لم يقدموا حتى الآن سوى أشعار
كريهة كالمحيط أو كأرجل الفئران.

فخذ هذا النموذج- على سبيل
المثال- لأحد زعماء شعراء الحداثة
«أنسي الحاج»:

«... جديدة ستبقى، وصلت أمواج

الدم الأسود إلى الحواجب

أنت تفرزين، ونحن نسبح.. نغرق

ويحتل الأطفال دوائرنا، بعدك لا

فليحذر أبناء الجيل الجديد من
الشعراء من هذه الموجة العبثية التي تريد
أن تدمر الوجدان العربي، وأن تدمر معه
أدبنا وإحساسنا بالجمال، وتطلعنا إلى
النهوض والتجديد الصحيح، فما هذه
الموجة الأدبية الجديدة في جوهرها إلا
جزء من الحرب على شخصيتنا الأصيلة،
ومحاولة لاقتلاعها من جذورها، لتسليمنا
إلى عدونا جثة هامة.

إن هذه المدرسة التي يتزعمها
أدونيس اعتمدت على أفكار القوميين
السوريين القديمة في معاداة العروبة،
واعتمدت من جانب آخر على أساليب
التعبير المليئة بالألفاظ والرموز المغلقة،
وقد لقيت ترحيباً وتأييداً ورواجاً كبيراً
عند بعض أوساط الاستشراق الغربية،
تلك الأوساط التي لا تعمل من أجل
العلم والحقيقة والتعاون بين الشعوب،
وإنما تعمل عن عقيدة أو منفعة لخدمة
المصالح الغربية في الوطن العربي، ومن
أهم المصالح الغربية في وطننا العربي
العمل على تحطيم أي وسيلة أو أداة
يمكن أن تجمع بين العرب أو تحقق
الوفاق بينهم أو توحد بين أفكارهم
ومشاعرهم، وعلى رأس ما يمكن أن
يحقق وحدة المشاعر والأفكار العربية:
الأدب والثقافة واللغة. فلماذا لا تتمزق
هذه الوسائل تمزقاً كبيراً وتنتشر فيها
الفوضى والانقسامات وتمتلئ بالألفاظ
والأسرار، حتى يتحول العرب إلى
مدارس متعارضة، متشاحنة ومتناقضة
في التفكير والشعور والتعبير، بدلاً مما
كان بينهم من الوحدة القائمة أو المحتملة
في المستقبل. ومن هنا اهتمت دوائر
الاستشراق الغربي المعادية لنا بهذه
المدارس الأدبية الجديدة، ومنها مدرسة
العبث الشعري التي نتحدث عنها،



الدائري، نحت الوردة الترابية، تقررني الكفوف البرونزية فوق الأبواب، وصدى الليل حيث أظأ الأرض».

وبعد.. هل نستطيع أن نسمي هذا الكلام شعراً أو نثرًا؟ وهل نستطيع أن نخرج منه بأي تجربة روحية حقيقية.. واضحة كانت أو غامضة؟ إن الخروج من هذا الكلام بفكرة أو تأثر نفسي وجداني، هو أمر مستحيل، فنحن نتعثر- مع هذا النص- بين مجموعة من عبارات تشبه «الحُفْر» التي تملأ طريقًا مهجورًا لم تمسه يد بالتعديل والإصلاح من قبل!

فالقاموس الذي يستخدمه الشاعر الحدائي غريب ومليء بالألفاظ الصادمة المنفرة التي تجعل الإنسان يشعر كأنه يمضغ زلطا بين أضراسه، فآلفاظ مثل «تمغطني، تشخب، رطرطنتي، تباعيض...» هل تصلح هذه الكلمات للاستخدام الأدبي؟ بالقطع لا، وألف لا.. فلا تصلح في شعر أو نثر، لأنها ألفاظ هجينة ملفقة، ولا أصل لها في اللغة العربية ولا حتى في اللهجات العامية.

ونتساءل- الآن- أليست هذه النماذج العبثية التي أوردناها هي من «كناسة الشعر»؟ أليست المجالات التي تحتفي بنشر هذه النماذج الكريهة هي من «كناسة الصحف»؟ وأليس أصحاب هذه النماذج الحامضة هم «كناسة الشعراء»؟!

وليت الأمر توقف عند حد هذه «الكناسة» التي أفرزتها ميليشيات الحدائة، بل ذهبوا إلى أقبح من ذلك بكثير، فتجروأوا على الأديان وسائر المقدسات، بصورة مشينة، لم يسبقهم إليها أحد من قبل، حتى في عصور الجاهلية الأولى!!

دعاة الحدائة أرادوا إفساد ذائقة الأمة وتشويه إحساسها بالجمال

الشعر الحر، فقد كتب قصيدة لها عنوان عجيب غريب، هذا العنوان من أربع عشرة كلمة، كالآتي:

«تغني للتباعد، أصعد، والبراعم حيطاني، أصعد، وهي الامتلاء، ترميني بالأهله والشوك، والجسر المنيع».

هذا هو عنوان القصيدة.. فماذا نجد في هذا العنوان غير التشويش والاضطراب والعجز عن الإيحاء بمعنى أو فكرة أو عاطفة؟

ولنترك العنوان ونقرأ الجزء الأول من «القصيدة» كما يسميها الشاعر الحدائي:

أيها الأفق الذي

أصابني بالدوار

هل أنت تنظر إلي

وتمغطني

أم أنا الذي صلبت في الأبواب الذابلة وفي الحناء التي تشخب شعر البنات يا أفقا من العيون الشبيخة، والنخيل المغضن، أطلق عصفورة بيضاء ذات منقار أحمر كالسمسة

أطلقها تحلق في الحقول الهوجاء، وفي زوبعة النخيل، أطلقها من كتاب

الغياب

يا قلبا في ضلوع الفلكي الحزين

قع في الرهجة الحكيمة

وانشق في وتر الحنين

رطرطنتي العريبات الخشبية،

بأعرافها الملونة، وعجلاتها المعجنة، أنا

ستحظى بينابيع يأخذها غيرك الجسد أطول طريق إلى الجسد هل اللمس للجسد وحده حقا؟

هذا نموذج من شعر أدونيس الذي يدعو إليه، بل أنشأ مجلة يدعو فيها إلى هذا المذهب العبثي الجديد هي مجلة «مواقف» التي تصدر في بيروت، ويصدر كل عدد منها وهو ممتلئ بهذا السخف، وبالذعوة إليه والدفاع عنه، واعتباره نموذجا للشعر العصري الأصيل الذي ليس بعده ولا قبله شعر آخر!

ونترك كلا من أنسي الحاج، وأدونيس، لنأخذ نموذجا لواحد من آباء الحدائة العربية، وهو الشاعر «توفيق صايغ»:

أريدني عدما في قبعة

وأريدك عينين منومتين وأصابع

رشيقة

تبعث بالقبعة وبالرائين وببي

وتبعثني أرنبا ينط

ولا عجب إذا علمنا أن صاحب هذا

العبث والإسفاف، يعتبره الحدائيون العرب إماما ورائدا كبيرا من روادهم في هذا اللون العبثي!

ولا يفوتنا إلى أن نشير إلى بعض نماذج للحدائيين المصريين، وأتحدى لو أن أحدا في الدنيا يفهم شيئا من عبثهم وهذيانهم، يقول الحدائي «حسن طلب»:

هل الجيم تحضي وتجفو؟

أجل كل جيم جثت جيفة تجوى

وجفاء يحف

فكيف يجافخ بالجيم جلف؟

وهل يستجاد من الجيم وجف؟

أجل كل جيم إذا جثجت

جنح الجذب جرف

وهذا حدائي آخر «أمجد ريان» ممن

أصابه «فيروس» الحدائة أو «جرثومة»



في رثاء الشيخ العلامة بداه بن البوصيري الشنقيطي رحمه الله

المدقق المحقق الشيخ بوميّة بن محمد السعيد بن أبيّاه الشنقيطي يرثي شيخه العلامة شيخ
الإسلام بداه بن البوصيري الشنقيطي رحمه الله

لَا يُجَارَى مُسِكَ بِزَمَامِهَا
هُوَ الْمَاهِرُ الْحَرِيْتُ بَيْنَ فُنُونِهَا
لِمُسْتَبِيهِ مِنْ حِلِّهَا وَحَرَامِهَا
فَكَمْ بَتَّ عِلْمًا فِي قُلُوبِ كَثِيرَةٍ
شَفَاهَا بِهِ مِنْ جَهْلِهَا وَسَقَامِهَا
وَعَنْ سُنَّةِ الْمُخْتَارِ كَانَ مُدَافِعًا
إِذَا مَا اتَّقَتْ أَعْدَاءَهَا بِحُسَامِهَا
لِتُصَقَّلَ مِنْ حَرِيفِ كُلِّ مُحَرِّفٍ
وَمِنْ بَدَعٍ قَدْ خَيَّمَتْ بِقَتَامِهَا
إِذَا سَامَتِ الْإِسْلَامَ حُسْفًا جَمَاعَةً
قَدْ انْحَرَفَتْ عَنْ رُشْدِهَا وَقَوَامِهَا
تَصَدَّى لِقَوْلِ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَنَبَرٍ
وَلَمْ يَخْشَ مِنْ تَهْدِيدِهَا وَمَلَامِهَا
هُوَ الْفَارِسُ الْمُغَوَّارُ حِينَ تَأَجَّجَتْ
مَعَارِكُ قَوْلِ الْحَقِّ عِنْدَ احْتِدَامِهَا
فَيَارِبَّ فَاجْعَلْ رَوْضَةَ الشَّيْخِ رَحْمَةً
وَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ طُولَ مَقَامِهَا
وَصَلِّ عَلَى مَنْ كَانَ رُحْمَى لِأُمَّةٍ
بِمَلَّتِهِ نَالَتْ بُلُوغَ مَرَامِهَا

لَقَدْ وَدَّعَتْ شَنْقِيطُ بَدْرَ تَمَامِهَا
وَعَالِمِهَا النَّحِيرِ جَالِي ظَلَامِهَا
لَقَدْ رُزِنَتْ بِدَاهِ جَلِّ مُصَابِهَا وَعَمِّ
الْأَسَى فِي سَهْلِهَا وَإِكَامِهَا
لَقَدْ رُزِنَتْ عِلْمًا وَتَقْوَى وَسُؤْدَدًا
خِصَالٌ تَوَلَّتْ فِي فِرَاقِ إِمَامِهَا
إِمَامٍ، خِصَالُ الْفَضْلِ فِيهِ جَمَعَتْ
مُقِيمِ الْمَعَالِي، مُسِكَ بِسَنَامِهَا
أَقَامَ لِدِينِ اللَّهِ صِرْحًا مَسْنِدًا
أَعَادَ إِلَى شَنْقِيطُ بَعْدَ مَقَامِهَا
فَأَخْلَقَهُ الْقُرْآنُ يَحْكُمُ قَوْلُهُ
وَيُظْهِرُ فِي أَفْعَالِهِ بِتَمَامِهَا
فَكَمْ لَيْلَةٍ لَيْلَاءَ نَامَ بِهَا الْوَرَى
جَفَافِي بِهَا عَنْ مَضْجَعِ لِقِيَامِهَا
وَكَمْ صَامَ يَوْمًا أَيَوْمًا فِي عِبَادَةٍ
يُبَالِغُ فِي كِنَمَانِهَا وَدَوَامِهَا
عَزُوفًا عَنِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَزَيَّنَتْ
بِزُخْرُفِهَا لَمْ يَلْتَفِتْ لِحَطَامِهَا
مَجَلَّ بِمِيدَانِ الْعُلُومِ مُبَرِّزًا بِهَا



دور الأدب المقارن في عالمية الأدب العربي

فيصل سليمان حسن

يعرف الأدب المقارن (Comparative Literature) على نحو اصطلاحى عام بأنه نوع من الدراسات النقدية الأكاديمية الحديثة التي تتصدى لدراسة أدبين أو أكثر ينتميان إلى قوميتين مختلفتين ولغتين مختلفتين، من منظور علمي أكاديمي محايد، من حيث علاقات التأثر والتأثير والتشابه والاختلاف، والموازنة الفنية والموضوعاتية والجمالية، وبيان النظرة المتبادلة التي يرسماها الأدب القومي عن شخصية الأدب القومي الآخر، فضلاً عن انتشار المذاهب الأدبية والتيارات الفنية بين الآداب القومية، وغير ذلك من ميادين المقارنة المتعددة التي تلتزم حدود العمل الأدبي، للوصول إلى التعبيرات الأدبية المتنوعة للروح الإنسانية وما تطرحه من مقولات فنية وفكرية وأخلاقية وجمالية سامية، على اعتبار أن العمل الأدبي القومي لا يعبر فقط عن الروح الوطنية الضيقة بقدر ما يرتفع بها لتعكس التعبير عن الروح الإنسانية المترفعة عن الحدود اللغوية والقومية، في صراعها من أجل المعرفة والحياة والحرية.

من القرن المنصرم ملايين النسخ، وكذلك طبعت أعمال محمود درويش الشعرية في فرنسا وألمانيا مثلاً بما يعرف بـ «كتاب الجيب» الواسع الانتشار، وإن دلت هذه الأمثلة على شيء فإنما تدل على الحضور الواسع للأدب العربي في الأوساط الثقافية والأدبية العالمية ومستوى القبول الذي يحظى به من جمهور القراء من غير أبنائه. ٣- الاحتفال بالكتاب العربي ضيف شرف على فعاليات أدبية ثقافية عالمية: كاحتفال بالكتاب العربي ضيف شرف على معرض الكتاب الدولي في باريس ومدريد وطهران وفرانكفورت وأنقرة وطوكيو، وغيرها من مراكز الحراك الدولي للكتاب، ويتم فيها اختيار مجموعة من الكتب المميزة في الأدب العربي لطرحها على طاولات البحث والنقاش النقدي المرفقة لفعاليات معارض الكتاب، ليصار إلى دراستها ابداعياً باعتبارها تمثل نماذج جيدة لحركة الأدب العرب في المرحلة الراهنة بسببها وإيجابياتها، ثم تكريم مبدعي هذه الكتب. ٤- مشاركة رموز الفكر والأدب العربي في الحراك النقدي والنقاشي في الساحات الأدبية والثقافية العالمية التي تتصدى لقضايا الأدب المتنوعة نقداً ودراسة،

مسيرته التعبيرية والإنسانية معاً، وجعلته يحظى بقبول عالمي ملحوظ، ويساهم بفعالية في الحراك الإبداعي العالمي شعرياً ونثرياً، ونستطيع أن ندلل على صحة ذلك بجوانب متكاملة متداخلة بارزة هي: ١- الجوائز العالمية الكبيرة التي حصدها مبدعون عرب: نذكر هاهنا «منح جائزة نوبل للأدب للروائي نجيب محفوظ، وجائزة «بجورنسون» النرويجية وجائزة «ليتو» الإسبانية للشاعر أدونيس، وجائزة «اليونسكو» للشاعر محمود درويش، وجائزة «غونكور» الفرنسية للكاتب المغربي طاهر بن جلون وغير ما ذكرنا كثير. ٢- حركة الترجمة الكبرى التي لقيتها أعمال إبداعية عربية: على شاكلته ما نجد عند الأدياء محمود درويش، ونجيب محفوظ، وأدونيس، وجبران خليل جبران، وغيرهم كثيرون، حيث ترجمت على سبيل المثال لا الحصر، أعمال أدونيس إلى أكثر من خمس وسبعين لغة حية حول العالم وتحول كتابه (النبي The prophet)، إلى ما يعرف بكتاب الـ (Best seller) أي الأكثر مبيعاً، وطبع منه في الخمسينيات

الحقيقة أن الأدب المقارن بهذا المفهوم الاصطلاحي العام يشكل وسيلة حديثة شديدة الأهمية والفعالية للأدب العربي فيحفز مسيرته الإبداعية نحو تحقيق سمات الأدب العالمي World Literature أو ما بات يعرف اصطلاحاً بـ «عالمية الأدب العربي»، فإذا كان الأدب العالمي يعرف على نحو اصطلاحى عام بأنه «ذلك النوع من الأدب القومي الذي بلغ مستوى عالمياً من النضج الفني والفكري عبر تجربته الإبداعية بما يمكنه من تجاوز حدوده القومية واللغوية في التأثير الفني والجمالي والموضوعاتي بالآداب القومية الأخرى، وتبادل علاقات التواصل والتفاعل الإبداعي الحر معها، فضلاً عن قدرته الفذة على التعبير الفني العميق عن هواجس الروح الإنسانية العميقة بغض النظر عن لغتها أو عرقها أو موطنها أو جنسها»، فإن الأدب العربي استطاع ولا سيما في النصف الثاني من القرن المنصرم أن يقطع خطوات حثيثة من النضج الفني والفكري والجمالي في الوصول إلى العالمية في ضوء علاقات التفاعل والتواصل المتبادل مع الآداب القومية الأخرى التي أغنت

باحث سوري



المختلفة شعراً ونثراً، ولا سيما ما يتصل بوسائل الحوار الفني والجمالي الأدبي الذي أجراه الأدب العربي المعاصر مع الآداب العالمية الكبرى، كالآداب الأوروبية، والأميركية والمسافات الجمالية التي أفرزها هذا الحوار، فمن المعلوم أن الأدب العربي المعاصر مثلاً انعكست في نتاجاته الشعرية والنثرية حوارات فكرية وأدبية كثيرة مصدر الغالب منها الآداب الأوروبية المعاصرة، تشربها الأدب العربي المعاصر بعد أن أخضعها لتجربته الذاتية وثقافته وقيمه، ثم أضاف عليها ما ينسجم مع هذه التجربة وتلك الثقافة والقيم، وهذا ما بات يعرف في الدراسات المقارنة المعاصرة بـ «التناص»، والإضافة الفنية والجمالية تسمى «المسافة الجمالية» ولعل التناص Intertext و«المسافة الجمالية» Beauty distance من أهم صور التعبير الفني والجمالي عن الذات الإنسانية بكل صورها وتنوعاتها التي يجب أن يشمر دارسو الأدب المقارن المعاصر عن سواعدهم لدراستها بكل موضوعية ومهنية.

٣- إذا كان العصر الذي نعيش فيه عصر تراكم ثقافي هائل، وتواصل تكنولوجي غير مسبوق حول العالم إلى أسرة، وليس لقربة كما كان يقال سابقاً فإن الأدب المقارن مدعو إلى الاستفادة الحثيثة والفاعلة من هذه الظروف المميزة، بما يعود على دوره الثقافي والفني والأدبي بالمزيد من الفنى والفاعلية، وهنا لابد قبل كل شيء أن يعيد النظر بكل مصطلحاته وأدواته، فمن المعلوم أن المصطلحات التي أنتجها علماء الأدب المقارن ورموزه منذ غوته وحتى يومنا هذا أصبحت قاصرة ومتخلفة، وغير قادرة على مواكبة الدراسات والاتجاهات الفنية والفكرية في العصر الحديث وتتطلب تطويراً حقيقياً في حقولها الدلالية لتصبح أكثر قدرة على مواكبة التراكم الثقافي الهائل الذي نعيش أبعاده هذه الأيام، ولتستجيب من جانب ثانٍ للتقنيات التحليلية الجديدة في الدراسات المقارنة، والأفكار التي تطرحها.

لابد من المواجهة الحازمة للموجة التي تتهكم من لغة الضاد

للأدب المقارن العربي الذي يمكنه حفز القيم الفنية والجمالية العالمية للأدب العربي، وإبرازها علي نحو خلاف مبدع يليق بأدب يحمل تاريخاً عريقاً من الإبداع في نواحي الفن والمعرفة والجمال، ولكي يحقق الأدب المقارن العربي هذه الأهداف على نحو ناضج راق لابد من أن يأخذ بعين الاعتبار الجوانب الآتية:

١- تقديم الأعمال الإبداعية العربية للعالمية تقديماً حضارياً من منظور موضوعي، فالباحث المقارن ينطلق من داخل النص الإبداعي العربي، من دون مبالغة أو تهويل أو «تقويل» النص ما لا يقوله حقيقة، ويقدمه للقارئ العالمي تقديماً يمزج بين مقولات الأصالة الوطنية ومشكلاتها وهوأجسها وتساؤلاتها، وبين مقولات العالمية ومشكلاتها المعاصرة وهوأجسها وتساؤلاتها، بحيث ينتمي النص الإبداعي العربي الذي يتصدى له الباحث المقارن إلى قيمة العربية ويعبر عن هواجس الذات العربية المعاصرة وقضاياها المتنوعة، بالوقت ذاته الذي يعبر فيه عن هواجس الذات الإنسانية المعاصرة في كل زمان ومكان، ويتبنى مقولاتها وقضاياها الحياتية الأساسية، وهذا معناه أن يبرز الأدب المقارن العربي في أبحاثه البعد الحضاري كجزء لا ينفصل عن الخطاب الأدبي العربي المعاصر.

٢- لما كان الأدب، في بعض تعريفاته، تعبيراً فنياً وجمالياً عن صور الذات الإنسانية وتنوعاتها، فإن الأدب المقارن العربي مدعو وبإلحاح، إلى البحث عن صور الذات الإنسانية ومناحيها، كما انعكست في نتاجات الأدب العربي المعاصر

والاحتفال بمشاركتهم من خلال نشرها في دوريات إعلامية مسؤولة: ولا ننسى هاهنا دعوة الكاتب المسرحي سعد الله ونوس لإلقاء الكلمة الافتتاحية لمهرجان المسرح الدولي في طوكيو، كذلك مشاركة الكاتب والناقد الدكتور كمال أبوديب في الحراك النقدي والنقاشي للشعر المعاصر في فعاليات دولية ثقافية بلندن، وأيضاً الدكتور المرحوم هشام شرابي والمرحوم الدكتور محمد أركون وأدونيس، مما جعلهم يتركون أثراً لا يخفى في الحراك النقدي النقاشي حول الأدب في المساحات الأدبية والنقدية العالمية.

وإذا كانت هذه الجوانب المتكاملة تدلل بشكل واقعي منطقي ثابت على مرحلة النضج الفني والجمالي التي بلغها الأدب العربي وقدرته على مواكبة الحراك الأدبي والثقافي العالمي فنياً وجمالياً وفكرياً بما جعله يدخل باب العالمية برأينا، فإنها من جانب آخر تفتح المجال واسعاً أمام الأدب المقارن المهني لممارسة دوره النقدي والدراسي المهني للكشف عن قضايا التأثير والتأثير المتبادل بين الأدب العربي والآداب العالمية وعلاقات المتأقفة (Acculturation) والحوار الإبداعي، والتواصل الموضوعاتي المشترك والمقولات الفكرية والفنية والجمالية التي يقدمها للشخصية العربية والشخصية الأجنبية في الأعمال الأدبية ونصبيها من السلب والإيجاب، وذلك كله من منظور حرفي مهني بعيداً عن العنصرية بمعناها السلبي البغيض، وبعيداً عن الشخصانية والكيدية والاتهام بالتآمر وسوء الظن، لأنها سمات لا تتوافق والأدب المقارن المهني بمعناه الحضاري الراقى الذي يهدف إلى تلمس نقاط الاشتراك في التعبير الفني المتنوع للآداب العالمية عن الروح الإبداعية الواحدة البشرية، وما تطرحه مشكلات الحياة والفكر والثقافة عليها من أسئلة جوهرية مشتركة وطريقة الإجابة الأدبية عنها.

هذه هي بعض ملامح الدور المنشود



الأديب الناقد د. جابر قميحة لـ «الوعي الإسلامي»:

«الأدب الإسلامي» ولد في أحضان «الأدب العربي»

حوار/ محمد عبدالشافي



هذا اللقاء هو مع الشاعر والناقد الدكتور جابر قميحة المعروف بغزارة نتاجه وكثرة مؤلفاته، فضلاً عن مواقفه دفاعاً عن الأدب الأصيل والثقافة الإسلامية، وقد خاض كثيراً من المعارك الأدبية في مختلف المجالات هنا وهناك. كما شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية التي نافح من خلالها عن رسالة الأدب الإسلامي وقضاياها، كما دعا إلى ضرورة المواجهة الصارمة مع المذاهب الأدبية الأخرى مثل: الوجودية والاشتراكية والحداثة. ويرى د. قميحة أن «الأدب العربي» هو محض «الأدب الإسلامي» الأول، وميدانه الأهم، ولكنه ليس ميدانه الأوحده، لأن هناك علاقة قرابة بين الأدب العربي والأدب الإسلامي، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي، لذلك فالأدب الإسلامي لا يلغي شيئاً من الأدب العربي ولا ينكر الأدب الجاهلي أو الأموي أو العباسي، بل يرى في الأدب العربي ميدانه الأكبر.. وإلى التفاصيل:

مصطلح الأدب الإسلامي قد جاء رد فعل لسطوة هذه المذاهب الغربية، فهو رد فعل لم يأت انفعالياً عاطفياً، وإن كان للعاطفة حظ كبير فيه، وهذا لا يعيب العمل، فلا قيمة للعمل إذا لم يكن وراءه عاطفة قوية منضبطة متدققة، ومع ذلك فهو عمل له قواعده وفكره وعقلانيته.

وأرى، أنه كان لا بد من المواجهة الصارمة للمذاهب الأدبية الأخرى مثل: الوجودية والاشتراكية والحداثة وغيرها التي يرفضها المنطق الإسلامي، وذلك عن طريق إبراز مذهب أدبي له قيمة وتميز ليزيح ما في ساحة المسلمين من هذه المذاهب والمدارس المشبوهة.

أليس الأدب العربي هو أدب إسلامي؟ وإذا كان الأمر كذلك.. فما هي ضرورة استخدام مصطلح

الانبهار «الغريبات» راسب من رواسب «عقدة الخواجة»!

وتكثر الاعتراضات كلما اتسعت قاعدة هذا الأدب على المستوى العربي تقعيدياً وتنظيرياً وإبداعاً، وتبدأ الاعتراضات وتبدو كأنها حرب عوان على المصطلح ذاته «مصطلح الأدب الإسلامي».

تري، ما هي الدوافع وراء إبراز مصطلح «الأدب الإسلامي» في هذا الوقت بالذات.. هل هورد فعل للأعمال الأدبية المتناقضة على الساحة.. أم أنه دعوة لإيقاظ الأمة من غفلتها؟ حتى لو افترضنا جدلاً أن إبراز

دعنا نسأل في البداية عن مصطلح «الأدب الإسلامي» الذي منذ أن لاح في الأفق، لم يهدأ لكثير من الأدباء والنقاد بال.. ما بين مؤيد ومعارض، ومادح وقادح.. ترى متى، وكيف تحسم هذه القضية؟

لا بد أن نعلم -أولاً- أن الهجوم على المصطلح، إنما هو هجوم على الأدب الإسلامي ذاته.. ذلك الأدب الذي ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة في قوالب فنية أسرة، وهو بهذا المفهوم ليس جديداً على الساحة العربية والإسلامية، بل إنه يمتد من بعثة الرسول ﷺ إلى وقتنا الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وقد كثرت الاعتراضات على هذا اللون من الأدب -كما تقول- مع أنه حقيقة تستغرق أوسع مساحة زمنية في تاريخنا،



أو عدم الرضا يقود إلى عملية عكسية هي الإزراء «بالعمل العظيم» والحط من قدره، والتحقير منه.

ولعل من أسباب التطرف التي تقود إلى الخطأ في الحكم وسوء التخرّيج والتفسير، نقص الاستقراء، والاندفاع في الحكم بلا روية وتأن، والنظر إلى الأثر أو مادة الدراسة من زاوية ضيقة لعدم الإحاطة الشاملة بجوانبها المختلفة.

ومن أسباب التطرف النقدي -أيضاً- الانبهار «بالغريبات» أدباً ونقداً.. وذلك بالنظر إلى الآداب الغربية كمثل أعلى يجب أن يحتذى.. واعتبار قيمه الأدبية والجمالية ومذاهبه في النقد والأدب والاجتماع والسياسة هي قمة ما وصلت إليه البشرية، ويظهر ذلك في هُروع نقاد إلى المذاهب النقدية المستحدثة مثل البنوية، والسقوط في شباكها وأسرها في تعنت وتعسف لم يبلغ بعضه أصحاب المذاهب نفسها، وما ذلك إلا راسب من رواسب «عقدة الخواجة»!

**الأكاديميون -وأنت واحد منهم-
مُتَهَمُونَ بأنهم من سكان الأبراج
العاجية، وعدم تخطي أسوار الجامعة
والنزول إلى مستوى الجماهير
والاستعلاء عليها؟**

لا يستطيع أستاذ الجامعة -الأكاديمي- أن يكون جماهيرياً إلا بقدر محدود جداً جداً، وبطريقة معينة تتراد له، وقد لا يريد، وهناك كثيرون جداً من أساتذة الجامعة حاولوا.. فأخفقوا، لأنهم لم يسايروا الجو وأنا شخصياً لي تجارب مُرة في هذا الميدان. فالكل يدرك أن مسؤولية الانعزال لا تقع على الأكاديميين ولكن على المتحكمين المتعسفين الذين يسيطرون على المنافذ والقنوات الموصلة للجماهير.

**هل صحيح أن الثقافة العربية
أُصيبت بأضرار فادحة بسبب سوء
اختيار المناهج الدراسية في تناول
الأدب العربي، وتجاهلها للذوق العام**

لا بد من المواجهة الصارمة مع المذاهب الأدبية الهدامة كالحداثة وأخوانها

الأدبيّين الفارسيّ والعربي، ونهل مما نهل منه هذان الأدبان من المعاني القرآنية، فامتد الأدب الإسلامي إلى لغات وشعوب أخرى. إذن، فالأدب الإسلامي لا يلغي شيئاً من الأدب العربي ولا ينكر الأدب الجاهلي أو الأموي أو العباسي، بل يرى في الأدب العربي ميدانه الأكبر.

ونحن عندما نتحدث عن أدب إسلامي، لا نرفض تراثاً عريقاً، ولا ندعو إلى أدب بلا جذور، بل العكس من ذلك، فنحن ندعو إلى التمسك بالجذور والأصول والتراث.

**بصفة عامة.. ما هو تقييمكم
للواقع الأدبي والثقافي في العالم
العربي؟**

إذا نظرنا إلى واقعنا الأدبي والنقدي وجدنا أنه محكوم إلى حد كبير بمنطق التطرف بما فيه من إسراف ومغالاة وأحكام متعسفة، وإصرار على الخطأ، وعدم التأمّن في إصدار الأحكام، حيث لا إيمان إلا بلونين فقط. الأبيض الناصع والأسود الحالك.. أمّا الرمادي فلا مكان ولا وجود له.

ولعل ظاهرة التطرف في وقتنا الحاضر تبرز أوضح ما تكون في «نقد الشّعْر» فقد تحول نقد الشّعْر في أغلبه إلى لون من المجاملات المسرفة التي لا تليق بالحد الأدنى من أخلاق الناقد.. بل بالحد الأدنى من الأخلاقيات والصدق مع النفس بالمفهوم العام.

وإذا كانت المجاملات تدفع الناقد إلى الرفع من قيمة «الخصيس»، والاحتفاء «بالدون»، والتضخيم والتنهويل من قيمة «الأثر اللافتي» فإنّ شعور العداوة والغضب

«الأدب الإسلامي» وربما قد يؤدي هذا التقسيم إلى التفرقة والتخريب وتجزئة الساحة وتقسيم الأدباء؟

هناك حقيقة أولية غابت عنك، وهي أن الأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، فإن بينهما علاقة الرحم والقربا، فالأدب العربي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية أيًا كانت مضموناتها واتجاهاتها وعصورها. أمّا الأدب الإسلامي فهو مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية التي تعالج قضية ما برؤية إسلامية صافية، سواء أكانت مكتوبة باللغة العربية، أم بغيرها من اللغات.

إذن، فبين الأدب العربي والأدب الإسلامي أمومة وقربا، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي، وذلك عندما غمس الأدباء الملتزمون تجربتهم الأدبية في قضايا الإسلام، ووظفوا شعرهم ونثرهم في خدمة المجتمع الإسلامي، وفي حمل القضية الإسلامية وإعلائها، ونما هذا الوليد في الشّعْر العربي والنثر، وعالج قضايا عدة برؤية إسلامية، وشكّل تياراً إسلامياً رافق رحلة الأدب العربي منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا.

وأؤكد هنا، أن الأدب العربي هو محضن الأدب الإسلامي الأول، وميدانه الأهم، ولكنه ليس ميدانه الأوحد. فعندما انتصر الإسلام خارج الأقطار العربية، ودخلت فيه شعوب أخرى، وتأثرت به آدابها، نبث لهذا الأدب أجنحة جديدة، أعطته بعداً إنسانياً عالمياً، فقد ظهر في الأدب الفارسي منذ القرن الثالث الهجري تيار إسلامي استفاد من الأدب العربي شعره ونثره، واستفاد من القرآن والسنة، وحمل قضايا إسلامية كثيرة، وأصبح تياراً موازياً للتيار الإسلامي في الأدب العربي، وربما يتفوق عليه في بعض القضايا والفنون.

وما لبث الأدب التركي أن استفاد من



الشائع؟ أو بمعنى آخر، ما هو سر الجفاء القائم بين شبابنا ومثقفينا وبين تراثنا الأدبي القديم؟

إنني أرى أن الأسباب كثيرة ومتعددة وكلها في حاجة إلى تفصيل، وأهم هذه الأسباب من وجهة نظري: عدم تيسير هذا الشَّعْر للقراء بالنظر إلى الحصول عليه من ناحية، والصورة التي يقدم بها من ناحية أخرى.

كذلك، البدء بتدريس هذا الشعر في مدارسنا وجامعاتنا قبل أن ينضج الوعي التذوقي للطالب، والسبب هو إصرار المسؤولين في التربية والتعليم العالي على مراعاة الترتيب الزمني في دراسة النصوص الأدبية.

أيضاً، سوء اختيار النماذج الشعرية، والتحرك في نطاق ضيق جداً في الاختيار، فالطلبة لا يكادون يعرفون من هو أبوتمام!

بالإضافة إلى ذلك، الاعتماد في شرح هذه النصوص على الجوانب الفكرية واللغوية على حساب القيم الفنية والجمالية، مما يطبع النص وشرحه بطابع الجفاف الحاد.

اختلف النقاد حول «شعر المناسبات» فمنهم من يرى أنه ضعيف فنياً، ويأخذ مكانه في المرتبة الأخيرة من قافلة الشعر، وذلك لخلوه من العاطفة والصدق الفني، فما رأيك بهذه القضية؟

إنها غلطة قاتلة تصاغ في معلومات تحشر في أذهان المتأدبين -وللأسف- تلقن لأبنائنا في المرحلة الثانوية، وأكرر.. إنها غلطة شاعت بلا مبرر، لأن الناقد الحصيف لا ينظر إلى القصيدة من خارجها، ولكنه الذي يعايش القصيدة موقفاً وموضوعاً وفكراً وتصويراً وتعبيراً ومشاعر وأحاسيس، يستوي في ذلك أن تدور القصيدة حول نكبة يونيو ١٩٦٧م، وانتصار أكتوبر ١٩٧٣، وانتفاضة الحجارة وتصوير آلام النفس في تجربة خاصة.

وإنه ليس من النقد البصير أن نزري بالقصيدة لأنها تدور حول مناسبات ووقائع تاريخية، وليس بالنقد البصير -كذلك- أن نجل القصيدة ونعظمها لأنها قصيدة ذات عاطفة خاصة، ولكن النقد البصير هو ذلك الذي يبحث عما في هذه أو تلك من ثراء الفكر وبراعة التصوير والتعبير وحيوية الشعور.. إن معظم الشَّعْر يدور حول مناسبات ووقائع، فجرت قرائح الشعراء وألهمتهم العبرة، واستطاع هؤلاء الشعراء بقدرتهم الفنية أن يوظفوا المناسبة أجمل توظيف، لذا عاشت قصائدهم في وجدان الناس على مر الزمان!

رثاء

الشيخ فيصل مولوي في ذمة الله



فقدت الأمة الإسلامية والعربية العالم الجليل والفقير المستشار الشيخ فيصل مولوي، عن عمر يناهز الـ٧٠ عاماً، والفقيد من مواليد ١٩٤١م - طرابلس- لبنان.

وكان مولوي رئيساً لجمعية التربية الإسلامية في لبنان، ورئيس بيت الدعوة والدعاة منذ تأسيسه سنة ١٩٩٠م، وعضو اللجنة الإدارية للمؤتمر القومي الإسلامي.

وقد عين مولوي قاضياً شرعياً في لبنان سنة ١٩٦٨م، وتقل بين المحاكم الشرعية الابتدائية في راشيا وطرابلس وبيروت، ثم عين مستشاراً في المحكمة الشرعية العليا في بيروت سنة ١٩٨٨م وبقي في هذا المركز حتى استقالته سنة ١٩٩٦م، قبل أن ينال مرتبة «قاضي شرف برتبة مستشار» بموجب مرسوم جمهوري رقم ٥٥٣٧ تاريخ ٢٣ مايو ٢٠٠١م. أمضى فيصل مولوي في أوروبا خمس سنوات من ١٩٨٠ حتى ١٩٨٥م، وقد أسس في فرنسا الاتحاد الإسلامي والكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية، وأصبح مرشداً دينياً لاتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا ثم في أوروبا منذ سنة ١٩٨٦م، وبقي على تواصل مع أكثر المراكز الإسلامية في أوروبا حتى وفاته.

وله العديد من المؤلفات التي أثرت العالم الإسلامي منها: سلسلة مبادئ التربية الإسلامية للمرحلة الابتدائية (خمسة أجزاء)، وسلسلة التربية الإسلامية للمرحلة المتوسطة (أربعة أجزاء)، والجزء الأول من كتاب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية، وتيسير فقه العبادات، ودراسات حول الربا والمصارف والبنوك، وموقف الإسلام من الرق، وأحكام الموارد، دراسة مقارنة.

الخداع.. كتاب جديد يفضح الأساطير

بهيح بهجت سكيك

لفضح أساطير اليهود والصهاينة ودعاياتهم، كما يلقي الضوء على مختلف جوانب العلاقة الأميركية الإسرائيلية والأضرار التي تلحق الولايات المتحدة من جرائمها، بل يظهر بالوثائق تواطؤ الولايات المتحدة بالسكوت عن احتلال إسرائيل للأراضي العربية وانتهاكها البشع لحقوق الإنسان وفرضها حكماً عسكرياً صارماً ووحشياً على الشعب الفلسطيني.

بول فندي مؤلف هذا الكتاب أشهر من أن يعرف، فعلى مدى عشرين سنة، هي مدة عضويته في الكونجرس الأميركي، يكاد يكون العضو الوحيد الذي ناصر حقوق الإنسان الفلسطيني ودافع عنها وكشف خداع إسرائيل للرأي العام، وفضح أساليب اللوبي الصهيوني في السيطرة على صانعي القرار السياسي في الولايات المتحدة الأميركية.

باللغة العربية، بل إن أصله الإنجليزي احتل مكان الصدارة بين الكتب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة.

هذا الكتاب

هذا الكتاب (الخداع) جاء استكمالاً لكتاب «من يجرؤ على الكلام»

ينطلق فندي في تأليف كتابه «الخداع» من أمرين هما :

أولاً: حبه لبلاده وحرصه على مصالحها، واعتقاده بأن سياستها الموالية للصهيونية تتنافى مع مبادئ العدل وتساعد في انتهاك حقوق الإنسان في الشرق الأوسط وخصوصاً فلسطين.

ثانياً: إن الكتب والمقالات والروايات التلفزيونية الدرامية والبرامج الوثائقية لا تتناول سوى الجانب البطولي لتاريخ إسرائيل وسلوكها الحالي، وتتجاهل أو تغض النظر عن انتهاكاتها المستمرة لحقوق الإنسان.

وخلال عضويته بمجلس النواب الأميركي، منها اثنتا عشرة سنة عضواً جمهورياً بارزاً في اللجان الفرعية المعنية بشؤون الشرق الأوسط، وبعد خروجه من الكونجرس عام ١٩٨٢م جاء كتابه الأول «من يجرؤ على الكلام» ليكشف الصور الزائفة التي يقبلها الأميركيون ببراءة إسرائيل الحقيقية، ويستغل مناصرو إسرائيل تلك الصورة المضللة بمهارة كبيرة في برنامجهم لضمان استمرار التواطؤ الأميركي الإسرائيلي، لقد صدر من هذا الكتاب أكثر من ست طبعات



باحث تربوي

الخداع

يقع هذا الكتاب في ٤٠٢ صفحة من القطع الكبير، وأشرف على ترجمته أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة الأميركية ببيروت د. محمود يوسف زايد وأصدرته شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، ص.ب. ٨٣٧٥، وأسهم في ترجمته وطباعته على الكمبيوتر وإخراجه وتصميم الغلاف العديد من الشباب الذين وجه لهم المترجم الشكر الجزيل.

في الصفحات الأولى كلمة شكر للكاتب بول فندلي للعديد من الشخصيات والمنظمات المناهضة للتمييز، وتقديم للمترجم د. محمود يوسف زايد الذي تمنى أن يقرأ هذا الكتاب كل سياسي ودبلوماسي عربي معني بالقضية الفلسطينية أو العلاقات العربية الأميركية.

لكن في رأيي أن أهم ما يميز هذا الكتاب المنهجية والأسلوب العلمي الدقيق المعتمد على التوثيق والشواهد والدلائل، بالتاريخ واليوم الذي أكسبته مصداقية لا حد لها.

قُسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء وخاتمة، إضافة للهوامش والمصادر التي احتلت ١٠٠ صفحة من صفحات الكتاب، ثم زود الكتاب بقراءات احتلت أقوالاً مختارة لبعض الكتاب.

بالأمس

«بالأمس» هو عنوان الجزء الأول من الكتاب الذي يضم عشرة فصول حملت هذه العناوين على التوالي: مزاعم إسرائيل حول فلسطين، حرب عام ١٩٤٨، اللاجئون الفلسطينيون، أزمة قناة السويس ١٩٥٦م، حرب ١٩٦٧، قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، حرب الاستنزاف ١٩٦٩-١٩٧٠، حرب عام ١٩٧٣م، الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢،

هل تقتنع السلطة الفلسطينية بعدم جدوى مفاوضات السلام الجارية منذ ١٩٩٣ وإلى الآن؟!

وأخيراً حكومات الليكود الإسرائيلية، الفصل الأول ضم ٦ أساطير (أكاذيب):

١- إننا نعلن إنشاء إسرائيل بفضل حقنا التاريخي. (إعلان الاستقلال إسرائيل).

٢- لقد أثبت وعد التوأمة صحة شهادة ميلاد إسرائيل الدولية. (أيباك).

٣- اعترف وعد بلفور بحق اليهود في العودة القومية إلى فلسطين. (إعلان استقلال إسرائيل).

٤- فلسطين- الأرض بلا شعب- لشعب اليهود بلا أرض. (الصهيوني زانغويل).

٥- لدى اليهود سند قانوني يخولهم بأن يكونوا أمة في فلسطين، وهو قرار الأمم المتحدة الأميركية.

٦- كانت فلسطين في الأصل تضم الأردن. (أرييل شارون).

قام فندلي بالرد على كل أسطورة (أكذوبة) كل على حدة، وخصوصاً الحق التاريخي، فكتب أن اليهود ليسوا أول من سكن فلسطين، كما أن فترة حكمهم كانت قصيرة على بعض أجزاء من فلسطين فقط، فقد سبقهم الكنعانيون والمصريون والهكسوس والحيثيون والفلسطينيون، ثم الآشوريون والبابليون، واختصاراً

فإن حكم اليهود القدامى لأجزاء من فلسطين لم يزد على ٦٠٠ سنة خلال ٥٠٠٠ سنة من تاريخ فلسطين المدون..

وكذلك قام بالرد على كل أسطورة من

هذه الأساطير.

وفي الفصل الثاني من الجزء الأول حرب ١٩٤٨م أورد ٧ أساطير فندها كلها، منها: إننا لا ننوي تتحية العرب جانباً والاستيلاء على أرضهم وحرمانهم من الميراث. (بن جوريون)، وفي الفصل الثالث أورد المؤلف ٦ أساطير منها: يوجد لاجئون، لا يوجد مقاتلون سعوا إلى تدميرنا، جذراً وفرعاً. (ديفيد بن جوريون).

وعن أزمة السويس عام ١٩٥٦م أشار إلى ثلاث أكاذيب من إسرائيل وأهمها تصريح بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل: إن اتفاقية الهدنة مع مصر ميتة، مدفونة، ولا يمكن إعادتها للحياة.

أما حرب عام ١٩٦٧م، والتي لم نتخلص من آثارها حتى اليوم، والتي سماها عبدالناصر «النكسة»، وسعى حتى وفاته لإزالة آثار العدوان، فقد سجل أربع أساطير وقام بالرد عليها، وكان أوضحها

وأكبرها ما صرح به سفير الولايات المتحدة الأميركية لدى إسرائيل من عام ١٩٦١-١٩٧٣م وورلوث باربر حيث ادعى أنه: ليس لدى حكومة إسرائيل- ونكرر ليس لديها- نية لاستغلال الوضع في

سبيل توسيع رقعة أرضها، والحقيقة أنه بعد نصف ساعة من سقوط القدس بيد الجيش الإسرائيلي وصل

الحاخام الاشكنازي الأكبر لقوات الدفاع الإسرائيلي إلى حائط المبكي وقال: أنا الجنرال شلومو جورين الحاخام الأكبر لجيش الدفاع الإسرائيلي، لقد وصلت إلى هذا المكان.. ولن أعادته بعد الآن،

أما وزير الدفاع في ذلك الوقت موسى دايان فقال: لقد وحدنا القدس، عاصمة إسرائيل المقسمة، لقد رجعنا إلى أقدس

أماكننا المقدسة، ولن نرحل عنه ثانية.

ونحن الآن في عام ٢٠١١م وبعد ٤٥ عاماً على سقوط القدس نرى ما

يحدث من تهويد للمدينة المقدسة وقضم ميرمج لأراضي الضفة الغربية وإقامة مستوطنات ونسف لمفاوضات السلام!! وعن قرار الأمم المتحدة رقم (٢٤٢) والذي أثار جدلاً لمدة تزيد على عشرين سنة فقد أورد ثلاث أكاذيب منها تصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي منحيم بيغن (١٩٧٧ - ١٩٨٣) حيث قال: لا يتطلب قرار الأمم المتحدة رقم (٢٤٢) انسحاباً على جميع الجبهات، ويتابع فندلي في الفصل السابع والثامن والتاسع والعاشر فضح أكاذيبهم وربطها بالتوراة ووعودها، ولعل من أكثرها سفالة تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق أرييل شارون عند اجتياحه للبنان ودخول عاصمتها بيروت عام ١٩٨٢م ومذابح صبرا وشاتيلا، ما قاله: كانت الحرب اللبنانية ككل حروب إسرائيل حرباً دفاعية.

وعلى عكس حزب العمل الاشتراكي الإسرائيلي الذي وافق على فكرة تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م، وعلى صيغة مبادلة الأرض بالسلام كما وردت في القرار (٢٤٢) للأمم المتحدة، فإن حزب الليكود الذي استلم الحكم من عام ١٩٧٧م وإلى الآن.. كان أكثر وضوحاً حين أعلن في بيانه العام: أن حق الشعب اليهودي في أرض إسرائيل أبدي وغير قابل للمناقشة. فهل تقتنع السلطة الفلسطينية بعدم جدوى مفاوضات السلام الجارية منذ عام ١٩٩٣م وإلى الآن؟!

اليوم

هو عنوان الجزء الثاني، ويقصد بذلك حال القضية الفلسطينية اليوم، والعلاقات العربية الفلسطينية من جهة والإسرائيلية من جهة أخرى! ويقع في تسعة فصول هي: الانتفاضة الفلسطينية، المواطنون الإسرائيليون في فلسطين، اللوبي الإسرائيلي، ومساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل، وضمانات

القروض لإسرائيل، تجسس إسرائيل على أميركا، أسلحة إسرائيل النووية، إسرائيل وجنوب أفريقيا، إسرائيل والعالم الثالث. نقل المؤلف فندلي عن مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان بالقدس الإحصائية التالية عن الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٨م وحتى عام ١٩٩٢م: قتلت القوات الإسرائيلية ٩٩٤ فلسطينياً وأصيب ١١٩٣٠٠، وأبعد ٦٦ وحكم على ١٦٠٠٠ بالحجز الإداري، وصدور ٩٤٨٣٠ فداناً من الأرض، وهدم وختم بالشمع الأحمر ٢٠٧٤ بيتاً وفرض ١٠,٠٠٠ حظر تجول، واقتلعت ١٢٠,٠٠٠ شجرة!!

وهو بذلك يرد على تصريح مساعد وزير الخارجية الأميركية لحقوق الإنسان ريتشارد شيفتر (١٩٨٥ - ١٩٩٢م): إن إسرائيل ليست فقط صاحبة الحق في إعادة النظام أو المحافظة عليه في الأراضي المحتلة واستخدام القوة بالصورة الملائمة لتحقيق ذلك.. بل هي ملزمة بذلك.

أما أكذوبة «أيباك» فقد كانت أكبر: من المعترف به أن إدارة إسرائيل للضفة الغربية، يهودا والسامرة وقطاع غزة، تعد إدارة رحيمة إذا ما قورنت بسواها.

وعن نفوذ اللوبي الصهيوني (أيباك) في أميركا قال السيناتور الأميركي الديموقراطي عن أيداهو: كنت كلما احتجت إلى معلومات عن الشرق الأوسط اشعر بالاطمئنان لمعرفتي بأنه يمكنني أن اعتمد على «أيباك» للحصول على مساعدة موثقة من محترفين.

أما عن مساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل فقد أعلنت أيباك (اللوبي الصهيوني في أميركا) أنه بالمقارنة نجد أن المساعدة لإسرائيل صفقة رابحة.

ما بين عامي ١٩٤٩م ونهاية ١٩٩١م زودت الولايات المتحدة إسرائيل

بمساعدات ومنافع خاصة بقيمة ٥٣ بليون دولار، وهذا يساوي ١٣٪ من مجموع المساعدات العسكرية والاقتصادية الأميركية للعالم خلال تلك الفترة، ومنذ معاهدة السلام المصرية- الإسرائيلية عام ١٩٧٩م بلغت هذه المساعدات ما مجموعه ٤٠,١ بليون دولار، أي ما يساوي ٢١,٥٪ من مجموع المساعدات لباقي دول العالم، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد سكان إسرائيل حوالي ٦ ملايين نسمة فقط، إضافة إلى هبات صندوق الدعم الاقتصادي والهبات العسكرية.

ماذا كسبت الولايات المتحدة من وراء هذه الصفقة الرابحة؟! حروب في أفغانستان والعراق والخليج العربي وغيرها دفاعاً عن أمن ووجود إسرائيل، وعبئاً ونزيفاً دائماً لدفاعي الضرائب الأميركيين، إضافة إلى كره وحقد كل العالم للولايات المتحدة وسياساتها المتفطرسة، وقد ردت إسرائيل على ذلك بالتجسس على أميركا (بولارد وزوجته آن هندرسون) وسرقة أسرار نووية منها، ومنافسة أميركا في سوق السلاح العالمي!!

المستقبل

«المستقبل» هو عنوان الجزء الثالث الذي يضم تسعة فصول عن حكومة إسحق رابين، القضية الفلسطينية، مزاعم إسرائيل حول القدس، والمستوطنات الإسرائيلية، إسرائيل والأمم المتحدة، إسرائيل وعملية السلام، إسرائيل كحليف استراتيجي، القيم المشتركة بين أميركا وإسرائيل.

وكلها موضوعات عاصرناها بمرارتها، من كذب إسحق رابين- داعية السلام- وقمعه للانتفاضة الأولى، وتكسير عظام الأطفال، وموقفه من القدس والمستوطنات «إن حقنا في

يرى مؤلف كتاب «الخداع» أن مستقبل القدس سيشكل تحدياً سياسياً معقداً

التي يتغنى بها الطرفان، وهي أكثر الأساطير التي باتت مفضوحة للعالم كله.

٥- هذه علاقة تقوم على التزام مشترك بالديموقراطية وقيم مشتركة. (الرئيس جورج بوش ١٩٩٢).

٦- إن أساس العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة صرح لا يتزعزع من القيم والأمال المشتركة. (اسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل).

وإذا كان «فندلي» يرى في خاتمة كتابه أن الأزمة المتفاقمة في الشرق الأوسط تتطلب من الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية قيادة ملهمة وجريئة، ولكن أيًا منهما لا تملك ذلك، فهما تواصلان تأجيل اتخاذ القرارات التي يمكن لأي عامل يرى أنها ملحة وحتمية.

كما يرى بول فندلي أن مستقبل القدس سيشكل تحدياً سياسياً معقداً، ولكنه ليس من النوع غير القابل للحل.

وإذا كان د.محمود يوسف زايد مترجم هذا الكتاب يتمنى أن يقرأ هذا الكتاب كل سياسي ودبلوماسي عربي معنى بالقضية الفلسطينية أو العلاقات العربية الأميركية.. فأنا الفلسطيني المفقور البعيد عن وطني والمبعد عنه- وما أنا إلا حالة ونتاج لهذا الحلف الاستراتيجي الشيطاني بين أميركا وإسرائيل، واسترجع قول الرئيس بنيامين فرانكلين وهو يضع دستور الولايات المتحدة عن اليهود وهو ينصح «أبعدوهم قبل فوات الأوان» فإنهم سيتحكمون في شعبنا ويدمرونه!- أتمنى أن يقتني هذا الكتاب كل فلسطيني في الوطن وفي الشتات، في المدينة والقرية والخيمة، وأن يرضع كل وليد فلسطيني مع حليب أمه هذه الأساطير والأكاذيب التي تقوم عليها السياسية الإسرائيلية التوسعية؛ ليكتسب مناعة ضدها.

إلى مدريد في مؤتمر السلام ١٩٩١م، فقد أعلن إسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل ورئيس وفدها قائلاً: كنت سأجري مفاوضات حول الحكم الذاتي لمدة عشر سنوات يتم خلالها استيطان نصف مليون يهودي! أليس هذا ما يجري إلى اليوم؟!

إسرائيل كحليف استراتيجي

لم ينكر أحد من رؤساء الولايات المتحدة أو المسؤولين فيها العلاقة والحلف بين إسرائيل والولايات المتحدة، ومن أقوالهم:

١- إن إسرائيل هي وحدها الركيزة الاستراتيجية في المنطقة التي تستطيع الولايات المتحدة الاعتماد عليها. (الرئيس رونالد ريجان ١٩٨١م)

٢- إن علاقتنا مع إسرائيل تخدم مصالحنا الخاصة المتبادلة. (الرئيس رونالد ريجان ١٩٨٥).

٣- علينا ألا ننسى أن إسرائيل تبقى صديقاً قوياً يمكن الاعتماد عليه وحليفاً استراتيجياً مستقراً. (الرئيس بيل كلينتون الديمقراطي ١٩٩٤)

٤- لقد بات الأميركيون يدركون أهمية إسرائيل الكبيرة كشريك في السعي وراء الحرية والديمقراطية، وكشعب يشاركنا مثلنا العليا، وكحليف استراتيجي أساسي. (جورج شولتز وزير خارجية أميركا ١٩٨٥) وهذا يجربنا إلى الفصل الأخير من الجزء الثالث عن «القيم المشتركة بين أميركا وإسرائيل»

الأراضي المحتلة لا يقبل الجدل»، أما علاقة إسرائيل بالأمم المتحدة، والتي ولدت من رحمها، كما يدعون ونسوا أن الأمم المتحدة ولدت توأمين (ولداً وبناتاً) وُئد الولد (الدولة الفلسطينية) بعد مولده مباشرة وعاشت البنات حتى بلغت الستين!

إن سيطرة الولايات المتحدة على منظمة الأمم المتحدة جعلها أسيرة لديها بسبب تحيز أميركا لإسرائيل، وتلك العلاقة «العضوية» التي تربط بين الدولتين.

صحيح أن الولايات المتحدة وافقت بين أعوام ١٩٤٨-١٩٩٢م على ٦٨ قراراً بنقد إسرائيل بصور مختلفة (تعبير عن أسفها العميق، تدين، تستنكر، تحميل المسؤولية، توصي إسرائيل، تحث إسرائيل...!)، إلا أنها استخدمت حق الفيتو ٢٩ مرة في نفس الفترة لحماية إسرائيل من الرأي العام في المجتمع الدولي ومنها: حق الفلسطينيين في تقرير المصير، ودولة مستقلة وحمايتها على قدم المساواة مع غيرها، وكان التصويت ١٣ لصالح القرار وواحد امتنع عن التصويت، وفيتو الولايات المتحدة، وكان ذلك في يوليو ١٩٧٣م.

أما استعداد إسرائيل لمناقشة السلام مع جيرانها في أي يوم من الأيام وحول كل المسائل فهو أكذوبة وأسطورة جولدا مائير، فقد ظهر كذب هذا الادعاء حين أعلن بن جوريون عام ١٩٤٩م أن السلام أمر أساسي بأي ثمن!! مروراً بمشروعات روجرز ١٩٦٩م، وخطة كارتر الشاملة ١٩٧٧م، وخطة الأمير فهد (الملك) للسلام عام ١٩٨١م، وخطة ديغان للسلام ١٩٨٢م، وخطة ملوك ورؤساء العرب في فاس ١٩٨٢م، وخطة بوش الأب ١٩٨٩م. وتجلّى حب إسرائيل للسلام حين ضغطت عليها الولايات المتحدة للذهاب



أسرتي

الأسرة البديلة

يقصد بالأسرة البديلة في العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية أسلوب الرعاية للأطفال الذين فقدوا أسرهم بسبب الوفاة أو الطلاق أو الهجر أو الضياع أو الإهمال أو العجز، أو غيرها من الأسباب، ويقوم هذا الأسلوب على أساس وضع الطفل في أسرة بديلة لأسرته التي فقدتها بدلا من إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية الاجتماعية بهدف توفير الحياة الأسرية الطبيعية التي يشعر فيها بالأمن والطمأنينة مع والدين بديلين لوالديه اللذين فقدتهما بفقد أسرته الأصلية.

وقد أشارت الدراسات إلى أن أسلوب «الأسرة البديلة» أفضل بكثير في رعاية الطفل من أسلوب إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية، بل وقد يكون أفضل من رعايته في أسرته الحقيقية إذا كان والداه غير مأمونين، أو غير قادرين على رعايته وحمايته، فيؤذيانه بقسوتهم ويفسدانه بسوء سلوكيهما وانحراف مزاجيهما.

التحرير



البيت أساس العملية التربوية

ليلى محمد محمد

ثمة ملاحظة لا بد من إدراكها وهي أن الطفل الصغير- من سن عام إلى اثني عشر عاماً- شديد الترقب والانتباه، حتى وإن بدا عليه أنه لا يدرك ولا يكتث، ويمكن الاستدلال عليه من قول النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».



لا بد من تغيير كثير من السلوكيات عند الشباب والكبار والتي تتمثل في ظواهر سيئة تتنافى في كثير من الأحيان مع المبادئ والقيم والتقاليد، بل وتتعارض مع صحيح الدين، ويعزى ذلك إلى التأثير نتيجة تغير بعض الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وإلى عدم اتباع بيوتات المسلمين السلوك الإسلامي الرشيد، الذي يغرس في نفوس أولادهم مبادئ الحق في العقيدة والسلوك، ونسوا تماماً أنهم المثل الأعلى لأبنائهم، وإنهم يجب أن يظلوا دائماً في موضع القدوة.

وخلاصة القول: ان البيت هو السبب الرئيسي والأساسي في انحراف الشباب وفي انحراف السلوك عندهم، وخصوصاً في البيوتات التي تعتمد على الخدم، لاسيما وأن اكتساب العقائد والسلوك والمبادئ والتقاليد يأتي عن طريق التربية، من خلال ما يراه الطفل ويسمعه ويربى عليه في البيئة الداخلية.

ومن هنا، علينا أن ندرك أن الشباب أشبه بالديناميت، إذا انفجر حطم كل شيء حوله، ولا يجني إلا على نفسه، مع ملاحظة أنه «مهما بدأ الإنسان منحرفاً في ظاهره، فلا ينبغي أن نياس من إصلاحه، ويكفي أن نقف عند قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾، والنماذج كثيرة جداً في كتب التراجم عن الذين كانوا في ضلال مبين ثم انتقلوا نقلة هائلة فأصبحوا من خير أمة أخرجت للناس، وثمة قصص

كثير من هذه السلبيات إذا فعلنا التالي:
أولاً: العقيدة الصحيحة، علينا تعليم أطفالنا أصول العقيدة الصحيحة والأمور الواجبة عليهم من العبادات.

ثانياً: مبادئ الإسلام، فيجب العمل على تعريفهم بمبادئ الإسلام الأخرى، مع بيان الفضائل الاجتماعية.

ثالثاً: المراقبة والإشراف، علينا المزيد من المراقبة والإشراف عليهم حتى يكبروا أو يتحملوا مسؤولياتهم بأنفسهم.

رابعاً: العمل على فرض رقابة شديدة واليقظة لتصرفات الأولاد وسلوكياتهم.

خامساً: التفكير في مساوئ الخدمات الأجنبية في البيوت وعدم الاعتماد عليهم إلا عند الضرورة القصوى.

سادساً: عدم الاستجابة لكل ما يطلبه الأبناء وتعويدهم تحمل المسؤولية من الصغر.

سابعاً: على الدولة الاهتمام بافتتاح النوادي لشغل أوقات الشباب بالرياضة، واستغلال المدارس أثناء فترة الإجازة الصيفية.

ثامناً: العمل على طبع كتب نافعة، لا سيما الكتب التي تتحدث عن البطولات والدعوة للأخلاق، والعمل على افتتاح مشاغل للبنات والسيدات لشغل أوقات فراغهن، وذلك عن طريق الجمعيات الخيرية النسائية، وعدم الاعتماد الكامل على الخدمات.

تاسعاً: بيان أخطاء وأخطار المشاغبات التليفونية، ومراقبة البنين والبنات جيداً، إذا لم يتمكن من منعهم تماماً من استعمال هذا الجهاز الذي لم يصنع لذلك، وإنما لقضاء المصالح والاستفادة منه في أعمال الخير.

للصالحين في تاريخ هذه الأمة، فهذا مالك بن دينار- رحمه الله- وهو من رجال الأمة المشهورين، وأعلامها المدونين، حيث كان مسرفاً على نفسه، غليظ القلب، بعيداً عن الجادة، حتى استدل على الطريق، وسار فيه بصدق، فإذا هو علم ومشل هداية، يتوب على يديه مئات في حلقات وعظه وتعليمه. وعلينا أن نجاهد مع هؤلاء الشباب، فهم أبناؤنا وبناتنا وإخواننا، وألا نياس من إصلاح من نراهم في حياتنا على غير الصورة التي نحبها لهم، فكم من إنسان كان يحيا حياة القطيع فلما اهتدى ساق القطيع الى درب الله سبحانه!؟ حيث يقرر الحق تبارك وتعالى هذه القاعدة في قوله: ﴿أو من كان ميثاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾.

ولاشك أننا لا نعفي المدرسة والشارع والمجتمع ولا وسائل الإعلام من كونها سبباً كبيراً من أسباب التغير في الكثير من الأنماط والسلوكيات (موضوع بحثنا)، ولكن تبقى مسؤولية البيت أهم، ويمكننا تدارك



اسمعونا .. حق يطالب به الأبناء

آمال عبدالرحمن محمد

فبالنسبة للأسرة يجب على الأهل إظهار الاهتمام والتركيز مع الطفل عندما يريد الإدلاء برأيه، وإفساح الوقت له ليصيغ ما يعبر عنه وتشجيعه على الإفشاء بكلمات بسيطة، والتحلي بالصبر وطرح أسئلة تعكس للطفل الرغبة في فهم ما يريده واحترام آرائه.

وفي إطار المدرسة التي تعد المؤسسة المثلى لتنفيذ حقوق الطفل يجب على إدارتها اتخاذ جميع التدابير من أجل إتاحة الفرص للأطفال في التعبير عن آرائهم، وإشراكهم في التخطيط للمناهج والبرامج الدراسية وفي المسائل التأديبية، حيث يجب احترام حق الطفل في الاستماع إليه خاصة في حالة الطرد من الفصل أو المدرسة دون حوافز أو زجر، بل إتاحة الفرصة له في إبداء الرأي والدفاع عن حقوقه وتعريفه بأخطائه، كذلك يجب على الوزارة وضع برامج ملائمة للأطفال والمراهقين لتسعى إلى تهيئة بيئات تفاعلية تقوم على الرعاية والحماية والمشاركة للقيام بدور إيجابي في المجتمع وتحمل مسؤولية المواطنة داخل مجتمعاتهم، فالمشاركة تخدم حماية الأطفال كما يرى التربويون لأن التعبير عن الآراء واحترامها هو أداة قوية يمكن من خلالها مواجهة حالات العنف والإساءة التي يتعرضون لها، فيؤدي في النهاية إلى حماية المعتدين بدلا من الأطفال كما يمكن أن يولد العنف لدى الصغار.

هذه المشاركة وفرها قانون الطفل المعدل، حيث وضع أعلى سقف لتمتع الطفل بكل الحقوق، لكن ينبغي بعد ذلك تدريب الوالدين على الاستماع إلى الطفل في الأسرة، وتدريب العاملين في المدارس على تمكنه من تكوين رأي مستنير وإتاحة الفرصة له للتعبير عن رأيه بحرية.

العام تحت شعار «مشاركة الطفل.. معا نتخذ القرار» بالتعاون مع الحكومة الإيطالية واليونسيف ومركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء، واقتتحة وزير الدولة لشؤون الأسرة والسكان، وحضره عدد من المحافظين وممثلي الجمعيات الأهلية والمنظمات الدولية، ويأتي في إطار مشروع «مصر جديدة بالأطفال» الذي يهدف إلى بناء بيئة ثقافية ودستورية تخدم فيها حقوق كل طفل من دون تمييز، فالمشاركة أحد هذه الحقوق وهي أساس الحياة، والإنسان في جميع مراحل عمره يحتاج إلى أن يشارك ويتكلم ويجد من يستمع إليه ويناقشه في قضايا تهم الأسرة أو المجتمع، ومن حقه أن يحترم رأيه ليشعر أن له دوراً ورأياً فيزداد إحساسه بالانتماء وتقديره للمسؤوليات والواجبات، ويكتسب الثقة فيكون اتخاذ القرارات الصائبة أسهل والنتائج أفضل.

إن الأخذ بآراء الأطفال واحترامها كما قالت وزيرة الأسرة والسكان غير مفضل في كثير من الدول العربية، إذ يراه البعض تحدياً لمؤسسة الأسرة والسلطة الوالدية، وهو أمر غير صائب لأن دور الوالدين هو الإرشاد والتوجيه وإبداء الاستعداد للاستماع إلى وجهات نظر الصغار ومناقشتها معهم ليتعلموا أن يكونوا إيجابيين وديمقراطيين، ومن خلال اتباع هذا النهج سوف يتفهم الطفل لماذا لا يمكنه اتباع بعض الآراء التي أيدها؟ ولماذا نتخذ قرارات قد تكون مختلفة مع تلك المفضلة لديه؟ مما يؤهله بعد ذلك لأن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع، ولكن الحق في المشاركة يتطلب إجراءات فعالة ليصبح حقيقة واقعة، لأن الأطفال يتعلمون من خلال المشاركة والتعامل مع الآخرين.

وأهم مجالين يجب أن يمارس الطفل من خلالهما هذا الحق هما الأسرة والمدرسة،

«أنا طفل لكن لي حقوق، ومن حقي أن تستمعوا لي» هذه العبارة التي يمكن أن ترد في أذهان بعض الأطفال لكن كم طفلاً بالفعل يسمح له والداه بإبداء الرأي في المسائل الأسرية التي تخصه؟ وكم طفلاً يسمح له بالمشاركة بالرأي في المناهج الدراسية التي يتلقاها أو البرامج التي توجه إليه؟ نعم هناك عدد لا بأس به من الأسر المثقفة التي تسمح للأبناء بمناقشتهم والتعبير عن آرائهم بحرية، ولكن في المقابل هناك عدد أكبر من الأسر التي ترفض هذا المبدأ تماماً وتعتبره تدخلاً في شؤونها الخاصة، مما يجعل هذه المشكلة حالة مجتمعية شبه عالمية، لأنه إذا كان الطفل العربي قد حصل اليوم على معظم حقوقه الأساسية من حيث الحق في أن يكون له شهادة ميلاد، والحق في الرعاية الصحية والتعليم، فإن حق المشاركة بالرأي والاستماع إليه مازال غير مفضل بالنسبة لأعداد كبيرة من الأطفال خاصة الفئات الأقل حظاً في مستوى المعيشة.

إن هذا الحق نصت عليه اتفاقية حقوق الطفل التي وقعت عليها معظم الدول العربية، وأكدت أنه من حقوق الإنسان وأنه من حق الطفل التعبير عن رأيه بحرية، والمشاركة في اتخاذ القرارات التي يمكن أن تكون مؤثرة في حياته داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع، وتلك من أول دروس الديمقراطية التي تسعى المجتمعات المتقدمة لإقامتها، وأن من حقه الحصول على المعلومات التي تمكنه من تكوين رأي مستنير، وله الحق أيضاً في أن يستمع إليه، وربطت الاتفاقية هذا بأن يكون لهذا الرأي الاعتبار الواجب لسن الطفل وقدراته.

ولأن هذا الحق مازال يشكل تحدياً للأطفال في معظم الدول عقد المرصد القومي لحقوق الطفل مؤتمره السنوي هذا

كاتبة مصرية



فن السعادة الزوجية

فتحي موسى

القيام بها ليسعد الآخر قبل سعادته، أما من يبحث عن سعادته هو فقط وتغير حياته هو فحسب فإنه وأهم ولن يجني من سعادته إلا أشواك الندم.

القاعدة الرابعة

إذا لم تجد ما تحب، فأحب ما تجد، فالناجح الحقيقي هو من يصنع من الصخرة التي تعيقه سلماً يصعد عليه إلى السعادة، وهو من يتعلم كيف يصنع من الليمون الحامض شرباً حلو المذاق، فقبل أن تقول ليس هذا الشخص الذي كنت أبحث عنه، وليست هذه هي الصفات التي كنت أتمناها، انظر إلى الصفات الجميلة في شريك حياتك، وضخمها في نفسك وجمل بها صورة صاحبك، ثم اعزم تدريجياً على تغيير الصفات السيئة التي لا تعجبك، فالحياة السعيدة نحن الذين نسعى إليها، ونرسم ألوانها، وليست هي التي تأتي إلينا بأطيافها.

القاعدة الخامسة

غض الطرف ولا تكثر العتاب: إن من السعادة أن يغض الزوج عن بعض نقائص زوجته ويذكر لها من محاسنها ومكافئها ما يغطي هذا النقص، وتبادلته هي ذلك أيضاً، كما قال ﷺ «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» (رواه مسلم) ومن المروءة إن كنت معاتباً أن تعاتب على بعض الأخطاء وتتنازل عن البعض اقتداءً بهدي النبي ﷺ الذي حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

السعادة الزوجية هدف من أهم أهداف الزواج في الإسلام وهذه السعادة لها مفهوم ومضمون وطريق، وتكمن في قبول كل طرف للآخر ضمن إطار من الرضا والقناعة، وشعور كل واحد منهما بأن الآخر هو ما يناسبه ويرتاح إليه، مع توافقهما في الدين والطباع، وحتى تسير الحياة الزوجية من الرضا إلى السعادة ومن السعادة إلى النعيم نضع بين يدي الزوجين هذه القواعد الأساسية التي تمثل خطوات فعلية على طريق السعادة الزوجية المنشودة:

سوء الظن قد يهدم البيت ويحيل السعادة الزوجية إلى جحيم

وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخاري ومسلم).

القاعدة الثالثة

أعط لتأخذ: الزواج في حقيقته عبارة عن شركة بين رجل وامرأة من أجل بناء جيل صالح يعبد ربه ويعمر الحياة، فأصل الزواج في الإسلام هو حلول المودة والألفة والإيثار بين الزوجين، ومن أجل دوام العشرة جعل الله لكل من الزوجين حقوقاً لدى الآخر يجب عليه

القاعدة الأولى

تقرباً إلى الله: ليحرص كل من الزوجين على التقرب إلى الله بالطاعة، وليحذر شؤم المعصية، وعاقبة المعاصي التي تعجل في الدنيا قبل الآخرة، وقد قال أحد الصالحين: إنني لأرى شؤم معصيتي في خلق دابتي وزوجتي.

ومن ثمار الطاعة وحسن الصلة بالله أنها تجعل القلب عامراً حياً يقظاً، وتطرح البركة في الوقت والجهد، وتبعث جواً من السعادة والراحة النفسية في الأسرة والبيت، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

القاعدة الثانية

المسؤولية مشتركة: الرجل مسؤول عن بيته، مأمور برعاية أحوالهم، وإقامة شؤونهم، والمرأة كذلك تشاركه المسؤولية، فهي ترعى بيتها، بتدبير أموره ورعاية أولادها والنصيحة لزوجها في كل ذلك، كما قال ﷺ: «كلكم راع

باحث و كاتب



الله عنها): «كان رسول الله ﷺ يكون في مهنة أهله - تعني في خدمتهم- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» (رواه البخاري).

وكان ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يقف أمام المرأة يتزين لأهله فإذا سألوه قال: إني أتزين لأهلي كما أحب أن يتزين لي، قاله تعالى يقول: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٢٨).

القاعدة العاشرة

احتسب أجرِك: قد يظل أحد الزوجين يعطي ويفدق على أسرته من العناية والمحبة فلا يرى نتيجة لما يعطيه، بل لا يكاد يجد إلا تجاهلاً وإهمالاً، فتقول له: أتم ما عليك من الواجب، وأد ما عليك من الرسالة، وتحل بالصبر والعزم، واحتسب أجرِك عند الله، وما تحلم به من السعادة ستجد أضعافه في الدنيا قبل الآخرة فإن الله لا يضيع أجر المصلحين.

وأخيراً

نتذكر أن القلوب بيد الله، فلتلهجاً إليه بالدعاء في الأسحار: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾ (الفرقان: ٧٤).

هذا العنت فقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة: ١٠١)، كما قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (رواه الترمذي).

القاعدة الثامنة

احذرا مواطن الشبهات ومواقع التهم: فإن سوء الظن قد يهدم البيت، ويحيل السعادة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، والعاقل من لا يعطي لغيره فرصة لكي يظن به ظن السوء، ولعلنا ندرك حكمة النبي ﷺ عندما كان يقف مع زوجته صفية بنت حيي رضي الله عنها فمر به رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعوا فقال ﷺ: «علي رسلكما إنها صفية زوجتي» فقالا: سبحان الله يا رسول الله! أوفيك نظن؟ فقال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شرّاً» (رواه البخاري ومسلم).

القاعدة التاسعة

ولهن مثل الذي عليهن: فلا يطلب الزوج من زوجته أمراً حتى يساعدها عليه، ولا تطلب الزوجة من زوجها شيئاً إلا تعينه عليه، وقد قالت عائشة (رضي

حديثاً فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبياني العليم الخبير﴾ (التحریم: ٣). فقد عرفها النبي ﷺ بعض أخطائها وأعرض عن بعضها، تصويبا للخطأ وتخفيفاً للمعاقبة.

القاعدة السادسة

ضع أصابعك في أذنك، ولا تستمع إلى كل ما يقال: فهؤلاء اشتروا، وهؤلاء ساروا، وزوج فلانة صنع، وزوجة فلان أتقنت، والكثير من الكلمات التي يضاف إليها السم الزعاف الهادم للبيوت، فلو استمعت، وفكرت، وقارنت، لاستوحشت، وحزنت، وأسفت، وتحسرت، وندمت، ولصنعت أكفان السعادة لبيتك الصغير.

القاعدة السابعة

اجتنبنا نبش الماضي وما كان فيه من أحداث: ولا ينبغي لأحد الزوجين أن يسأل صاحبه سؤالاً منكرًا مثل: هل حبنا هذا هو الحب الأول؟ وهل سبق لك حب أحد قبلي؟ فإن هذه الأسئلة وأشباهها ربما تجعل الحياة مسرعاً للغيرة العمياء، وربما تقوض البيت من أركانه، وقد نهى الشرع الحكيم عن مثل



المراهقة والمراهقون

بشرى شاكر

تعد المراهقة فترة صعبة للغاية، ولكنها فترة الانتقال الطبيعي من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ وهي تختلف من إنسان إلى آخر بحيث يمكن أن تكون معتدلة ويمكن أن يكون الانتقال عنيفا، هي نوع من المطالبة بالاستقلالية لأن الطفل يترك مكانه إلى مراهق يزداد عنادا يوما عن يوم، فنراه يتصرف في أكثر الأحيان ضد رغبات والديه ويقوم بمعارضتهما ويناقشهما بجدّة، ويتسبب في مشاكل مرات كثيرة غير متوقعة.

للآباء من تصحيح أخطاء أبنائهم، ويمكنهم من مواجهتهم بطريقة غير مباشرة، ودون اقتحام حياتهم بشكل واسع، وهناك طرق عديدة لذلك من بينها الحوار مثلا أو أن نحكي لهم قصة شخص آخر، بحيث يستقي منها المراهق العبرة ويفهم مغزاها ليطبّقها على حياته هو دون أن نشعره أنه المعني بالأمر فنعرضه للإحراج.

الأهم في هذه المرحلة أن يكون هناك إنصات بين الأطراف المعنية، وأن يتوافر أيضا حوار داخل العائلة، وداخل المؤسسات التعليمية، ولكي يكون ذلك يجب أن يكون لدى المربين والمدرسين اطلاع على منهجية تعليمية صحيحة، وذلك بأن تكون لهم مثلا دورات تدريبية في علم النفس التربوي، وفي أساليب الإنصات، وأيضا أن يقتدوا بالسيرورة النبوية العطرة التي سبقت باقي العلوم لوضع مناهج التربية بقرون عدة، وأيضا أن تتوافر لهؤلاء آليات وجو معنوي ومادي مناسب

غيرهم. خلال هذه الفترة، والتي تلقب عادة من طرف الكبار بأزمة المراهقة، لا يلجأ بعض الآباء إلى مصاحبة أبنائهم في اجتياز هذه الأزمة، ويردون على تمرد أبنائهم بعنف أكثر، فيؤدي تصرفهم هذا إلى إحساس المراهقين بالاختناق والحنق، وهناك نوع آخر من الآباء ممن يفضلون عدم الاكتراث لمثل هذه المرحلة المهمة، وينتظرون مرورها دون أن يولوا لها أية أهمية!!!

ويبدو أن الأجدى هو أن نجتمع بين هذين السلوكين، بحيث يمكننا مراقبة المراهق عن قرب دون أن نعطيه الانطباع بأننا نحاصره أو نلاحقه في كل مكان، وذلك بأن نترك له حيزا للاختيار، وأن نحترم قراراته، مع إفهامه أنه مسؤول عن تصرفاته واختياراته، وأيضا مسئول عن عواقبها، وبهذا نعطيه مساحة أكبر للإحساس بالمسؤولية، يمكن

تشبه المحللة النفسية «فرنسواز دولتو» المراهق خلال فترة المراهقة ب«المحارة» التي تتعرض لتغييرات فتسقط صدفتها وتذهب لتتوارى خلف الصخور، حتى تصنع لنفسها قوقعة جديدة، والمراهق يكون حينها قابلا للخدش بسهولة من قبل المؤثرات الخارجية، فيحاول تعويض النقص الدفاعي الذي يحس به بتغييرات سلوكية مفاجئة ومختلفة.

هذا التصرف الذي يعتبره الآباء خروجاً عن طاعتهم وتجاوزاً لسلطتهم أو إهانة لهم وعدم احترام، ما هو في واقع الحال سوى حاجة طبيعية في مثل هذه السن، ليكبر الطفل ويتحول إلى إنسان بالغ، وبالتالي الاستعداد لبناء حياته بنفسه، بأفكاره الخاصة وتخميناته الذاتية، فحب الذات من أقوى انفعالات هذه المرحلة، وببساطة أكثر إنه بحاجة إلى إثبات ذاته بواسطة اختياراته هو، وليس اختيارات الكبار، سواء والديه أو

باحثة مغربية



في صحيحه، قوله عن الرسول عليه الصلاة والسلام، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة».

فإنشاء الجمعيات ودور الشباب من أجل مساعدة هؤلاء المراهقين على تجاوز مرحلة التغير بطريقة سليمة جسدياً ونفسياً حتى على نطاق الحي ومن قبل ساكنيه، بات أمراً ظاهراً في العديد من الأحياء العربية، وهو أمر محمود، ويدل على تضامن كبير، وليس هناك من تضامن أفضل من السعي إلى إنشاء جيل صالح يعيد أممنا الإسلامية إلى زهوها وعزتها ومجدها، ويجعلها تبقى دائماً وأبداً خير أمة أخرجت للناس.

فإنشاء ورش للرسم داخل المؤسسات التعليمية أو تحضير ندوات ثقافية، أمر ضروري لاستيعاب طاقة المراهقين من خلال المشاركة والابتعاد عن دور المتلقي فقط كما في مناهجنا التعليمية التي مازالت تعتمد في معظمها للأسف وخاصة في التعليم العمومي على التلقي أكثر، كما يمكن تشجيعهم على المنافسات الرياضية... إلخ، كلها أشياء بسيطة لكنها تمنع المراهق من أن يكون فريسة للشوارع وأن يوجه طاقته نحو شيء مفيد ومثمر.

إن مرحلة المراهقة هي عملية قطف لما زرعه الوالدان من قيم وأخلاق وأساليب تنشئة في مرحلة الطفولة، فالوالدان اللذان عاملاً ابنتهما بالرفق واللين ونهجاً نهج السيرة النبوية العطرة فاحترماً إنسانيته وخذت معاملتهم له من التدليل أو الحماية الزائدة ومن الطموح الزائد أو النقد والتوبيخ ومقارنته بالآخرين أو معاقبته بدينياً على كل صغيرة وكبيرة، وعاملاً بحب وأشعاع بالثقة، وساعده منذ الصغر على تأكيد الذات، وقاما ببناء مفهوم إيجابي للذات عنده سوف يتجاوزان برفقة أبنائهم هذه المرحلة الحرجة بسهولة وبدون مشاق كثيرة.

من التفهم والحكمة واتباع تربية سليمة، تدبيرها بفضل مجهودات جميع الأطراف المتداخلة، وذلك بأن يستعد الآباء إلى فترة تحتاج إلى الإنصات الدائم لمشاكل أطفالهم ومناقشتها والتحاور معهم أيضاً، وهذا من طرف الأساتذة والمربين أيضاً، ولكن لا يجب أن ننسى مسؤولية الدولة تجاه هذه الفئة من الناس الذين يشكلون المستقبل القريب بحيث من الواجب أن تُقام دورٌ للشباب، تتنوع أنشطتها بين ما هو ثقافي ورياضي وأنشطة أخرى متعددة، فالمرهق في مثل هذه السن لديه طاقة هائلة ينبغي استخراجها لينمو على أرضية نفسية سليمة، وهذه البيئة هي التي يمكن أن تجعل المراهق يتوجه إلى إبداع فني مثلاً، أو اللجوء إلى مقراءة قرآنية، أو أن يكون عرضة لأخطار عديدة كالإدمان على المخدرات والدعارة بالنسبة للفتيات أو حتى حالات اكتئاب وتغير في المزاج، قد يصل إلى هبوط انتحاري، فيحاول الطفل المراهق إنهاء حياته **Réactions dépressives**.

وهذا ما يبرزه ارتفاع نسبة الانتحار بين الأشخاص الذين ينتمون لهذه الفئة العمرية خصوصاً في إطار التباس مفهوم التربية وابتعادها عن القواعد الدينية.

وفي إطار دراسة أجريت في المملكة المغربية، نرى أن عدد دور الشباب قد ارتفع، وأنها شهدت تطوراً ملحوظاً، ولكن المؤسف أن هذه الأنشطة الرياضية والفنية وغيرها مازالت مكلفة بالنسبة للأسر المتوسطة الدخل والتي بالكاد يمكنها تحمل مصاريف الأبناء الدراسية التي تزداد كل مرة، وبالتالي فالأنشطة التي تقام بها تعد بالنسبة لهم من الرفاهيات أو الكماليات التي لا يستطيعون اقتطاع ثمنها من أساسياتهم المعيشية، وبالتالي يتجه هذا المراهق بعد الحوصص الدراسية إلى أزقة الحي التي تفتح ذراعها له كأم ثانية، والمعروف أن المراهق يقضي وقتاً أكبر بكثير خارج البيت من الذي يقضيه داخله في هذه المرحلة العمرية، وهنا نعود للتضامن الذي أوصى به ديننا، فمما أخرج الإمام البخاري

ليتمكنوا من العطاء، وبصيغة أخرى يجب أن يشعر هؤلاء المربون بارتياح نفسي بحيث يكونون بعيدين عن كل اضطراب ليتمكنوا من التعامل بنجاح مع هذه الفئة من الشباب.

المراهقة أفق مجهول وشاسع، ويُصح بشدة أن نكون موجودين فعلياً في حياة الأبناء في مثل هذه السن الحرجة، وتفادي المشاكل العائلية أمامهم حيث إن التغييرات الفسيولوجية وأيضاً النفسية منذ بداية سن المراهقة، والتي تسمى أيضاً بسن الحلم أو البلوغ، تبرز بقوة، فالطفل الصغير الذي ينحو نحو عالم الرجولة مثلاً يبدأ بالإحساس بحاجته إلى تقليد الكبار والقيام بما يفعلونه هم، فيتعلم التدخين ويكون هذا غالباً خفية، ويبدأ بالكذب، ولنقل وبكل بساطة تبدأ تصرفاته في التغير دون أن يحس هو نفسه بذلك، وهذا التغير يكون غالباً حسبما يلاحظه الآباء والمربون إلى الأسوأ وقد يتحول الطفل المراهق نحو الأناية والاهتمام المتزايد بالذات ويبدأ في معارضة كل شيء، ولكن هذه الرغبة في المعارضة في حد ذاتها ما هي سوى محاولة أخرى لإثبات الذات وفهم ما يدور حوله، وليست فقط نوعاً من العناد أو عدم الرضوخ، وحينما نلاحظ مثل هذه التغيرات، يتوجب علينا الحضور الفعلي في حياة أطفالنا، ويكون ذلك مناسبة لنعلم هذا الطفل الذي هو في طريقه إلى التحول نحو رجل بالغ أن لكل شيء حدوداً، حتى الحرية التي تنتهي حينما تبدأ حرية الآخرين، ويمكن للآباء والمربين أن يوصلوا هذه الرسالة إلى المراهق بطرق عديدة ودون أن يلعبوا دور الشرير.

باختصار هذه المرحلة مهمة جداً، وصعبة أيضاً بالنسبة للآباء كما هي بالنسبة للمراهقين أنفسهم، وقد تؤدي إلى عواقب كارثية إذا لم نحسن تدبيرها، كالإدمان على المخدرات مثلاً والسجائر والفشل الدراسي أو حتى الهذر المدرسي، نعم فغالباً ما نسمع عن الهذر المدرسي بكثرة في مثل هذه المراحل العمرية، إنها حقاً مرحلة صعبة للغاية، ولكن يمكن بالقليل



النموذج الأمثل للزوجة المثالية

سيدة نساء العالمين

١٥٠٠ عام على مولد خديجة بنت خويلد (٦٨ ق.هـ)

أعظم سيدة عرفتها الإنسانية.. وخير قدوة لنساء الأمة الإسلامية

نعيم نعيم السلاموني

يالها من زوجة فقيهة..
ذكية تعلمت الأدب كله
وتعايشت معه في بيت من
جمع الله له كل الفضائل

شخصيتها أرادت أن تعرف قراره بالزواج منها بعد أن بهرت بأمانته وصدقه فقالت له: يا محمد ألا تتزوج فرد عليها الصادق الأمين: من؟ قالت: أنا، قال: ومن لي بك؟ قالت: يابن عمي إني رغبت فيك لمنزلتك وسط قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسيد ليزوجها، فحضر وأسرع محمد بن عبدالله إلى عميه «العباس وحمة» فباركا الزواج وتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة، وعاشت خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ حياة سعادة ووثام طوال حياتها معه، فكانت نعم الزوجة الصالحة واستمر الزواج خمسة وعشرين سنة مليئة بالألفة والاستقرار، وقد أنعم الله عليهما فرزقهما البنين والبنات (القاسم وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة) وقد ذاق مرارة فقد الولدين القاسم وعبدالله إلا أنها صبرت وأصبحت أم البنات في بيئة مفتونة بالبنين لكنها أدركت أن الأمر لله وحده وعاشت الأسرة في هدوء.

وقد تركت لزوجها ﷺ أموالها يشرف عليها، كما هيأت له أسباب التأمل والعبادة، فأعانته على التعبد في غار حراء قبل نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وكان يأخذ معه الزاد ليتفرغ لعبادة ربه، بينما تقوم هي بالعناية بأبنائها وإدارة أمور بيتها، فكان زواجه ﷺ من خديجة (رضي الله عنها) عوناً له على

وضبط النفس والحلم، وقد اختارت السيدة الفاضلة اللببية الكريمة خديجة «رضي الله عنها» محمداً ﷺ ليتاجر لها في مالها، وقد وافق وخرج فعلا بتجارة إلى الشام في رحلة الصيف التي تضم قوافل قريش كلها، ورغم صغر سنة وعدم خبرته فإن التوفيق كان حليفه بدرجة مدهشة، فلقد تدفقت الأرباح والمكاسب وكانت خديجة سعيدة بالريح، إلا أنها سعدت أكثر من تقرير ميسرة الذي رافق محمداً ﷺ وكان مسلك محمد ﷺ فيها مطابقاً لما تمنته العمر كله، من رجل شريف الأصل، ولم تجد له مثيلاً ولم يكن في الأمر سوى أن محمداً ﷺ كان فقيراً، لقد خلق قلب السيدة خديجة وهذا نحو محمد بن عبدالله ﷺ قبل أن تراه بعد أن سمعت عن أخلاقه وصدقه وأمانته، فقالت له: إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجالاً من قومك، وخديجة بقوة

أبوها هو خويلد بن أسد بن كلاب بن قصي، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأحم بن بني عامر بن لؤي، وفاطمة هي عمه الصحابي الجليل بن أم مكتوم.

ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة في مكة، أبوها من أشرف قريش، تربت في بيت مجد وبيئة ميسورة ونشأت على الأخلاق الحميدة، وكانت تلقب في الجاهلية بالطاهرة لنفطرتها النقية الطاهرة وأخلاقها العالية السامية، اجتمع فيها ما لم يكن لأحد من نساء العرب، وضربت الأمثلة الصالحة للنساء على مر العصور في النبل والطهارة وإنكار الذات والتضحية، يروى أنها تزوجت مرتين قبل زواجها بالنبي ﷺ من سيدين من سادات قريش، هما عتيق بن عابد المخزومي وأبوهاالة بن زرارة التميمي، وبعد وفاتهما عملت في التجارة وبدأت تشق الحياة من جديد وتنافس كبار التجار في قبيلتها، وكانت ذا ذكاء، شعارها دائماً الأمانة، وبهذه الصفة ابتدأت تجارتها تزدهر وتتسع ويزداد مالها يوماً بعد يوم، وتزداد شهرتها في التجارة، وكانت بضاعتها دائماً موضع ثقة وتقدير وإقبال ورواج، وكانت كلما ازداد ربحها سعت إلى ذوي الحاجات فأعطت عن طيب خاطر، فلا عجب أن يهديها الله للاستعانة بالصادق الأمين، وكانت تتخير الرجال الذين عرفوا بالأمانة والصدق، واشتهرت سيرتهم بالعفة

♦ كاتب مصري



وقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت من الدهر، وقد أبدلك الله خيراً منها، فتغير وجهه ﷺ وزجر عائشة وقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها.. آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقتني الله منها الولد دون غيرها من النساء»، فقلت بيني وبين نفسي «لا أذكرها بسوء أبداً» ولم يكن ﷺ يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، وكان إذا ذبح شاه يقول: اذهبوا بهذه إلى أصدقاء خديجة، وكثيراً ما كان يذكر أصدقاءها بالخير، وكان يرتاح لأقربائها، ومن وفائه لزوجته ﷺ أنه ذات يوم جاءته امرأة عجوز من صاحبات الطاهرة خديجة فأحسن لقاءها وأكرم مثواها وبسط رداءه فأجلسها عليه وصار يسأل عن أحوالها وما صارت إليه، فقالت عائشة لما خرجت يارسول الله أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال فقال ﷺ «إنها كانت تدخل على خديجة وإن حسن العهد من الإيمان» (رواه أحمد)، ومن وفائه لها ﷺ عدم زواجه في حياتها رغم كبر سنها.

يا لها من زوجة فقيهة ذكية تعلمت الأدب كله وتعايشت معه في بيت النبي ﷺ الذي جمع الله له كل الفضائل والمناقب والمكارم، فقال جل وعلا ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: ٤)، وهي أولى أمهات المؤمنين وأول الناس إسلاماً على الإطلاق ومثال الزوجة الصالحة الأنيسة الودودة التي تقف عند الشدائد موقف الساعد والظهير، فهي لا ترعى الرسول ﷺ وحده وإنما تحمل هم الدعوة إلى الله في أول مراحلها وتكوناته، وكانت خديجة (رضي الله عنها) سبباً في دخول كثير من نساء العرب في الإسلام، فهي قدوة للمرأة المسلمة الداعية، وقد أزرت زوجها في أرحح الأوقات، وتحملت كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة، وساندته في محنته وواسته في كربته، وأنسته في وحدته وهي بذلك لها فضل كبير على كل مسلم ومسلمة إلى قيام الساعة.

على مر الأيام وطوال ربع قرن تزداد يقيناً بأن الرجل الذي اختارته لنفسها هو أصلح أهل الأرض لأداء رسالته والنهوض بأمته، وذكر بعض العلماء أن خديجة هي أول فقيهة في الإسلام، حيث فقهت- أي فهمت- منذ الوهلة الأولى مكانة محمد رسول الله ﷺ ومنزلته عند الله تعالى، وكانت وزير صدق لرسول الله ﷺ، ومستشاراً، وهي أول من بشرها بالجنة من أزواجه، وأول من أقرأها ربها السلام، وأول من أسلمت وأول من صلى مع رسول الله ﷺ، وأول من تلا القرآن بعدما سمعته من فم الرسول ﷺ، وبيتها هو أول مكان تلي فيه وحي الله بعد غار حراء، وذكر الطبري أن دار خديجة (رضي الله عنها) أفضل الأماكن بمكة المكرمة بعد المسجد الحرام، ولعل ذلك يرجع لطول سكن النبي ﷺ، ونزول الوحي عليه فيها، ومن فضل هذا البيت أنه خرج منه زيد بن حارثة الذي لم يذكر الله تعالى في كتابه اسم صاحبي غيره فقال تعالى: ﴿فلما قضى زيد...﴾ (الأحزاب: ١٧)، وفي هذا البيت نشأ علي بن أبي طالب، وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان بيت الرسول ﷺ أيضاً هو خير البيوت في الأرض، فمنه خرجت خديجة سيدة نساء العالمين، ومنه خرجت ابنتها فاطمة سيدة نساء أهل الأرض، وتوفيت خديجة في السنة العاشرة من البعثة وهي في الخامسة والستين من عمرها، وحزن ﷺ لموتها حزناً شديداً، بل سمى العام الذي توفيت فيه بعام الحزن لاجتماع وفاتها مع وفاة عمه أبي طالب، وكان فقدهما خسارة كبرى للنبي ﷺ، إذ فقد المواساة والطمأنينة والملجأ الذي يخفف عنه غناء ما يحدث له من أذى واضطهاد، ولم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً، وكان يحمل لها الوفاء، فقد كانت بمنزلة الأم الحنون والأخت البارة والزوجة الكريمة، تواسيه وتخفف عنه الآلام عندما يرجع مهموماً، وكانت ذكراها الطيبة العطرة، على لسان الرسول ﷺ، وخيالها لم يفارقه، ولذلك كانت عائشة تقول «كان الرسول ﷺ إذا ذكر خديجة أتى عليها وأحسن الثناء فغرت يوماً

التفرغ للعبادة، وأن يطرح عن كاهله شواغل الدنيا، وكأنما أراد الله تعالى بزواجه منها في سنها هذه أن تكون له عوناً في رسالته في مهدها، ودافعاً له في تحمل مسؤوليتها دون أن يكون لها مطالب خاصة، ونزل عليه جبريل فقال: اقرأ.. ورجع النبي ﷺ إلى خديجة يرتجف فؤاده فقال: زملوني زملوني، وأخبر خديجة قائلًا لقد خشيت على نفسي فهدأت من روعه وطمأنته قائلة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر، وكانت خديجة تذهب إلى غار حراء تحمل الماء والزاد لرسول الله ﷺ، فوصلت إليه وهو مستغرق في العبادة فأتاه في تلك اللحظات جبريل ﷺ وقال له: «يا محمد هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام وشراب إذا هي أنتك فاقراً عليها من ربها السلام، وحين بلغها رسول الله ﷺ بذلك قالت رضي الله عنها تخاطب رسول الله ﷺ «إن الله هو السلام ومعه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله»، وهكذا تعلن خديجة استجابتها على الفور برسالتها مصدقة لما يقول، وامتلاً قلبها بالفرحة حين أدركت أنه نبي هذه الأمة وصدقت وآمنت به وبربه الكريم، ومنذ تلك اللحظة وهي واقفة بجواره تشد أزره وتعينه على احتمال أقصى صنوف الأذى والاضطهاد من قومه، وبذلت من مالها وضحت في سبيل ما جاء به، وذاقت مرارة الحرمان عندما حوضر الرسول ﷺ في شعب بني هاشم، وبالرغم من أنها صاحبة عز وجاه، فإن حبها لعقيدتها جعلها تصبر على أقصى أنواع البلاء بجوار زوجها الوفي، وكانت خديجة (رضي الله عنها) ترى ما كان يتعرض له الحبيب ﷺ من الإيذاء والسخرية فتواسيه وتخفف عنه وتهون عليه، فكانت بذلك مثلاً عظيماً وفريداً، بل وقدوة لكل أخت مسلمة، ولقد وجدت خديجة في الصادق الأمين خير الأزواج، فصبره مثل شجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه، وحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته، فقد كانت



في حوار مع الخبير التربوي خالد كمال عن أثر أفلام الكرتون:

الكسل والبلادة أحد مضار الأفلام الكرتونية

حوار: منير أديب



تشكل أفلام الكرتون خطراً على شخصية الأطفال بما تزرعه من قيم غريبة تشوه شخصية هؤلاء الأطفال بدنياً وتترك الأثر نفسه على سلوكهم وأفعالهم. حول تأثيرات هذه الأفلام التي تحمل قيماً مستوردة من الخارج وغياب أفلام كرتونية تحمل الصبغة الإسلامية كان لنا هذا الحوار مع الخبير التربوي خالد كمال والذي تطرقنا فيه لقضايا التأثير السلبي لمثل هذه الأفلام على الأطفال، فإلى نص الحوار:

ينصرف المنتجون عن الإنفاق على الأفلام الكرتونية لتكافئها وعدم ضمان العائد

يفقده كثيراً من المهارات الاجتماعية مثل القدرة على فتح حوار أو السلوك القيادي أو توكيد الذات وغيرها من المهارات التي لا يستطيع الطفل أن يكتسبها إلا بتفاعله مع الآخرين مثل أن يخرج للعب مع الأطفال أو حتى زيارة أقاربه.

الآثار السلبية على الصحة

إن جلوس الطفل لوقت طويل أمام الأفلام دون تناوله لأي طعام يؤدي إلى سوء التغذية والأنيميا وبالتالي يجعله عرضة للإصابة بكثير من الأمراض بسبب ضعف المناعة.

وأحياناً تجده يمضى الساعات وبجانبه طبق من البطاطس المجففة (الشيبسي) والمشروبات الغازية

ينتصر على الآخرين ويضربهم، وهذا أمر خطير يهون من قيم الطفل التي تتسم بالهدوء والتسامح. وهناك قصة شهيرة عن طفل فرنسي عمره خمس سنوات قتل جاره بمسدس أبيه وعندما سئل عن عمله هذا قال إنه تعلمه من أفلام الكرتون.

أيضاً تعلم الأطفال البلادة والكسل الشديد فالطفل يجلس الساعات الطوال أمام هذه الأفلام دون أن يتحرك خوفاً من أن تضيق لقطه مهمة، مما يعلمه الخمول والكسل والبطء في الاستجابة للمثيرات المحيطة به.

الانطواء الشديد

تتسبب هذه الأفلام في بقاء الطفل جالساً لفترات طويلة في المنزل مما

■ في البداية، هل لأفلام الكرتون الأجنبية تأثير سلبي على شخصية أطفالنا، وما هو أبرز التأثيرات السلبية من وجهة نظرك؟

- تتنوع الآثار السلبية لأفلام الكرتون على الأطفال ويمكن تقسيمها كالتالي:

الآثار السلبية على السلوك

يميل الأطفال إلى العدوانية الشديدة تقليداً لما يرونه، فالطفل يعتبر أن ضرب الآخرين والاعتداء عليهم أمر مقبول وعادي لأن أغلب أفلام الكرتون تعلي من شأن ظاهرة الانتقام وتجعل الأطفال يتعاطفون مع البطل وهو يمارس هذا الدور عندما



أولياء الأمور وحتى المعلمين من هذا التأثير الخطير الذي لم يتوقعوه لهذه الأفلام.

■ ما هي الآثار السلبية التي تلحظها على شخصية الأطفال وهي نتاج طبيعي لأفلام الكارتون؟

- تؤدي مشاهدة الأطفال برامج التلفزيون بإفراط ودون ضوابط إلى تأثيرات سلبية عليهم تتمثل بالعجز عن ضبط النفس واللجوء إلى العنف بدل التفاوض والافتقار إلى الأمان والشعور الدائم بالخوف والقلق وترسيخ صور نمطية في عقل الطفل حول المرأة والرجل والمسنين والطفل وأصحاب المهن والمسؤولين ورجال الأمن بل والأشياء والجمادات وغير ذلك إضافة إلى قتل روح الإنتاج والإبداع لدى الأطفال.

كما تجعله يعيش في الخيال أحيانا ويتحدث إلى الأشجار والصخور والآلات..

تفتح عين الطفل على العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى ويتجلى ذلك واضحا في كثير من حلقات توم وجيري.

في إحصاء عن الأفلام التي تعرض على الأطفال عالمياً وجد أن ٢٩,٦٪ منها يتناول موضوعات جنسية بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

٢٧,٤٪ منها يعالج الجريمة والعنف والمعارك والقتال الضاري.

١٥,٠٠٪ منها يدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري.

■ لماذا لا يكون هناك أفلام كارتونية إسلامية يمكن جذب الأطفال إليها؟

- كما علمت، فإن إنتاج هذه الأفلام مكلف للغاية ولا يأتي بالعائد

خالد كمال: أفلام الكارتون مسؤولة عن تشويه شخصية أطفالنا ولا يوجد إنتاج إسلامي

طيب وحبوب وتندesh أن من قال لي هذا هم أبنائي الذين اعترضوا على هذا الجزء من «الكارتون»، وهو ما جعلني أتعرف على خطورة هذه الأفلام.

■ ألا ترى معي أن منع الأطفال من مشاهدة هذه الأفلام مهمة واجبة، وما هي المخاطر التي يتعرضون لها من جراء مشاهدتها؟

- إن الطفل سهل الإيحاء كما يقال في علم النفس وهو يقلد ما يراه بدقة وإخلاص بخاصة إذا أعجب بمن يقلده وهناك ظاهرة رأيته بنفسه حيث بعض التلاميذ يتغيبون من المدرسة الابتدائية ورفضوا تماما الذهاب إليها وعندما عرضت علي المشكلة لحلها وبعد بحث بسيط اكتشفت أنهم يشاهدون مثل هذه الأفلام الكارتونية، وكان هؤلاء الأطفال يشاهدون مسلسل «توم سوير» الذي يزرع في ذهن الطفل بعض القيم والأفكار الخاطئة ولعل أخطرها أن «هاك» البطل الثاني يقوي في نفس البطل الأول «توم» كره المدرسة ويحبب إليه فكرة الهروب منها.

ولذلك يبتدع بعض المواقف السيئة مع المدرسين فيها والقائمين عليها والأخطر من ذلك أنه يحرص على الهروب من المنزل واللجوء إلى الغابة.

ولذلك أشرت على آبائهم منع هؤلاء الأطفال من مشاهدة أفلام الكارتون نهائياً. وقد لاحظت اندهاشا لدى

والمعلبة والحلويات، التي تتحول سلبي على صحته فتؤدي إلى سوء التغذية والبدانة وما إليها مما يحدث نتيجة تلك العادة.

كما أن التعرض لأشعة التلفزيون بتركيز ولفترة طويلة يؤدي للإضرار بقوة الإبصار عند الطفل.

■ هل لهذه الأفلام أثر على الهوية والدين الإسلامي؟

- إن الإنسان يكتمل بناء شخصيته النفسية والعاطفية في السنوات الثلاث الأولى من عمره، وما بعدها استكمال لباقي الصفات والخلال، وترسب تلقائياً الصورة في أعماقه عن سائر جوانب شخصيته وينتهي تماماً تشكل الشخصية عند السابعة من العمر وبعد ذلك يصعب تغيير أي خصلة في الشخصية، وهذا يبرز خطورة تلك الأفلام المنتجة من دول تختلف تماماً عن قيمنا وعاداتنا وتقاليدينا بل وتشر القيم الغربية التي لا تناسبنا كالتحرر من الوالدين وحققهم في التوجيه والتربية بل وتهون من شأن القيم الإسلامية التربوية.

والمسلسلات تقدم مبادئ وأساليب الجريمة التي تهون من قيمة الإنسان، حيث يظهر الإنسان فيها أشبه بالجرذان الضالة وأدنى من الحشرات فيهن وقتلها.

كما أن مشاهدتها توقع أكبر الضرر بعقيدة الطفل الإسلامية، ولأنها منتجة في الغرب فلن تجد مسجداً أو طفلاً يصلي أو آذاناً يرفع أو رمضاناً يصام.. بل أكثر من ذلك إنها تكرس الكفر الصريح بالله عز وجل، ففي أحد المسلسلات ويسمى «سمبا» وهو الأسد تجد الحيوانات تسجد له وهي سعيدة بذلك والخنزير في هذا المسلسل كائن



فركز على الأطفال.. فكما نعلم التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

■ كيف يمكن مواجهة ومجابهة مثل هذه الأفلام التي يقبل عليها الأطفال؟

- يمكن مواجهة هذه الأفلام من خلال عدة طرق أهمها.

- شغل وقت الطفل بالفسح والزيارات الاجتماعية وإتاحة الفرصة له للعب مع

رفاقه كلما أمكن.

- بحضور الوالدين معه عند مشاهدة هذه الأفلام.

- بتحديد ساعات المشاهدة والتي لا يجب أن تزيد عن ساعة واحدة يومياً لبرامج مختارة بعناية، ثم تحجب القنوات بعد ذلك.

- إعطاء الطفل مكافآت كلما قلل هو من مشاهدة هذه الأفلام.

■ في النهاية، ما هو المخرج الحقيقي لتأثير الأفلام الكارتونية وما النصيحة التي تحب توجيهها للأبوين؟

- إن الاهتمام بالتربية السليمة (في ضوء تعاليم الدين الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ) في المراحل الأولى من حياة الطفل يجعلنا نكون شخصاً سوياً متسقاً مع نفسه ودينه ومجتمعه يتمتع بالصحة النفسية مفيداً لنفسه ولجتمعه.. فلا يجب أن نترك أطفالنا في مهب الرياح وفي ظلمات الثقافات المستوردة ثم نغضب بعد ذلك لأنهم انحرفوا أو تمردوا علينا. إن أطفالنا نعمة من الله وأمانة في أيدينا نحن الذين نشكلهم، فعلياً إن نحفظ تلك الأمانة.



الأطفال أرى أن إنتاج أفلام ومسلسلات عادية يلعب بطولتها أطفال مع الاهتمام بحبكتها الدرامية المتناسبة مع الأطفال (مثل الفيلم الأميركي وحدي في البيت) سيؤدي إلى انصراف الأطفال جزئياً عن أفلام الكارتون.

■ ما هو السم الذي تدسه هذه الأفلام الكارتونية وتؤثر به على الشخصية العربية والإسلامية؟

- إنها تكرر قيماً غربية تدعو إلى الفردية والسيطرة والعنصرية وتمجيد الرجل الأبيض والبعد عن التدين والفتك بالآخر وعدم طلب المعونة من الله تعالى ففي مسلسل «مدينة النخيل» يضرب الابن والده ثم يهجر المنزل لينام عند صديقه أو صديقه (على الطريقة الأميركية) ثم يعرض ذلك على أنه سلوك اجتماعي مقبول والأشد من ذلك أن الوالد يسترضي ابنه في نهاية الحلقة ويقدم له ما يريد ويرضخ لمطالبه.

وهذا متعمد لأن الغرب تعب من هدم قيم المجتمع الإسلامي وتغييرها وقد تجلى ذلك واضحاً في تركيا التي حاول خلال خمسين سنة أن يغير قيمها ولكن هاهي تتمسك بالقيم الإسلامية؛

المناسب اقتصادياً، لذا ينصرف عنه أغلب المنتجين والمتخصصين لأنهم في الغالب يبحثون عن الربح السريع، وهنا يأتي دور الحكومات من خلال شركات الإنتاج التابعة لها وقد تجلى ذلك واضحاً في المسلسل المصري الرائع «بكار» الذي لا يذاع إلا في رمضان للأسف.. وهناك تجربة رائعة لعمل أفلام

كارتونية لها صبغة إسلامية وتحوي شخصيات بطولية إسلامية مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وذلك في كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية في مصر أرجو أن تجد الرعاية من المنتجين.

■ ما هي عوامل الجذب الرئيسية للأطفال في أفلام الكارتون، وهل يمكن الاستفادة من هذه الأفلام دون الوقوع في شركها بحيث لا تؤدي إلى مسخ شخصية أطفالنا؟

- إن من يضع سيناريو هذه الأفلام يفهم تماماً شخصية الطفل وما يريده من إبهار وحركة وأكشن وألوان جذابة، ولاشك أنها تقدم بعض القيم الإيجابية مثل مساعدة الصديق والبطولة ولكن في مجملها تحوي قيماً غربية لا تتناسب مع مجتمعاتنا.

■ ما هي البرامج التي تراها بديلة للأطفال ولو بشكل مؤقت عن أفلام الكارتون لحين إنتاج أعمال كارتونية تكون عند المستوى المطلوب؟

- من واقع ملاحظتي لسلوك



نفسية البنات

إيمان القدوسي

بنات اليوم خلاصة تطورات جرت على المرأة عبر قرن من الزمان

لا تعطرها أنفاس أمه وحنانها. عادت البنات مع منتصف السبعينيات في محاولة جادة للجذور، عادت للحجاب والستر وطاعة الزوج والقرار في البيت وتربية الأبناء ولكن لم يستطعن استعادة العصر الذهبي للجذات، فمن خرجت وتعلمت وتأثرت بمجريات العصر صارت امرأة مختلفة، كما أنها لم تتح لها الفرصة لاكتساب مهارات ربة البيت الحقيقية، البيت نفسه صار مجرد شقة صغيرة تعيش فيها وحيدة معظم الوقت لانشغال زوجها بالعمل، لا تجد أمامها إلا التلفزيون الذي يلقي في ثاها وعيها أفكاراً ويدخر بذور الخطر ليلقيها بعيداً عن الانتباه في اللاوعي.

بنات اليوم هن خلاصة كل ذلك، توليفة أو تشكيلة من كل ما سبق، تراكمت خبرات الأجيال لديهن طبقة فوق أخرى، ولذلك يظهر التناقض والتضارب في السلوك، لن نقول سنعيش مثل جداتنا فذلك مستحيل، ولكن علينا الاختيار الواعي فنلتزم بأداب المرأة المسلمة ونبتكر تطبيقاً فعالاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أهم ما يميزه الشفافية والوضوح، ولنبدأنا الطريق بخطوة واحدة قصيرة فإنها أفضل من لا شيء.

نريد فتاة ملتزمة بحجابها وأدابه ولا وقت لديها تضييعه فيما لا يفيد، نريد فتاة مشاركة بجهداها في نهضة مجتمعاها من دون اختلاط يسقط الحواجز والحدود، نريد فتاة قادرة على الاختيار، نريد فتاة إذا قالت فعلت وإذا عزمتم استعدت، والأهم من كل ذلك تعرف قيمة نفسها وأنها رقم مهم يغير المعادلة الحضارية بالسلب أو الإيجاب.

وتطرز وتخبز وتطهو وتصنع من الفسيخ «شربات»، تتنافس النساء في المهارات وتجعل بيتها واحة معطرة برائحة نباتات الفل والياسمين وعامرة بخيرات الله وكلها من صنع يديها، تتعلم داخل المنزل وتسمع عن تطورات الحياة في القاهرة كما نسمع نحن عن الصين مثلاً، وتتعجب حين نسمع من أم حسين «الدلالة» أن هناك عربيات تمشي بالكهرباء اسمها «الترام».

خرجت الفتاة في الجيل التالي للتعليم على استحياء مع الحفاظ على «اليشمك الأبيض» (نقاب للوجه) والعباءة السوداء، وضرب الناس كفاً بكف على أخلاق البنات التي انحدرت مع معجزات آخر الزمان، وأغربها أن الحديد نطق (الراديو) ودخل البيوت تسمع به البنات أغاني الحب.

في هوجة الستينيات خلعت البنات كل شيء واكتفت بفستان قصير جداً، وحطمت كل القيود والممنوعات ومألأت الشاشات تمثيلاً ورقصاً، وصارت الموضة تظهر في مصر في نفس يوم ظهورها في أميركا، وأقبلت الفتيات على العمل بفرحة قلبت بغم بعد ذلك لأن دورها بعد الزواج صار مزدوجاً منهاً وبلا عائد مناسب، وشهدت تلك الفترة مآسي في تربية «أطفال المفاتيح» وهو الطفل الذي يسحب المفاتيح من تحت الدواسة ويدخل شقة باردة كثيفة

إذا أردنا أن نفهم نفسية بنات اليوم بشكل سطحي ستبدو أمامنا لفرماً معقداً، فهي ترتدي الحجاب والنقاب ولكنها تحب الخروج تحت أي مسمى، نزهة أو تسوق أو زيارة، ولا تفضل القرار في البيت، وهي تتعلم وتتفوق في الدراسة ولكنها لا تحقق التفوق نفسه في مجال العمل، تجري وراء الزواج وتحلم به، فإذا تزوجت بدأت تشكو من أعباء الزواج ومسؤولياته، تتمنى أن تكون أجمل الجميلات وتعلن أن الجمال لا يهم فالمهم جمال الروح والأخلاق، ترفض ترتيب حجرة شقيقها لأنها مساوية له وعليه أن يخدم نفسه، ثم تطلب أن ينزل لشراء طلباتها لأنه رجل وعيب يترك أخته البنت تخرج وحدها.

عندما تتم خطبتها لشاب تفعل المستحيل في سبيل فرض سيطرتها عليه، فإذا استجاب لها اتهمته بأنه سلبى وعديم الشخصية وأنها كانت تحلم برجل قوي يحكمها وتهابه، وإذا فرض هو سطوته عليها اتهمته أنه ديكتاتور وأناني ويريد إلغاء شخصيتها، وأنها كانت تتمنى من يحترمها ويعاملها بشكل متحضر، وأخيراً هي خبيرة في فنون التكنولوجيا (موبايل- إنترنت- فيس بوك) ومتجربة لفنون المطبخ لا تدخله إلا مضطرة، في المسجد تراها خاشعة متبلة ومع الصديقات لاهية مرحة.

بنات اليوم هن خلاصة تطورات جرت على المرأة عبر قرن من الزمان، حياة الجدات انحصرت داخل جدران البيت الذي كان بمنزلة قلعة حصينة مجهزة بكل شيء وهو خلية عمل دائبة ومنتجة، تقوم النساء فيه بدور اقتصادي محترم، تربي الطيور وتحيك الملابس وتغزل

♦ كتابة في مجال الأسرة

كيف تعود ثقة الأمة في الوقف؟ (٤-٤)

القاهرة - دار الإعلام العربية

تناولنا في الحلقات الثلاث الأولى من «الوقف» تعريفاته، وآراء الفقهاء فيه، ودلائل مشروعيته وأحكامه ومقاصده، وأمثلة لأبرز الوقفيات، وكذا دوره في خدمة المجتمع عبر العديد من الروافد التنموية، وها نحن نختتم السلسلة بالتطرق إلى دور المرأة في الوقف، وكيف تتحقق منه المصلحة؟ وكيف يمكن أن يعود دوره التنموي؟.. إلى غير ذلك من التفاصيل التي نتعرف إليها عبر السطور التالية.

الجسرين.

ومن الواقفات الشهيرات أيضاً . كما يقول الباحث . جميلة بنت ناصر الدولة الحسن بن عبدالله الحمداني، والتي يصفها بأنها كانت من أجمل الناس عقلاً وجمالاً، ولعبت دوراً مهماً في حياة أبيها وأخيها أبي تغلب، ويذكر أنها أوقفت على جامع النبي يونس في الموصل أوقافاً جلية.

تسخير المال

بينما تطرق الشيخ عبدالقادر الخطيب الحسني السوري إلى المال ووظيفته في الإسلام، لافتاً إلى قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾، مؤكداً أن هذه الآية صريحة في أن المال في حقيقته ملك لله تعالى كشأن جميع ما في هذا الوجود وأن الإنسان مُسْتَخْلَفٌ فِيهِ، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وهذه الآية تدل على شمول النفقة في الإسلام لأنواع المختلفة الواجبة كالزكاة ونفقة العيال، وغير الواجبة كصدقة التطوع ووجوه الخير المختلفة ومنها الوقف، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وتدل على أن الإنفاق في وجوه الخير قريبة إلى الله لا تنال إلا بطيب المال، وقوله في سورة آل عمران أيضاً: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى

المتغيرات العالية فرضت على الأمة واجبات كثيرة لا سبيل لتنفيذها إلا بالوقف

المقتدر، التي افتتحت المشفى الذي أوقفته عام ٣٠٦هـ / ٩١٨م، في منطقة سوق يحيى على نهر دجلة في بغداد، وعين فيه أطباء يشرف عليهم سنان بن ثابت، وبلغت نفقات هذا المشفى في الشهر ٦٠٠ دينار، وهذا ما دفع الخليفة نفسه (المقتدر) إلى بناء مشفى يحمل اسمه في منطقة باب الشام.

ومن الواقفات أيضاً جارية الخليفة العباسي المقتدي، والتي تدعى «شمس النهار» التي بنت رباطاً في مكة وأسمته «رباط الفقاعية»، وأوقفته على الأرامل ليقوم باستقبالهم والعناية بهم وتقديم المسكن والمأكل والملبس والرعاية.

أما أشهر الواقفات والتي ذكر اسمها في أغلب المصادر، فهي الجارية «بنفسا»، جارية الخليفة العباسي المستضيء، والتي كانت ذات حظوة عند الخليفة وتتمتع بنفوذ قوي، فقد أمرت عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م بنصب جسر من الحديد وكتب اسمها على حديدة من سلسلة وجعل تحت الرقة، ونقلت الجسر العتيق إلى نهر عيسى فوجد الناس راحة عظيمة بوجود

عن دور المرأة في الوقف الإسلامي يقول الباحث الأردني في شؤون الوقف «عودة الشرعة»: يلاحظ أن وقف المرأة في صدر الإسلام كان محدوداً، لا يتعدى السكن أو مجموعة من الحلي، لكنه تطور كثيراً فيما بعد، في مؤشر واضح على تنامي مكانتها في المجتمعات الإسلامية.. فنستطيع أن نلمس في الدولة العباسية وقف المرأة بشكل أكثر من ذي قبل، حيث قامت الدولة في سنة ١٢٢هـ / ٧٤٩م بتزويدنا بمعطيات عن الواقفات، فإما أن يكن أمهات خلفاء أو زوجاتهم، أو من الجوارى وهؤلاء كثر، أو من العامة، وبالتالي تتطور التاريخي لوقف المرأة يمكن أن نذكر أبرز الواقفات ومنهن: «هيلانة» جارية الخليفة المنصور العباسي التي أنشأت حوضاً في الجانب الشرقي من بغداد وأوقفت عليه.. وكذا أم الخليفة الأمين المسماة «زبيدة»، والتي توصف بأنها صاحبة معروف كثير وفعل خير، فقد بنت البرك والآبار والصحاريج بمكة، وحضرت العين المعروفة بعين المشاش برأس الحجاز، وأجرتها من مسافة اثني عشر ميلاً إلى مكة وعرفة في قناة محكمة بلغت كلفتها مليون وسبعمئة ألف مثقال ذهب. كما أنها أقامت خزانات المياه على الطريق بين مكة والمدينة، كما بنت صحاريج مياه ومحطات ما بين بغداد ومكة. وأشار الباحث أيضاً إلى أم الخليفة

الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، وفي هذه
الآية دليل على وجوب التكافل
بين المؤمنين في المجتمع وأن
يمد بعضهم يد العون لبعض،
ويستخلص من هذا كله أن
المال له وظيفة مقصودة في
الإسلام، وأن الإنفاق لتحقيق
أي مقصد من المقاصد التي
حضَّ عليها الإسلام قريبة من
أعظم القرب التي تتال بها
مروضة الله سبحانه وتعالى،
سواء أكانت هذه النفقة
تمليكا منجراً، أم وقفاً تصرف
منافعه وفوائده على جهة من



جهات الخير، وقد تحقق الرعييل الأول
في الإسلام بهذه المعاني كلها، بدءاً من
الصديق أبي بكر رضي الله عنه، فكانت أموالهم
مسخرة لخدمة عقيدتهم والتكافل مع
إخوانهم في الدين.

كما أشار إلى الحكمة من الوقف
بقوله: ذكر الإمام الدهلوي في كتابه
«حجة الله البالغة» أن الوقف شرع لمصالح
لا توجد في سائر الصدقات والتبرعات،
فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله
مالاً كثيراً ثم يفنى بالإنفاق، فيحتاج
المصرف الذي خصص بالنفقة تارة أخرى
ويجيء أقوام آخرون لم ينلهم شيء من
المال، فلا أنفع ولا أحسن من الوقف الذي
يبقى أصله ويصرف ريعه ومنافعه على
المستحقين.

وأشار أيضاً إلى أركان الوقف موضعاً
أنها أربعة: واقف، وموقوف، وموقوف
عليه، وصيغة.. وتطرق أيضاً إلى ولاية
الوقف، موضعاً أنه إذا اشترط الواقف
النظر لنفسه أو لغيره اتبع شرطه، وإلا
كان النظر للقاضي لولايته العامة، ولا
يملك القاضي التصرف مع وجود الناظر؛
لأن الولاية الخاصة أقوى من الولاية
العامة، كما جاء في حاشية ابن عابدين
وأصلها.

٥- ومن جهة الإنتاج
وعدمه ينقسم الوقف إلى
ما له غلة وإنتاج، وهو ما
يسمى الربيع كالأراضي
والدكاكين، وما ليس له غلة
بل هو مصرف للنوع الآخر
كالمساجد والمدارس.

٦- وقد شاع لدى
التأخرين تقسيم الوقف إلى
خيري وإلى ذري ويسمونه
الأهلي أيضاً، ويقصدون
بالأول الوقف على المساجد
والمستشفيات ونحوها..
ويقصدون بالثاني الوقف

على ذرية الواقف وأولادهم
ثم أولادهم حتى ينقضوا. وقد أنكر عدد
من العلماء هذا التقسيم ومنهم العلامة
الكوثري.

٧- ومن جهة الإشراف عليه ينقسم
الوقف إلى أوقاف مضبوطة تديرها
مديريات الأوقاف وإلى أوقاف غير
مضبوطة تحت إدارة لجان خاصة.

هل يباع؟

الظاهر من المسألة مخالفة حقيقة
الوقف؛ لأنه لا يباع ولا يوهب؛ لذلك
لم يتردد كثير من الفقهاء بإطلاق عدم
جواز بيع الموقوف مطلقاً، حتى ذهب
الشافعية إلى أنه لا يباع موقوف وإن
خرب، كما في حاشية الشرقاوي، وإلى
ذلك ذهب المالكية أيضاً، إلا أنهم استثنوا
نحو توسيع مسجد، فإنه يجوز بيع العقار
الموقوف بجواره لتوسيعه، كما في حاشية
الدسوقي، وذهب فقهاء الحنابلة إلى جواز
بيع الوقف الخرب وصرف ثمنه في مثله
أو بعض مثله، بشرط ألا يوجد ما يعمر
به كما في «غاية المنتهى» لمرعي الحنبلي،
والاستبدال في حقيقته نوع من البيع،
لكن يباع فيه العقار الموقوف بعقار آخر
يصير وقفاً، وقد منعه الجمهور بالكلية،
وأجازته الحنفية بشروط كما في حاشية

أركان الوقف أربعة؛ واقف وموقوف وموقوف عليه وصيغة

أنواع الوقف

ونوه الشيخ عبدالقادر الحسني إلى
أنواع الوقف، مبيهاً أنها تتعدد بتعدد
الاعتبارات المختلفة لأركانه:

١- فمن جهة صحة الوقف وعدمها
ينقسم إلى صحيح، وهو ما كان يملكه
الواقف ملكاً صحيحاً، وغير صحيح وهو
بعكسه.

٢- ومن جهة الاستفادة من الوقف
ينقسم إلى وقف على معين، وعلى غير
معين، فالمعين كوقفه على أولاده أو على
أشخاص بأعيانهم كفقراء محصورين.

٣- ومن جهة كون الموقوف منقولاً أو
غير منقول ينقسم إلى وقف المنقول وغير
المنقول.

٤- ومن جهة أصله ينقسم إلى وقف
أصله من مال الواقف، وإلى وقف أصله
من بيت المال، وهو ما وقفه السلاطين
والأمراء، وللعلماء بحث في صحته
وشروطه.

الأوقاف الإسلامية بدولة الكويت والدراسات العديدة عن الوقف وسبل دعمه، وتعيين أصحاب الكفاءة، وأخيراً استصدار مراسيم تشريعية لاستخلاص الأوقاف المسلوية.

لماذا الوقف؟

أخيراً، يدعو الشيخ عمر المقبل، الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة القصيم، إلى أهمية رفع مستوى الوعي بأمرين: الأول: تكثيف الوعي بالوقف وأهميته في حياة الأمة، والثاني: رفع

مستوى الوعي في تنوع مجالات الوقف، مؤكداً أن أكثر الناس لا يكاد يوقف إلا على منفذ أو منفذين كبناء المساجد وحضر الآبار ونحو ذلك.. بينما المتغيرات العالمية فرضت على الأمة أن تقوم بواجبات كثيرة تجاه أبنائها، لا سبيل لتنفيذها إلا من خلال الوقف، لاسيما أن الوقف شرع لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما صرف مالا كثيراً، ثم يفنى هذا المال، ثم يحتاج الفقراء مرة أخرى أو يأتي فقراء آخرون فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للامة من أن يكون شيء وقتاً للفقراء وابن السبيل يصرف عليهم من منافعه ويبقى أصله، أيضاً من المهم أن نعي أن الوقف ليس محصوراً ولا مقصوراً على الفقراء والمساكين كما يظن البعض، لكنه أوسع من ذلك وأشمل، فقد كان للوقف أثر عظيم في نشر الدين وحمل رسالة الإسلام ونشاط المدارس والحركة العلمية في أقطار المسلمين وأقاليمهم في حركة منقطعة النظير غير متأثرة بالأحداث السياسية والتقلبات الاجتماعية، توفر للمسلمين نتاجاً علمياً ضخماً وتراثاً إسلامياً خالداً وفحولاً من العلماء برزوا في تاريخ الإسلام بل في تاريخ العالم كله.



الوقف ليس مقصوراً على الفقراء والمساكين كما يظن البعض لكنه أوسع وأشمل

ما يدفع الناس لإنشاء الأوقاف بشتى صورها.

ثانيهما: الإشراف على تطبيق هذا النظام من قبل مرجعية إسلامية عليا تضم عدداً من كبار العلماء الموثوقين عن طريق الانتخاب، وذلك انطلاقاً من أسس أهمها أن ولاية الأوقاف ولاية شرعية دينية مستقلة، وهي أوقاف للمسلمين حصراً وليست مرفقاً عاماً من مرافق المجتمع، وأن الاعتداء على وقف من الأوقاف بمنزلة الاعتداء على مسجد من المساجد، والأصل في كل وقف الاستقلال بموارده ومصارفه، مع ضرورة حصر جميع الأوقاف الباقية من جميع الأنواع وندب الراغبين في التبرع والإنفاق لإيجاد موارد دائمة لها عن طريق الاكتتاب بدلا من حيل الاستبدال وإنشاء حقوق القرار عليها.. وكذا الاستفادة من جميع التجارب والدراسات التي ترمي إلى النهوض بالوقف حالياً، ومن أبرزها مشروع نهضة

ابن عابدين وأصلها أن يخرج العقار عن الانتفاع بالكلية، وألا يكون هناك ريع للوقف يعمر به، وألا يكون البيع بغبن فاحش، وأن يكون القائم بالاستبدال قاضياً يجمع بين العلم والعمل لئلا يحصل التطرق بذلك إلى إبطال أوقاف المسلمين.. وكذا أن يكون الاستبدال بعقار آخر لا بدراهم أو دنانير، وهو ما رجحه ابن عابدين خلافاً لغيره، أما استبدال العامر بغيره فيجوز عند الحنفية إذا كان بأحسن منه غلة ومكاناً، وكان الناظر على ذلك القاضي،

ومع ذلك يرجح «ابن عابدين» المنع سداً للذريعة.

ويشير أخيراً إلى أن الأمم المحاربة للإسلام والمسلمين كانت حريصة على إضعاف الأوقاف الإسلامية، لما تعلم من أهمية الوقف في حياة المسلمين، وقد ذكر العلامة الكوثري: أن بعض سفراء فرنسا لدى الدولة العثمانية ألف كتاباً في تاريخ الإصلاحات العثمانية يحتوي على وثائق لا يمكن للجمهور الاطلاع عليها، وكان مما جاء فيه الاقتراح على الدولة العلية إلغاء وجعل الأعيان والأراضي الموقوفة في عداد أملاك الأمة.

حتى يعود الوقف

يشتكى المسلمون المعاصرون من عزوف الناس عن إنشاء أوقاف جديدة لها ريع دائم، وهذا العزوف ناشئ عن عدم الثقة بالقوانين من جهة، وبالتطبيق والتنفيذ من جهة أخرى، ولن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فيجب العمل على تحقيق أمرين، أولهما: إيجاد قانون عام للوقف في الإسلام بجميع أشكاله مشتق من أصح الأقوال في الشريعة الإسلامية، مع مراعاة المصالح المعاصرة بما لا يخالف النصوص وبما يكفل تحقيق شروط الواقفين وعدم التعدي عليها،

الشيخ هشام الحمصي.. خطيب الأدباء وأديب الخطباء

د. محمد حسان الطيان



لا أعرف فيمن عرفت خطيباً يتوفر على خطبته كما يتوفر عليها الشيخ هشام. ولا أعرف فيمن عرفت راوية للشعر والحكمة والأدب والطرفة يحفظ منها كما يحفظ الشيخ هشام، ويروي منها كما يروي الشيخ هشام. ولا أعرف فيمن عرفت عالماً يتفرد بالرأي ويقدم في زناد الفكر، ولا يهاب من جهره فيما تضرده أو اجتهد كما يتفرد الشيخ هشام وكما يجتهد الشيخ هشام. فملاك أمر الشيخ إذن أمور ثلاثة تميزه فيما أحسب عن كثير ممن عاصره، وهي: خطابة محكمة.. ورواية مرسله.. وفكر حر أصيل.

ولا يفتر، يجيل الفكر فيما سيقوله في الخطبة اللاحقة، ويتبع الفكر القلم ليضع لخطبته مخططاً يُحكم فيه محاورها، ويبرز أركانها، ويعدد فرووعها، ويربط كل فرع بأدلته وشواهد وأمثله، من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، والشعر الرائق، والمثل السائر، والحكمة البينة.. حتى إذا ارتقى ذرا المنبر هرّه هزاً بكلام بليغ، وإلقاء محكم، وإعراب لأواخر الكلام، لا يكاد يغفل واحدة منها، حتى تلك التي يقف عليها، إمعاناً في البيان، وإبلاغاً للكلام، وإحكاماً للقول.

وله في الإلقاء عناية بالغة، تشد كل من يستمع إليه، وتأخذ بمجامع لبه، وتملك عليه قلبه وعقله، فهو يشد في مواطن الشدة، ويلين في مواطن اللين، ويذكرني بعبارة كنت كتبتها في الخطابة جاء فيها: «إن الخطيب الحق هو الذي يأسر سامعه بسلامة لغته.. وعلو بيانه.. وجمال أدائه.. وتناغم صوته مع مضمون كلامه.. يعلو فيه ويجهر في مواضع الإنذار والوعيد حتى كأنه هدير الفحل.. أو هزير الريح.. أو هزيم الرعد، ويلين في مواضع اللين والتبشير حتى يمتزج بأجزاء النفس لطافة.. وبالهواء رقة.. وبالماء عدوية.. وبالطيب أريجاً.. وبالنعيم إيقاعاً وجرساً»، وكذا هو الشيخ هشام.

فإذا تكلم خلتُه متكلماً
بجميع عدّة السُننِ الخطباءِ

وهو الأزهري الذي لم ينقطع عن طلب العلم وتعليمه - واحداً من المفتونين بخطبة الشيخ هشام، لاحقه في مساجده الأربعة، برغم كبر سنه وتعسر وجود المكان المريح لمثله، فقد كان يشق طريقه إلى مسجده مبكراً، متوسلاً للوصول إليه كل وسيلة ممكنة، لا يصرفه عنه بعد، ولا يقعد دون غايته مرض أو عجز، حتى إننا كنا مرة بصحبته في نزهة بعين الفيحة - وهو منتزه جميل يبعد عن دمشق نحواً من عشرين كيلاً - فلما لاحت تباشير الصلاة - أعني صلاة الجمعة - هم بالقيام طالباً أن نيمم شطر الشيخ هشام، وأين منا الشيخ هشام، إنه على بعد ساعة من الزمان، وأقسم لولا إلحاحنا لمضى، فخطبة الشيخ عنده أحلى من أحلى سيران، وأجمل من أجمل بستان!

ولا غرو فالشيخ يحترم هذه العقول التي تفد إليه، ويقدرها حق القدر، بإدلا وسعه ومستفرغاً جهده في سبيل إفادتها بكل مفيد، وإطرافها بكل ماتع وجديد. ما أعلم أنني حضرت له خطبة من خطبه، إلا خرجت بعلم غزير، وشعر وفير، وبيان عال، وفصاحة معجبة، وبلاغة مطربة.

وهو يحتشد لخطبته، يعد لها ويحضرها، ويزور الكلام في جناحه قبل أن يتفوه به بلسانه، بل إنه ليبدأ هذا الإعداد والتحضير من لدن فراغه من خطبة سابقة، لا يني

أما الخطابة المحكمة فقد شهد لها القاضي والداني، وتوافدت لسماعها والإفادة منها الجموع الغفيرة من كل حدب وصوب، وحيثما حل الشيخ أو ارتحل، بدءاً بمسجد الفردوس، ومروراً بالبدر وسعد بن معاذ، وانتهاءً بالثناء. وما أظن مسجداً من مساجد الشام يكتظ فيه المصلون، أو يزدحم رواده في صلاة كما يكتظون ويزدحمون في هذه المساجد التي حل بها الشيخ هشام خطيباً، حتى إن دوريات المرور لتتحف بالمسجد من كل جانب تنظم وقوف السيارات، وتتابع الأرتال التي تتكدس في الشوارع المحيطة بالمسجد أو القريبة منه، بل إن بعض الجوار ليتأذى من كثرة الوافدين على تلك المنطقة إبان كل صلاة الجمعة.

ولا تحسبن هذه الجموع - على كثرتها وإختلافها وتنوع مشاربها ومواردها - من طغاف الناس وغوغائهم، بل هم النخبة علما وثقافة وفهما وحذقا، فيهم الطبيب والمهندس، والقاضي والمحامي، والوزير والسفير، والأستاذ الجامعي والمدرس المتميز، والضابط والطيار، وما لا أحصي من كرام الناس وعلية القوم، بجمعهم جميعاً هم واحد هو الفوز بسماع خطبة بأوجز عبارة، وأحلى بيان، وأحسن استدلال، وأحكم تسلسل، وأجمع موضوع. وكان والدي رحمه الله وأحسن إليه -



وبهاؤها تَخَيَّر الألفاظ، والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه» (١).

فالخطابة طبع لديه نشأ عليها مذ كان في مقتبل العمر وريق الشباب، وقد تمرّس بفتونها، ونهد لها في كل محفل ومنبر، وعنده زاد وفير من رواية الشعر والحكمة والمثل والطرفة، والإعراب فنه وهمه وسدمه، وقد درّس النحو وحاضر به في كبريات معاهد اللغة والشريعة، وله فيه تعليقات طريفة، وتخير الألفاظ صنعتته وحذقه، وقد جبلت القلوب على محبته، ولعمر الله إن من كانت هذه صفاته لتهمو إليه النفوس، وتشتاقه الأرواح، وتشنف بسماحه الأذان، وتسعى إليه المنابر ولسان حالها يردد:

شرح المنبر صدرا

لتلقيك رحيبا

أترى ضمّ خطيبا

منك أم ضمّ خطيبا؟ (٢)

ومما يزيد خطيبته بهاء وكمالا، حسن تخيره لما يقرأه من الآيات في صلاة الجمعة بعدها، إذ هي تناسب الموضوع الذي طرّقه، وروعة أدائه لما يتلوه من هذه الآيات فيها، إذ هو يحبرها تحبيراً، ويصور ما فيها من معان تصويراً.

وأما الرواية المرسلة فأمر عرف الشيخ به أنى حل أو ارتحل، فهو نزهة المجالس، وسميرها، ومحدثها، وواسطة عقدها، يتسابق عارضوه ومحبوّه إلى دعوته، ليحظوا بحديثه الشائق، وحكايته الأخبار وإنشاده الأشعار.

والحق أنه محدث لبق يطوي صدره على مخزون من الشعر ليس له قرار، فضلا عن الفقه والتفسير والنحو والصرف والبلغة، وهو يدرك قيمة ما عنده، فينثره على محدثيه بنغمة شجية ندية، تسترعي الانتباه، وتلفت الأنظار، وتشد الأسماع، وتشد الأذهان، يلين في موضع النجوى واللين حتى لتحسبه الهامس بالحب والحنين، ويشد في موضع الشدة حتى لتخاله الأسد الهصور، يصور

أين السماء؟ وأين الأرض إنهما
رَتَقُ، كما كانتا من قبل أن فُتقا
هل الكواكب والأفلاك عائدة؟
وهل نرى قمرها بعد أن مُحقا؟
لا فوق لا تحت لا أرجاء، قد مُرّجت
مرأى جميل، ولكن يبهر الحنقا
الثلج ثوب أنيق، لا يقاس به
توب العذارى، وإن غالت به أنقا
قد جلل الأرض، دانيها وقاصيها
كانما الله ألقى فوقها طبقا
لما مشيت عليه خفت أفسده
إن الجمال حبيب حيثما خلقا
والشيخ حفظه الله ورعاه يجمع إلى

فكان آدم كان علمه الذي
قد كان علمه من الأسماء
أذكر أنه تناول في إحدى خطبه موضوع «القضاء والقدر»، فأشفقت عليه وربي من تشعب هذا الموضوع ووعورة مسلكه، ثم راعني فيه أنه بينه وأحكمه وأوجزه في ثلث الساعة التي يلتزم بها في خطبه لا يكاد يزيد عليها إلا دقيقة أو اثنتين، فلما فرغ وجلسنا مجلسنا الذي يخصنا الشيخ به، أثبتت على الخطبة معجبا بحسن أحكامها، وروعة إيجازها، قائلًا له: إنه إيجاز قارب حدّ الإعجاز، فأكد لي- حرس الله مهجته- أنه توفّر عليها أسبوعا كاملا، وكتب فيها ثلاث خطط، لتأتي بهذه الحلة القشبية.

سحبان يقصر عن بحور بيانه
عجزا ويفرق منه تحت عباب
وكذاك قس ناطق بعكاظه

يعيا لديه بحجة وجواب
ومن بديع أمر الشيخ أنه-
على كثرة محفوظه من الشعر
ووفرة ما تحصل لديه منه- لا
يكتفي بما لديه، بل يتعهده
ويزيد دائما عليه، قرأت في مجلة
«الفيصل» مرة أبياتا رقيقة تعبر عن
غيره المرآة من الكتاب، لأنه يزاحمها
على الاستثثار بزوجها، مطلعها:

تغار من الكتاب إذا رأنتي

أقلبه وأترك وجنتيها
فلما كانت الجمعة سمعتها من
شيخنا على منبر الفردوس، وهي
الخارجة لتوها من قرن قائلها، إلا أنه أدخل
عليها تعديلا لتليق بالمنبر فقال:

تغار من الكتاب إذا رأنتي
أطالعه ولا أرنو إليها
فعمجت لفظنة الشيخ وقوة حافظته
وحضورها، أمتعته الله بها وزاده من فضله.
وصعد المنبر يوما في يوم مثلج، والشام
ترفل بحلة بيضاء من غيث السماء، فاستهل
خطبته بقصيدة القواس:

طوفانٌ ثلج طغى، جل الذي خلقا
ونحن في فلك نوح، نأمن الغرقا



الموهبة المعرفة، وإلى الرواية الدراية، فهو عارف بشروط الخطبة الناجحة، خبير بكل ما يحتاج إليه الخطيب، وقد حضرت له في الكويت محاضرة ألقاها على الأئمة والخطباء بدعوة كريمة من وزارة الأوقاف، بسط فيها الكلام على كل ما ينبغي للخطيب، وما لا ينبغي، منوها بأهمية التحضير والإعداد للخطبة فضلا عما يشترط في الخطيب من شروط، وقييني أنه من خير من حقق تلك الشروط التي نقلها الجاحظ في كتابه الممتع البيان والتبيين عن أبي دواد حيث قال:

«رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدرية، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب،

عقله ويستقيم مع جادة فكره، ولهذا قد يجتهد فيخالف فيما يراه آراء معاصريه حول بعض المسائل الفقهية وتفسير بعض الآيات القرآنية، وهو اجتهاد مؤيد عنده بالدليل والبرهان العقلي والنقلي، ومبني على أساس متين من فهم اللغة وأسرارها لا يتطرق إليه شك.

والشيخ واحد من عشاق العربية، وحاملي رايتها، الذائدين عنها، المنافحين دونها، العاملين ليل نهار في سبيلها وسبيل قرآنها، وقد اشتهر بين الناس حرصه على اللغة والأدب وكثرة عنايته بهما في خطبه، وإلحاحه على تنبيه الناس على أسرار اللغة وجمال الأدب والشعر، حتى عيب ذلك عليه، وهو لعمرى ليس بعيب، بل مفخرة من مفاخره.

وقد أخرج الشيخ هشام عصارته علمه وفقهه، وروائع حفظه واختياراته في كتب صغيرة الحجم، عظيمة القدر، كبيرة الفائدة والنفع، أقبل عليها الناس يقرأونها ويفيدون منها، وكنت واحدا منهم، بل إنني لم أستغن عنها في مغتربي فهي دائما معي أنهل منها وأعل، وينهل معي أولادي، وكل من يبلغه خبرها من أصحابي، أذكر منها: عيون الأشعار وروائع الأفكار، وقطوف الأداب وثمرات الألباب، والجديد في فقه لغة القرآن المجيد، ونظرات في كتاب الله تعالى، وخير الأدب عند العرب، ودراسات منهجية في التفسير والحديث والفقه واللغة، وجواهر الفوائد في علوم اللغة والتفسير والقواعد.

وبعد فإني أسأل الله العلي العظيم أن يبارك في حياة الشيخ هشام، ويسعده، ويمتعه به، ويقر عينيه بأولاده وطلابه وعلمه ولغته، ويجزيه عنا وعن الأمة خير الجزاء وأوفاه، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

- ١- البيان والتبيين ٤٤/١.
- ٢- قالهما أبو عبد الله بن القيسراني الشاعر لهارون بن أحمد بن عبد الواحد (ت ٥٢٧) عندما ولي خطابة حلب. معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥٨١/٥.



بيروها، أو تم نقصا تبدى له في مقطوعة يحفظها، بل إن له قصائد مفردة في الحب والطبيعة والإخوانيات والطفولة بثها فيما نشر من كتب، وتداولها إخوانه وأصحابه فيما بينهم.

وأما علم الشيخ وفقهه فقد أخذه عن أربابه، ثم زكا عنده ونما، إذ تربي في كنف والده الشيخ عبد الرزاق الحمصي مفتي سورية الفقيه والخطيب المفوه، ونشأ في رحاب الثانوية الشرعية ليأخذ عن جلة شيوخها من أمثال شيخنا العلامة محمد صالح الزفرور، والشيخ لطفي الفيومي، وتخرج في كلية الشريعة التي كانت تضم أساطين العلم والمعرفة بالفقه والقرآن والحديث والعربية، أمثال الأستاذ محمد المبارك والأستاذ الدكتور فوزي فيض الله، والأستاذ الدكتور فتحي الدريني... وغيرهم. ثم حصل على دبلوم التربية، وكان من خير المؤهلين لمتابعة الدراسات العليا، ونيل درجة الدكتوراه، ولكن الله قدر أن يكون أعلى من ذلك وأنبل، ولعمرى إن كثيرا من حملة الدكتوراه ليتمنون مكانه ومنزلته ويفيدون من علمه وفضله ولسان حالهم يقول: كل الصيد في جوف الفرا.

وكان يرفده في طلب العلم حب للكتاب وشغف بالمطالعة وإدامة نظر في قضايا العلم ومسائله، حتى استوى عالما يناقش كبار العلماء ويتخير من آرائهم ما يقنع به

كل حرف ينطق به، ويمثل كل تعبير يعبر عنه، فتعيش معه صورة الحدث، وروعة الموقف، وجمال الوصف، ورقيق المشاعر، وعذوبة الغزل، ورقة السيب. وإذا كان البحثري قد ارتاب في تماثيل إيوان كسرى وصوره حتى قال:

يَعْتَلِي فِيهِمْ إِرْتِيَابِي حَتَّى

تَنْقُرَاهُمْ يَدَايَ بَلْمَسِ

فإنك حين تستمع إلى الشيخ هشام وهو ينشد الشعر تخال أشخاصه أمامك، تكلمهم ويكلمونك، وتجالسهم ويجالسونك.

لقد تعلمت من الشيخ هشام ألا ألقى الكلام الفصيح- شعرا كان أو نثرا- على عواهنه، بل أنشده إنشادا، أترنم بكل كلمة فيه، وأعطي كل حرف حقه وكل تعبير مستحقه، وهي سنة سنهنا لنا حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الرسول ﷺ حيث يقول:

تَعَنُّ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ

إِن الْغَنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مَضْمَارُ

وهو يخصني مع بعض الصحب بجلسات ودعوات ونزهات فيها رواحنا ومراحننا، وسرورنا وجبورنا، وسعادتنا وهناؤنا، عمودها وذروة سنامها حديثه الذي يتدفق كالسيل الأتي أو البحر الذي لا تنقضي عجائبه، فلكل موضوع عنده محفوظاته الحاضرة وشواهد البادية، عظة كان أم خبرا، غزلا كان أم وصفا، مدحا كان أم ذما، شعرا كان أو نثرا.

صحبته يوما في رحلة إلى لبنان، تلبية لدعوة كريمة دعانا إليها الأخ الحبيب الشيخ رمزي دمشقية- رحمه الله وطيب ثراه، وحضرها جمع من الإخوة أذكر منهم الشيخ ناصر العجمي والأستاذ أحمد شمس والأستاذ إبراهيم الزبيق والأستاذ بسام الجابي، فما زال ينشدنا الأشعار ويروي أطياب الكلام حتى انقضى النهار ولم ينفذ جزء مما في جعبته.

على أنه يجمع إلى قوة حافظته وسعة روايته دراية بالنظم، وشاعرية مسعفة كثيرا ما صحح فيها خللا تبين له في قصيدة

مسجد حسان في رباط الفتح (المغرب)

مصطفى عبدالسلام

يعتبر مسجد حسان الشهير من مآثر الدولة الموحدية برباط الفتح، ويقع على ربوة عالية عن سطح المحيط الأطلسي بثلاثين متراً عن يمين الطريق الذاهبة من رباط الفتح إلى سلا، على الضفة اليسرى من وادي أبي رقرق في الجهة الشرقية من رباط الفتح، وأول ما يشاهده المسافرون في البواخر العابرة للمحيط الأطلسي إلى الدار البيضاء، أو العكس إلى طنجة، وكذا من أعلى الجو في الطائرات، منارته الشامخة العظيمة تعاند بإيمانها الصامد الراسخ تقلبات التعرية والزمان، فتذهله وتنقله إلى عالم التساؤل التاريخي.. من الأمر ببنائها؟ وفي أي تاريخ؟ ومن هو مهندسها؟ ويبقى الجواب عن هذه الأسئلة مرهوناً بزيارة المسجد وقراءة تاريخه.

بالحجر المصقول والمنضد يبلغ العناية والبراعة (٦)، وهي تضم غرفاً إلى علو ستة أدوار، وفي داخلها طريق صاعد مائل ميلاً بطيئاً بحساب هندسي جميل (٧)، ويصعد إليها دون درج، وكانت الدواب حينئذ عند الضرورة تصعد بجميع ما تحتاج إليه (٨).

وأمر يعقوب المنصور بجلب الماء إلى مسجد حسان في قنوات من مسافة ٢٠ كلم طولاً، من عين غبولة، ويجهل الطريق التي كانت تمد الجامع بالماء، بصرف النظر عن الآبار الموجودة بالصحن الكبير غير أنه من الثابت بالمسجد وجود آبار داخلية لحفظ المياه وتصريفها (٩)، وتعتبر صومعة حسان الثالثة بعد خرالدا بإشبيلية والكتيبة بمراكش وعلوها جعلها أفخم منارة برباط الفتح.

يبلغ عرض السور ١,٥ متر وعلوه ٩ أمتار، وكانت تحاذي سور القبلة عدة أبراج للزينة وحفظ التوازن في آن، وكان المحراب منحرفاً بعض الشيء من القبلة، وتختلف زخرفة تيجان الأعمدة، فبعضها يشبه تيجان أعمدة قرطبة، والباقي يشبه تيجان باب الرواح برباط الفتح، وكانت الأبواب في غاية الضخامة يتجاوز علوها ١٠ أمتار (١٠).

ما بقي من آثار المسجد من أعمدة وأسوار من أعجب الفن المعماري الأندلسي المغربي

وعرضه، وطوله، فبعض المؤرخين يرى أن مساحته ٢٦٠٠ متر مربع، وطوله ١٨٠ متراً، وعرضه ١٤٢ متراً، وبه ١٢ باباً (٤)، ومنهم من يرى مساحته ٢٥٠٠ متر مربع، ومنهم من يرى مساحته ٢٥٥٢، وطوله ١٨٣ متراً، وعرضه ١٣٩,٤٠ متراً، وتبلغ مساحة قاعة الصلاة وحدها أكثر من ١٩٦٢ متراً مربعاً، وعدد أعمدته أربعمئة، ومحيط السارية ثمانون سنتيمتراً، وعدد أبوابه ستة عشر باباً، ومحرايه ثلاثة أمتار طولاً ومثلها عرضاً (٥).

ومنارته (صومعته) شبيهة بمنارة الخرالدا بإشبيلية وجامع الكتبيين، وتم تشييدها في عهد يعقوب المنصور الموحدي عام ٥٩١-٥٩٢هـ، وصومعة حسان مساقفتها للمحراب في خط مستقيم، يبلغ كل جانب من المنارة ١٦ متراً، وارتفاعه ٤٤ متراً، وهي الباقية من المئذنة، وقاعدتها مبنية

يرجع تاريخ بناء مسجد حسان إلى عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي بعد رجوعه من الأندلس إلى المغرب، من معركة «الأرك» التي انتصر فيها على الفونصو الثامن ملك قشتالة في شهر شعبان عام ٥٩١ هـ يوليو ١١٩٥م (١)، فبعد مسجد القصبة القديم الذي بناه عبدالمؤمن بن علي سنة ٤٤٥هـ، أراد أن يكون بناء مسجد حسان من أكبر مساجد العالم الإسلامي، ومنارة الأعمش المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنع، فسخر في بنائه ونقل حجراته ٧٠٠ أسير من أسارى معركة الأرك (٢).

ويرى أحد المؤرخين أنه أضيف إلى مسجد حسان تذكاري باسم بنيه، على أن هذه النسبة يحيط بها الغموض، ولكن أرجح الروايات تذكر أن حسان مهندس أندلسي، ووضع تصميم المسجد والمنار، وأشرف على ما شيد فيه، وليس هناك ما يؤكد أن المهندس شارك في تصاميم أخرى بالمغرب، ويوجد ضريح حسان هذا في مقبرة صغيرة قرب المسجد (٣). وقد اختلف في تحديد مساحته،

♦ كاتب صحابي

وفي عقد المغفور له الحسن الثاني في السبعينيات، شيد بجانبه معلم تاريخي عظيم وهو ضريح المغفور له محمد الخامس، وشملت عناية المغفور له الحسن الثاني مسجد حسان فيلظ، والعناية بأسواره، وأحيط بالحدائق وإقامة الصلوات الخمس، وإقامة خطبة الجمعة بمسجد الضريح. ويشكل ضريح المغفور له محمد الخامس، وبقي آثار مسجد حسان مفخرة معمارية عظيمة جمعت روعة جمالية الفن المغربي والأندلسي بعدوة رباط الفتح، وسجلها تاريخ المغرب الوسيط والمعاصر بمداد الفخر والاعتزاز.



الهوامش

- ١- كتاب «الاستقصا» الناصري، الجزء الثاني، ص ١٨٥، طبعة دار الكتاب ١٩٥٤ البيضاء.
- ٢- نفس المصدر، ص ١٩٥.
- ٣- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ١١٢، مطبوعات المغرب للترجمة والتأليف، ١٩٧٩، الرباط.
- ٤- كتاب «المغرب» الصديق بن العربي، ص ٥٦-٥٧، الطبعة الثانية، مطبعة الأمنية ١٩٥٦، الرباط.
- ٥- كتاب «المساجد» حسين مؤنس، ص ٢٢٤، سلسلة عالم المعرفة ١٩٨١، الكويت.
- ٦- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ١٢٥، مطبوعات المغرب.
- ٧- نفس المصدر، ص: ١٢٦-١٢٧.
- ٨- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ١٢٥-١٢٢، مطبوعات المغرب للتأليف، الترجمة ١٩٧٩، الرباط.
- ٩- نفس المصدر، ص ١٢٥-١٢٢.
- ١٠- نفس المصدر، ص ١٢٦.
- ١١- نفس المصدر، ص ١٢٦.
- ١٢- كتاب «المساجد» حسين مؤنس، ص ٢٢٤، سلسلة عالم المعرفة ١٩٨١، الكويت.
- ١٣- كتاب «الاستقصا» الناصري، الجزء الثاني، ص ١٩٥، طبعة دار الكتب ١٩٥٤.
- ١٤- نفس المصدر، ص ٢١٤-٢٢٠-٢٢٥.
- ١٥- نفس المصدر، ص ٢٢٦-٢٢٧.
- ١٦- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ٢١٦، طبعة مطبوعات المغرب للتأليف الترجمة ١٩٧٩.

في ١٥ صفر عام ٦٠٧هـ والمتوفى في أواخر ذي الحجة عام ٦٠٩هـ (١٤)، ولا حتى في عهد حفيده يوسف المنتصر بالله بن الناصر بن المنصور المتوفى عام ٦١٨هـ (١٥)، وسجل أنه كان غير تام سنة ٦٢١ هـ ومنهم من يرى أنه تم بناؤه كاملاً (١٦).

والذي بقي دون تسجيل عند المؤرخين للفصل في الاختلاف، وتثبت الحقيقة التاريخية بصفة قطعية عدم تعرضهم لذكر العوامل الطبيعية وغيرها التي أدت إلى انهيار سقفه والجزء العلوي من المنارة وأسوار وأبواب مسجد حسان!

وما تبقى من آثار مسجد حسان من أعمدة وأسوار ومن المنارة العجيبة، من أعجب الفن المعماري الأندلسي المغربي، وإلى عهد قريب كان يسمح بالصعود إلى المنارة للتمتع بالرؤية الشاملة للعدوتين الرباط وسلا، ولظروف أمنية أقلل باب المنارة حفاظاً على سلامة الزائرين من السقوط من أعلاها، والاكتفاء بالتعلي في عظمتها من أسفل أرضية المسجد.

ويمتد الصحن الكبير مسافة ١١٣٩ متراً، وتحاذيه أروقه تمتد جانب سور الجامع من الشرق والغرب.. ويبلغ مجموع أساكيب بيت الصلاة ١٨ ثلاثة في الجنوب وسبعة في الشمال، ويحتوي على ١٩ بلاطا، والأساكيب الوسطى التي يجاوزها صحنان صغيران، فتشتمل على بلاطة بقطع النظر عن الأروقة الجانبية (١١).

وقد ذكر أحد المؤرخين أن عدد بلاطات هذا المسجد كانت ٢١، سعة البلاطة الواحدة خمسة أمتار، فكان عرضه عند الصلاة في ذلك الجامع ١٠٥ أمتار أما جوفه أو عمقه فيتكون من ٥ أساكيب موازية لجوار القبلة، وكانت للجامع منجيات اليمنى ويسرى وخلفية (١٢).

وقد اختلف المؤرخون في إتمام بناء المسجد فمنهم من يرى أنه لم يتم بناؤه في عهد يعقوب المنصور الذي توفي عام ٥٩٥هـ (١٣)، ولا حتى في عهد ابنه عبدالله محمد الناصر لدين الله يعقوب المنصور الذي اهتم بغزو الأندلس، وما لحقه من انهزام في معركة العقاب

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

١٤٤٠/٢٢٢/٨٤ الأجرة على الكفالة

كنت مؤجراً رخصة دكان لشخص ما مقابل ١٢٠ د.ك سنوياً، والسؤال: هل يجوز الاتفاق مع المؤجر على زيادة الأجرة السنوية أعلاه بالتراضي بيننا مقابل أن أعمل إقامات للعمال الذين يعملون بالحل؟ حتى يكون وجودهم قانونياً داخل الدكان.

أجابت اللجنة بما يلي: إن إيجار الرخصة وعمل إقامات مقابل زيادة إيجارها هو من قبيل أخذ العوض على الكفالة، ولم يجزه أحد من العلماء فيما نعلم، والله أعلم.

١٩٤٦/٨٢ العمولة على إيجاد عمل

شخص يود أن يفتح مكتباً لاستقدام الأيدي العاملة بأجرة يومية مقدارها ثمانية دنانير، بحيث يؤجرهم للغير بمبلغ عشرة دنانير، يعطي العامل منها أجرته ثمانية دنانير ويستفيد صاحب المكتب من الدينارين، فما حكم ذلك؟ أفيدوني جزاكم الله خيراً.

أجابت اللجنة: أنه إذا استأجر المستفتي شخصاً أو أشخاصاً بأجر معلوم لمدة معينة على أن يكون له حق تأجيرهم للغير فهذا التصرف جائز شرعاً إذا كان عن تراض، وكذلك لو أخذ عمولة محددة على إيجاد عمل لشخص فإنه جائز شرعاً، سواء أكانت العمولة من الأجير أو من المستأجر أو هما معاً، والله أعلم.

٨٢٠/٥/٤ تأجير الرخصة التجارية

أنا مواطن لدي ترخيص تجاري، وليس لدي رأس مال، وطلب مني أخ غير كويتي ميسور الحال أن يستغل الترخيص العائد لي وذلك بالتجارة والمقاولات، وبطبيعة الحال سأكون في نظر القانون والناس مسؤولاً عن كل حق له أو عليه نظراً للترخيص، حيث إنه باسمي، وأي تصرف حسن أو سيئ يصدر منه سيكون باسم هذا الترخيص، لذا فقد ترك لي اختيار أحد الأمور التالية وذلك نظير الترخيص الذي يمنحه حق مزاوله مهنة التجارة.

(أ) أن يمنحني مبلغاً معيناً يتفق عليه بيننا كأجرة سنوية للترخيص.

(ب) يقتطع نسبة مئوية معينة من قيمة كل عقد مقاوله بينه وبين الغير لصالحه.

(ج) يعتبرني شريكاً بالترخيص أي يعتبر أن هذا الترخيص يعادل مبلغاً معيناً من رأس المال لصالحه.

وعلى ضوء ما ورد فإنتي في حيرة، إن كان في ذلك شبهة أو حرمة، وإذا كان لا شيء في هذه الأمور الثلاثة فأيهم أفضل؟ ويعد استعراض الموضوع أجابت اللجنة بأنه بالنسبة للصورة الأولى والثانية فإنه لا يجوز العمل بهما، أما بالنسبة للصورة الثالثة فهي جائزة بشرط أن يشترك صاحب الترخيص مع صاحب المال في الربح والخسارة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٤٤٨/٤/٨٤ فسح عقد الإجارة

استأجرنا مكاتب بقصد استخدامها في مشروع تجاري، وبقمنا بتسديد المبلغ المطلوب إليها، ولكن عندما تقدمنا للجهات المختصة والرسمية بالدولة للحصول على التراخيص اللازمة لهذا المشروع التجاري فوجئنا بعدم الموافقة، حيث أفادتنا هذه الجهات بأن هذه المنطقة الواقعة في دائرتها المكاتب- موضوع الإيجار- هي منطقة سكنية، ولا يجوز إصدار تراخيص لهذه المكاتب، وعليه قمنا بالتحدث مع الإدارة المختصة التي أفادت أكثر من مرة بأن الموافقة ستخرج عن قريب، ونحن ندفع الإيجار على هذا الأمل الذي يصدر عن الشخص المختص بالتأجير، وبقينا على هذا الحال حتى بت المجلس البلدي بهذا الموضوع، وأفاد بأن هذا المشروع سكني ولا يصلح للعمل التجاري.

فهل يجوز لنا استرجاع المبالغ التي تم تسديدها عن المدة السابقة والمستقبلية وفسح عقد الإيجار أم لا؟

رأت اللجنة الإجابة بالآتي: إن فسح الإجارة هنا مشروع، لأنه بعدد طارئ لا يد

فيه للمستأجر، ويكون الفسخ بالنسبة للمدة المستقبلية من حيث إخلاء المأجور عقب طلب الفسخ، ويجوز له استرجاع المبالغ التي دفعت مقدماً عن المدة المتبقية في العقد دون المدة السابقة على الإخلاء، والله أعلم.

٢٠١٣/٤/٨٤ استثمار أموال عائلة المرضي

نحن اللجنة التجارية في صندوق إعانة المرضي، لدينا ترخيص من وزارة الصحة بوضع ثلاثيات مرطبات في جميع مستشفيات الكويت، ولقد عملنا في هذا المشروع فيما يقارب سنة، وعانينا من هذا المشروع كثيراً من المتاعب، ومضيقه للوقت في عمل الصندوق، وعلى هذا عرضت علينا إحدى الشركات القيام والإشراف على هذا المشروع، وتكون لنا المراقبة فقط، وتكون لنا نسبة من الأرباح، السؤال: هل يجوز إعطاء هذا العمل للشركة؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن ذلك جائز لأنه مقاوله ثانية، ولأن فيه حصولاً على فرق من ربح العمل، والله أعلم.

٨٢٠/٧/٨٢ رفع الإيجار بدلاً من الخلو

نحن مقبلون على بناء مجمع تجاري بإحدى مناطق الكويت، وكما تعلمون فإن فكرة التأجير بطريقة الخلوات منتشرة، وحيث إن نظام شركتنا الأساسي ينص على تطبيق الشريعة الإسلامية، فإننا نسأل عن مدى تمشي نظام الخلو والشريعة الإسلامية، وهل يمكننا ترك الخلو والاستعاضة عنه بزيادة القيمة الإيجارية مثلاً، وفي حال إذا كان هذا أو ذاك مخالفاً للشريعة الإسلامية فما هي الطريقة المثلى التي تقترحونها، والتي تحقق لنا العائد المناسب ويقرها ديننا الحنيف؟

أجابت اللجنة: الاستعاضة عن الخلو برفع القيمة الإيجارية أمر جائز، ويجري على البديل كل أحكام الأجرة، بحيث لو فسح العقد يسترد المبلغ المقدم الذي يخص الفترة الباقية، والله أعلم.

قرار مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) رقم: ٥٠ (٦/١) بشأن التمويل العقاري لبناء المساكن وشرائها

وجب أن يقتصر فيها على التكاليف الفعلية لعملية القرض على النحو المبين في الفقرة (أ) من القرار رقم ١٣ (٣/١) للدورة الثالثة لهذا المجمع.

ب- أن تتولى الدولة القادرة إنشاء المساكن وتبيعتها للراغبين في تملك مساكن بالأجل والأقساط، بالضوابط الشرعية المبينة في القرار ٥١ (٦/٢) لهذه الدورة.

ج- أن يتولى المستثمرون من الأفراد أو الشركات بناء مساكن تباع بالأجل.

د- أن تملك المساكن عن طريق عقد الاستصناع- على أساس اعتباره لازماً- وبذلك يتم شراء المسكن قبل بنائه، بحسب الوصف الدقيق المزيل للجهالة المؤدية للنزاع، دون وجوب تعجيل جميع الثمن، بل يجوز تأجيله بأقساط يتفق عليها، مع مراعاة الشروط والأحوال المقررة لعقد الاستصناع لدى الفقهاء الذين ميزوه عن عقد السلم. ويوصي المجلس بمواصلة النظر لإيجاد طرق أخرى مشروعة توفر تملك المساكن للراغبين في ذلك، والله الموفق.

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧ - ٢٣ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ١٤ - ٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع التمويل العقاري لبناء المساكن وشرائها، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولاً: إن المسكن من الحاجات الأساسية للإنسان، وينبغي أن يوفر بالطرق المشروعة بمال حلال، وإن الطريقة التي تسلكها البنوك العقارية والإسكانية ونحوها من الإقراض بفائدة قلت أو كثرت، هي طريقة محرمة شرعاً لما فيها من التعامل بالربا.

ثانياً: هناك طرق مشروعة يُستغنى بها عن الطريقة المحرمة، لتوفير المسكن بالتملك (فضلاً عن إمكانية توفيره بالإيجار)، منها:

أ- أن تقدم الدولة للراغبين في تملك مساكن قروضاً مخصصة لإنشاء المساكن، تستوفيها بأقساط ملائمة بدون فائدة، سواء أكانت الفائدة صريحة، أم تحت ستار اعتبارها (رسم خدمة)، على أنه إذا دعت الحاجة إلى تحصيل نفقات لتقديم عمليات القروض ومتابعتها

قرار مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) قرار رقم ١٧٢ (١٠/١٨) بشأن الإذن في العمليات الجراحية المستعجلة

١- أن يكون العلاج مقرراً من الجهات الصحية المختصة ومعترفاً به.

٢- ضرورة وجود طبيب اختصاصي في فريق لا يقل عن ثلاثة أطباء للموافقة على التشخيص والعلاج المقترح، مع إعداد محضر بذلك، موقع عليه من الفريق.

٣- ضرورة أن تكون الفوائد المتوقعة من العلاج تفوق أضراره، مع تقليل المخاطر قدر الإمكان.

٤- بعد إفاقة المريض على الطبيب شرح التفاصيل الكاملة له.

٥- أن تكون المعالجة مجانية، وإذا كانت لها تكاليف فتحدّد من جهة متخصصة محايدة.

ثالثاً: تأجيل البتّ في الحالات التالية إلى دورة قادمة للمجمع العمليات المستعجلة، مثل الزائدة الملتهبة إذا رفض المريض إعطاء الإذن.

الجنين الذي التفت الحبل السري حول رقبتهم، ولم تتم الموافقة على إجراء العملية القيصرية اللازمة لإنقاذ الطفل.

إذا احتاج الطفل المريض إلى إجراء طبي تدخلي، مثل عمليات الزائدة، أو غسيل الكلى ونقل الدم، ورفض الولي اتخاذ ذلك الإجراء، والله الموفق.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الثامنة عشرة في بوتراجايا (ماليزيا) من ٢٤ إلى ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ الموافق ٩-١٤ تموز (يوليو) ٢٠٠٧م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع حالات سقوط الإذن في العمليات الجراحية المستعجلة، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله قرر ما يلي:

أولاً: يجوز اتخاذ التدابير والإجراءات الطبية اللازمة في الحالات الإسعافية (طب الطوارئ) دون حاجة إلى أخذ موافقة المريض أو وليه في الحالات التالية:

وصول المريض في حالة إغماء شديد، أو في حالة يتعدّد الحصول معها على الموافقة قبل التدخل.

أن يكون المريض في حالة صحية خطيرة تعرضه للموت تتطلب التدخل السريع قبل الحصول على الموافقة.

ج- ألا يوجد مع المريض أي من أقاربه الذين لهم حق الموافقة مع ضيق الوقت.

ثانياً: يشترط للتدخل الطبي في مثل تلك الحالات:

كن الأول دائماً

التفوق الدراسي وأن تكون من الأوائل أو على الأقل من العشرة الأوائل.

- وإن كنت عالماً في تخصص علمي..
قدم جديداً في مجال تخصصك، رسالة علمية تقدم جديداً، كتاب جديد، فكرة جديدة، اكتشاف جديد وضع بصمتك التي تبقى في مجال تخصصك.

- وإن كان لديك مشروعك الخاص فاجعل مشروعك متميزاً بفكرة جديدة أو ابتكار جديد يكون الأول في مجاله، وجودة المنتج أو طريقة العرض أو في أسلوب التسويق أو في أسلوب خدمة ما بعد البيع.

- وإن كنت كاتباً وأديباً فقدم الإبداع الجديد في مجال كتابتك واسأل نفسك قبل أن تكتب ما الجديد الذي أقدمه أنفع به القارئ أو بالأحرى ما الذي يميز كتابتي عما كتب سابقاً في الموضوع نفسه؟ طرح جديد، أسلوب جديد، فكرة جديدة.

- وإن كنت تمتهن حرفة أو مهنة معينة فقدم طريقة مبتكرة في مزاولة هذه المهنة وتكون أول من يطبق هذه الطريقة أو اكتشف حلاً لمشكلة كانت تواجه أصحاب المهنة في عملهم.

إن فكرة أن تكون من الأوائل لا تعني أن تكون الأول وحسب بل تعني أن تقدم الجديد وتتميز في تخصصك وعملك وتكون أول من يجرب الأفكار الإبداعية الجديدة.

يقول خبير التنمية البشرية إبراهيم الفقي: كن الأول دائماً.. لو أن شخصاً استطاع قبلك أن يفعل شيئاً، فاعلم أنك قادر على عمل هذا الشيء نفسه، لأن هذا الشخص ليس أفضل منك، أما إذا كان هذا الشيء لم يفعله احد قبلك، فستكون أنت الأول.

أربعين إلا وكنت في المسجد، وقال: ما رأيت قفا رجل قط أمامي.

وكان وهيب بن السورد يقول: إذا استطعت ألا يسبقك أحد فافعل.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يستيقظ باكراً وأول من يبدأ يومه بأعمال الخير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (رواه مسلم).

وبعد الاطلاع على سيرة الأوائل والمتفردين.. هل سألت نفسك يوماً كيف أصبح من الأوائل؟

الأمر ليس صعباً.. ابدأ أولاً بتمرين نفسك على أن تكون الأول في أنشطة حياتك اليومية:

- كن أول من يحضر إلى المسجد واحرص على الصف الأول في الصلاة.

- كن أول من يحضر في الموعد المحدد فلأن تأتي مبكراً ساعة خير من أن تتأخر دقيقة.

- كن أول من ينجز أعماله في الوقت المطلوب مع الإتقان.

- كن أول من يبادر في تقديم الأفكار والاقتراحات في موضوع ما عندما يطلب ذلك.

- كن أول من يطلق المبادرات الإيجابية لتتفع دينك ووطنك.

- وكن أول من يشارك في المبادرات الإيجابية التي يطلقها الآخرون.

وكن الأول في مجال عملك:
- إن كنت طالب علم احرص على

عرف التاريخ الإسلامي العديد من الشخصيات بأنهم أوائل في مجالات عديدة، وألف في ذلك العديد من كتب السير والتراجم عرفت باسم (الأوائل)، وتنوعت مجالات تميز الأوائل في الإسلام، فنجد في الدفاع عن الإسلام أول من جهر بالقرآن الكريم في مكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفي مجال الفروسية والشجاعة أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود رضي الله عنه، وأول من رمى بسهم في سبيل الله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي الطب أول طبيب في الإسلام الحارث بن كلدة، وأول طبيبة في الإسلام ربيعة الأسلمية، وفي العلم أول من كتب المصحف بخط يده عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأول من ألف في علم النحو أبو الأسود الدؤلي، وأول من ألف في علم العروض الخليل بن أحمد، وفي مجال نظم الحكم أول من أنشأ الدواوين واتخذ بيتاً للمال هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه،... وغيرهم كثير.

ولقد تعلم هؤلاء أن يكونوا أوائل من هذا الدين العظيم (الإسلام) الذي يحث على السبق والمبادرة، وقد كثرت في القرآن الكريم الآيات التي تدعو إلى المسارعة في الخيرات والتنافس فيها كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١)، ويدعونا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحرص على الصف الأول في الصلاة، وهو تدريب عملي يومي للمسلم على التفرد والتميز، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» (رواه البخاري ومسلم).

وروي عن سعيد بن المسيب وهو من أئمة التابعين أنه قال: ما أذن للصلاة منذ



صور من حياة المتميزين

رفيدة الأسلمية أول طبيبة في الإسلام

وكانت تنفق على ذلك من مالها الخاص متطوعة بالجهد والمال في سبيل الله فنصبت في المسجد خيمة حيث تجمعهم، وحملت معها أدواتها وعقاقيرها، وعكفت على علاجهم أياماً حتى برئوا واندمت جراحهم وكان يساعدها في هذا العمل عدد من نساء الصحابة. يروى انه لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب.

ميادين القتال. وتقديراً من النبي ﷺ لجهودها في غزوة خيبر في مداواة الجرحى وخدمة المسلمين أسهم لها بسهم رجل مقاتل. وكان بداية عملها عندما عاد المسلمون من غزوة بدر منتصرين، وكان بينهم بعض الجرحى، فمنهم من عالجهم أهله ومنهم من لم يكن له مال ولا سكن ولا أهل، في تلك الأثناء تطوعت رفيدة رضي الله عنها لخدمة هؤلاء بإسعافهم وتضميد جراحهم ومداواتهم وتقديم الغذاء لهم.

عرفت بين المسلمين بخيمتها التي كانت تنصب لها في أثناء المعارك لتكون أول مستشفى عسكري متنقل يداوي الجرحى، وكان يطلق على هذه الخيمة «خيمة رفيدة» التي أصبحت أول طبيبة في الإسلام تداوي جرحى المعارك من المسلمين وتضمد جراحهم. إنها الصحابية الجليلة.. رفيدة بنت سعد الأسلمية، من قبيلة أسلم.. واسمها مشتق من الرفادة وتعني الإعانة والعطاء.. كان لها صحبة مع رسول الله ﷺ في غزواته.. تداوي الجرحى في

كلمات في التميز

الطموح

فشلت فإنك ستستقر بين النجوم. **ليس براون** كل عمل هو صورة ذاتية للشخص الذي أنجزه.. لذلك، ذيل عملك بتوقيع التميز. تعلم أين تجد المعلومات المفيدة وكيف تستخدمها، فهذا سر النجاح. **ألبرت اينشتاين**

لا تذهب حيث يسير بك الدرب بل اذهب حيث لا يوجد درب و اترك أثراً خلفك. **رالف والدو امرسون** لا تدع الأفكار العظيمة سائبة، بل احرص على أن تتابع مسيرها على الطريق الصحيح. **وليام بليك** انطلق باتجاه القمر، وحتى ان

كن دائماً الإصدار الأول من نفسك، ولا تكن الإصدار الثاني من أحد آخر. **جودي جارلاند** لتكن فاتحة للأبواب لمن يأتون بعدك. **رالف والدو امرسون** هيء لكل فعل ما يلزم لتحقيقه، ثم احزم أمرك و توكل على الله. **بييل كوسبي**



أدمغة الشعوب تصنع قواعد اللغة

شككت دراسة جديدة في صحة نظرية «القواعد العامة» أو «النحو الكلي» كما يطلق عليها البعض والقائلة إن لجميع اللغات البشرية صفات وقواعد مشتركة لكونها ميزة إنسانية مرتبطة بتكوين الدماغ البشري. واعتمدت الدراسة على الأساليب التي تتبعها البيولوجيا الارتقائية للتدقيق في مراحل تطور القواعد في عدد من أسر اللغات المختلفة، وأظهرت أن أسر اللغات تلك تطورت بطرق مختلفة ما جعل الباحثين يستنتجون أن التطور الثقافي، لا الدماغ، هو المحرك، وراء التطور اللغوي، وقال مايكل دن، قائد فريق البحث وعالم لسانيات في هولندا، إن المقاربة التي اعتمدها شبيهة بدراسة لنبات البازلاء قام بها غريغور ميندل، وأصبحت في نهاية المطاف من أصول علم الوراثة. وأضاف: «استنتج ميندل أن هناك آلية تنتقل بها البيانات الوراثية من خلال ملاحظته لمختلف التغيرات التي تطرأ على نبات من جيل لآخر، وذلك بالضبط ما نحن بصدد فعله، لكن في مجال اللسانيات».

ومن الخصائص التي ركز عليها الباحثون في دراستهم موقع حروف الجر ومجروراتها (أي هل تأتي قبلها أم بعدها)، وموقع الفاعل بالنسبة للمفعول به في أربع أسر لغوية مختلفة، وهي الهندية-الأوروبية، واليوتوزتك، ولغات البانتو، واللغات الأسترونوزية، وجمع الفريق الباحث قاعدة بيانات عن كل أسرة من أسر اللغات الأربع، مكوناً أربع شجرات تصور تطور اللغات وتفرعها عن أصولها ما أعطاهم فكرة واضحة عن المراحل التي سلكتها كل أسرة.

ويجزم فريق الدكتور مايكل دن بأن «الأسر المدروسة تطورت كل بطريقتها الخاصة وليس وفق قواعد موحدة وهو ما يتنافى مع نظرية القواعد العامة واسعة الإقبال».

ستائر تمص الضوضاء

الضجيج أصبح عنصر إزعاج شديد في الحياة العصرية اليومية وله تأثير سلبي على التركيز ما يؤدي إلى تقليل الإنتاجية والتأثير السلبي على الصحة العامة على المدى البعيد، لكن هناك حلاً للمشكلة، فقد تمكن الباحثون في أكاديمية المختبرات الاتحادية السويسرية لعلوم المواد المحلية ومصممة النسيج المعروف أنيت دوغلاس من ابتكار نسيج يمتص الضجيج ويخفض من نسبة الضوضاء ويستخدم في صناعة الستائر، ويمثل هذا الاختراع إضافة جديدة في مجال التصميم الداخلي والديكور باعتبار أن هذا المجال يفتقر إلى ستائر ذات تصميم مناسب وذات وظيفة تقنية بدلاً من الاستعانة بأجهزة لا تتناسب بالضرورة مع تصميم المكان.



اللغات نشأت في إفريقيا

اللغات العالمية نشأت في إفريقيا وانتشرت منها حول العالم، تماماً مثل البشر. هذا ما أظهرته دراسة أميركية جديدة، وفيها حلل الباحث في جامعة أوكلاند في نيوزلندا، كوثنن اتكينسون، الوحدات الصوتية في الكلام المعاصر، ووجد أن نمطها يعكس نمط التنوع الجيني للبشر.

ومع هجرة البشر من إفريقيا وبدء الاستيطان في أماكن أخرى، تراجع التنوع الجيني ووفقاً للدراسة فإن التنوع في الوحدات الصوتية مال إلى التراجع أيضاً.

لغاتنا تعود لإفريقيا واللغة هي مؤشر على الأصل الحضاري، عندها نكون نحن عائلة في الثقافة كما في المعنى الجيني، أظن أن هذا ممتع حقاً.

وأشار إلى أنه أجرى البحث لأنه يعرف أن اللغات استخدمت أصواتاً أقل لدى المجتمعات الصغيرة، ومعرفة كيفية نشوء اللغات.

وقال: إنه على العموم فقد برزت وحدات صوتية أقل في لغات المجتمعات التي استوطنت أخيراً، لكن في المناطق المسكونة منذ وقت طويل مثل الصحراء الإفريقية، فهم لا يزالون يستخدمون الكثير من الوحدات الصوتية.

من هنا وهناك

● أظهرت دراسة في أستراليا أن طفلاً من أصل كل ٨ أطفال في البلاد يتكلم اللغة العربية في المنزل مع والديه، ما يجعلها اللغة الثانية الأكثر شيوعاً لدى الأطفال.

كما أظهرت الدراسة التي أجرتها وزارة التعليم الفيدرالية أن اللغة العربية هي اللغة الثانية الأكثر شيوعاً في المنزل في أستراليا بعد اللغة الإنجليزية ويستخدمها ١١.٨٪ من الأطفال في التحدث إلى ذويهم.

● توصل باحثون صينيون في دراسة نشرت أخيراً إلى أن أنواعاً الضفادع تحتوي على ٧٩ نوعاً من البيبيدزرات (مكونات البروتين) ٥٩ منها لم يكن معروفاً من قبل واتضح أن بعض تلك البيبيدزرات لديه قدرة كبيرة على محاربة البكتريا وغيرها.

● أعلنت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في السعودية أن عدد مقتنيات المكتبة من الصور الفوتوغرافية النادرة بلغ أكثر من ٧٠٠٠ صورة. يعود بعضها إلى بدايات عصر التصوير الشمسي وتمثل مرجحاً تاريخياً مرتباً لتطور الحياة في الجزيرة العربية طوال القرون الثلاثة الماضية.

● أظهرت دراسة جديدة أن الدين معرض للانقراض في تسع دول هي: أستراليا وكندا والنمسا وفنلندا وإيرلندا وهولندا ونيوزيلندا وتشيكيا وسويسرا وهذه الدراسة أعدها فريق ضمن خبراء من مؤسسة البحث للتقدم العلمي الأميركية.

● افتتح في مدينة إشبيلية الأسبانية أول مبنى تجاري فريد من نوعه في العالم إذ إن المبنى مكون من الخشب، ولم يستخدم فيه مسمار واحد بل إن أجزاءه ثبتت بعضها ببعض بواسطة «البولييريثان» وهي مادة كيميائية عبارة عن غراء لاصق قوي جداً، أما الأساسات والأعمدة فقد استخدم الإسمنت في بنائها.

اكتشاف ٦٥٧ جزيرة جديدة

وتتواجد عادة في سلاسل ويرتبط طول الحواجز وعرضها والتشكل العام للسواحل الحاجزة بأمر مثل نطاق المد والجزر وطاقة الأمواج وإمدادات الرواسب واتجاهات مستوى سطح البحر، ووفق الباحثين فإن الجزر الجديدة لم تظهر فجأة، ولكنها كانت مجهولة أو مصنفة بشكل خطأ.

اكتشف علماء أميركيون ٦٥٧ جزيرة على الأرض لم تكن معروفة سابقاً وذلك بعد استعانتهم بصور الأقمار الصناعية، وبين الجزر المكتشفة حديثاً ٢١٤٩ جزيرة حاجزة وهي عبارة عن أرض ساحلية ونوع من نظام الجدار تشكل قطاعات ضيقة نسبياً من الرمال توازي ساحل البر الرئيسي

كثرة المعلومات تسبب النسيان

يعانون من اضطراب في التعلم والتذكر لأن أدمغتهم مملوءة بالمعلومات غير المفيدة ووجدت الدراسة أن هذه المشكلات في الذاكرة ولا ترجع إلى بقاء عمل الدماغ عند المسنين بل بسبب الاستخدام الكثير

للدماغ، وصعوبة وقف المعلومات التي لاصلة لها بالمهمة التي يجري إتمامها.



وجدت دراسة جديدة أن المشكلة التي تكمن وراء معاناة بعض الأشخاص من مشكلات في تذكر الأسماء والأرقام هي كثرة المعرفة وبالتالي فهم بحاجة للتخلص من

الأفكار المبعثرة وتنظيم ذاكرتهم، وقال باحثون كنديون أجروا الدراسة إن المسنين

هاتف ورقي

وعرض الكتب الإلكترونية، ويقوم الجهاز الجديد بمهام مختلفة ويعرض خصائص متنوعة عند طيه أو ثنيه على جانبيه، وقال الدكتور رويل فيرتجال الذي اخترع الجهاز الجديد: كل شيء سيبدو مثل هذا النموذج التجريبي في غضون خمس سنوات.

توصل باحثون كنديون إلى اختراع نموذج لهاتف ذكي يتسم بالمرونة، ومصنع من ورق إلكتروني وبإمكان الهاتف الورقي الجديد أن يقوم بجميع المهام التي تقوم بها عادة أجهزة الهواتف الذكية مثل إجراء المكالمات وتلقيها وإرسال الرسائل وتشغيل مقاطع موسيقية



عظمة البلاغة العربية

من أسرار البلاغة في اللغة العربية ما يسمى باتفاق اللفظ واختلاف المعنى ومن أمثله عظمة البلاغة العربية في لفظ ضرب:

- ١- ضرب بمعنى صفع مثل: ضرب زيد عمراً.
- ٢- ضرب بمعنى ذكر مثل: ضرب الله مثلاً.
- ٣- ضرب بمعنى أقام مثل: ضرب لضيفه خيمة.
- ٤- ضرب بمعنى حدد مثل: ضرب له موعداً.
- ٥- ضرب بمعنى سعى مثل: ضرب في الأرض.
- ٦- ضرب بمعنى حسب مثل: ضرب ٦×٥.
- ٧- ضرب بمعنى سك: ضرب النقود.

• هبة الله نعيم محمود



الإمام مالك والموطأ (٩٣-١٧٩هـ).

لا يُذكر الإمام مالك إلا ويذكر كتابه الموطأ وكأنهما وجهان لعملة واحدة والموطأ لغة معناه الممهّد أو الميسر، وهذا الكتاب ألفه الإمام مالك رضي الله عنه بناء على توصية من الخليفة العباسي المنصور، وذلك في «منى» وفي موسم الحج بعد أن استرضاه الخليفة عما صدر من عمه من إيذاء لحق بالإمام مالك على أثر حديث كان يرويه دائماً ووشى به على أن المقصود منه هو الخليفة وعدم رضاه للإمام مالك بالخلافة العباسية، وهذا الحديث هو «ليس على مستكره طلاق».

ولم يلبث الخليفة العباسي أن قال للإمام مالك: يا أبا عبدالله ضع هذا العلم ودونه وتجنب فيه شدائد عبدالله بن عمر ورخص عبدالله بن عباس وشواذ عبدالله بن مسعود واقصد به إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم لتحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبتك ونبثها في الأمصار ونعهد إليهم ألا يخالفوها ولا يقطعوا بسواها، فقال الإمام أصلح الله الخليفة إن أهل العراق لا يرضون علمنا، وفي رواية أخرى قال المنصور لمالك اجعل العلم يا أبا عبدالله علماً واحداً فقال له الإمام إن أصحاب رسول الله تفرقوا في البلاد فأفتى كل بمصره ما رأى، وقد استغرق الموطأ في تأليفه إحدى عشرة سنة من ١٤٨هـ وحتى سنة ١٥٩هـ.

• خلف أحمد عبدالعليم

جفاف المشاعر

وبتر الصلوات، وأشاع الأناثية، وأصل تبادل المنافع، وقوى الواسطة، وأبعد الضعيف، وقرب القوي، ورفع المفضول، وخفض الفاضل.. كل ذلك وغيره جناه جفاف المشاعر وفوقه (وهو الأخطر) أصبح الحب والبغض والمشاعر سلماً تُباع بأزهد الأثمان، وألفاظاً تقال بلا معنى، وخيالاً بلا حقيقة! ولكن: هل تلين المشاعر بعد جفافها، وهل تحيا بعد موتها، وهل تحبو بعد هجمتها وتبلدها.. أسئلة لا أملك لها جواباً.

ما نراه من صلة وبر ووفاء لدى عدد كبير من الناس، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، متعلمين وجهالاً، ولكن ذلك العدد ليس كثيراً! والمفاجأة غير السارة أن بعض الناس كان واصلاً قبل امتلاك تلك الوسائل، وكان باراً قبل حصوله عليها، وكما كان يتمنى بعضها، فلما تحققت الأمنية تبدلت الحال، وصار الفتى غير الفتى.. فضعف تواصله وقل بره وغاب وفاؤه! جفاف المشاعر أضعف العلاقات

تيسرت وسائل الاتصال، وتعددت أنواعها، ورخص ثمنها، وسهل الحصول عليها، وكان من المفروض أن تعين على: صلة الأرحام. الوفاء بين الأصحاب. تفقد المحتاجين. السؤال عن المرضى. نشر العلم والخير بين الناس... و... فهل تحقق ذلك؟! ومن التفاؤل أن نقول نعم، ويؤيد نعم

سياسة الطب في العصر العباسي

- قال ابن ماسويه رئيس بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة المأمون:
- الحقيقة في الطب غاية، والعلاج بما تنصه الكتب دون إعمال الحكيم الماهر رأيه فيه.
 - ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدأ الصحة ويرجيه بها وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.
 - من ساءل في مرض كثيراً من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم.
 - إذا لم يشاهد الطبيب مزاج المريض في حال صحته لم يعرف قوة مرض من ضعفه ولا جرى في علاجه ما ينبغي.
 - ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في صحته ومواضع أماله ثم يصورونها له ويرجونه فيها وينشطونه إليها.
 - إن استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.

■ **عمر يوسف بدوي**

الإمام الداني

أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الداني ولد بقرطبة سنة ٣٧١هـ وبدأ في طلب العلم وهو في الرابعة عشرة من عمره ولم يزل يطلب العلم حتى بلغ فيه شأنًا كبيرًا وقد قيل إنه كان أستاذ زمانه وشيخ مشايخ القراء فيه، برز في علوم القرآن الكريم من حفظ وتجويد وقراءات مختلفة، المتواتر منها والشاذ، وطرق والرسم والضبط والفواصل والوقف والابتداء... إلى غير ذلك من العلوم.

وكان وحيد عصره وفريد زمانه في الحفظ والتحقيق، وقال عن نفسه ما رأيت شيئاً إلا كتبته ولا كتبته إلا حفظته ثم لا أنساه.

مؤلفاته بلغت الثلاثين ومائة في مختلف علوم القرآن الكريم، ومن أشهر مؤلفاته في القراءات كتاب التيسير الذي اختصره الإمام الشاطبي في منظومته حرز الأمان المشهورة بالشاطبية، وكتاب المقنع الكبير في الرسم وهو خير ما ألف في هذا الفن، والضبط المحكم في نقط المصحف.

عاش للقرآن الكريم ووهب حياته كلها طوعاً وعرضاً متعلماً مجداً فعلاً متقناً محققاً ومعطاءً، وقد أدرسته الوفاة بمدينة دانية إحدى قرى بلاد الأندلس سنة ٤٤٤هـ. رحم الله إمامنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

■ **خلف أحمد عبد العليم**

هداها الصناعة

العربي وقد تناثرت دماؤه ومزقت أشلاؤه وتبعثرت أعضاؤه وتهتك أجزاءه وهتكت أعراضه وكشفت أسرارها وشخبت أوداجه على يد طفاته «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» .. جهنم وخلود فيها وغضب من الله ولعنة والعذاب العظيم يليق بكل متكبر جبار هدم صنعة الله القهار وجلب للوطن الخزي والعار.

● **عصام الحسين حميد**

وقد قال ربها
«إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

وللأسف أبت أنظمة عربية إلا أن تسلط زبائيتها وتخصص في إبادة صنعة ربها وتفتن في تعزيزها وتتلذذ بسلخها، وكانت وما زالت على شعوبها أشد عداوة من أعدائها.

وانتقلت هذه الأنظمة من السر إلى العلن، حيث يشاهد العالم المخلوق

إنه الصناعة الربانية والهة الإلهية والمنحة الجمالية، فكيف بها وقد انتقلت من العبودية إلى الحالة الإيمانية؟ إنه المخلوق المسمى إنساناً والذي خلقه ربه فحسنه إحساناً، وجمله تفصيلاً وإجمالاً ووزنه ميزاناً.

«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»
«الذي خلقك فسواك فعدلك»
هذه الحلقة وتلك السمعة.. هل يجوز تدميرها؟
وهل ينفع هدمها؟ وبأي حق هذا؟

إعداد: التحرير

شهر شعبان

جاء الاسم من: تشعبت القبائل للإغارة والقتال بعد قعودها في رجب، وقيل يتمرق الناس فيه ويتشعبون طلباً للماء، وينبغي للمسلم أن يجتهد فيه بالطاعة اقتداءً بالنبي ﷺ حيث قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان» (رواه أحمد)

التغافل

حدّث رجلٌ لأحمد بن حنبلٍ ما قيل: «العافية عشرة أجزاء؛ تسعة منها في التغافل» فقال الإمام أحمد: «العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل»

(دقائق أولي النهى: ٣٣١/٥)

خطر الغناء

قال عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه: «الغناء يُنبتُ النفاقَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ الزرعَ، والدُّكرُ يُنبتُ الإيمانَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ الزرعَ». (البيهقي: ٢٢٣/١٠)

أجوبة مسكئة (٢)

- صلّى رجلٌ صلاةً خفيفةً، فقال له آخر: ما هذه الصلاة؟ فقال صلاة لا رياء فيها.
 - قيل لرجل أمض معنا إلى السلطان، والبس ثيابك. فقال: هذه ثيابي التي أناجي فيها ربّي.
 - اغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه، فطلّ الرجلُ، فقال له بعض أصحابه: قل له ما قلته حتى لا تكون غيبةً.
 - فقال الأعمش: بل قل له أنت ما قلته حتى لا تكون نميمةً.
 - مرّ طائرٌ في حلقة عبدالله بن عباس رضي الله عنه فصاح، فقال مَنْ فيها: خير خير.
 - فقال ابن عباس رضي الله عنه: لا خير ولا شر.
 - قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلان لا يعرف الشرّ.
 - فقال عمر رضي الله عنه: هو أجدر أن يقع فيه.
- (الأجوبة المسكئة لابن أبي عون، ت: ٣٢٢هـ)

ولدني أبوبكر الصديق مرتين

أشفق رجل على ضبعة مُصابة، وجعل يقدم لها الطعام ويرعاها ويحميها من الصيادين حتى حسنت وقويت، وبينما هو نائم يوماً إذ هجمت عليه وشقت بطنه وقتلته، فعلم ابن عم له فأشدد قائلاً:
ومَنْ يصنع المعروف في غير أهله
يلاقى كما لاقى مجيرام عامر
أعد لها ما استجارت بقره
مع الأمن ألبان اللقاح الدراير
فأشبعها حتى إذا ما تمكنت
فارتته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من
يؤجّه معروفاً إلى غير شاكر
(المختار من الحكم والأشعار)

يخرجانها حرفاً حرفاً

عن ابن عُلبة وإسحق بن إبراهيم قالوا: أخذ هارون الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي؟ قال: لأريح العباد منك، فقال: يا أمير المؤمنين، أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام، ما قال رضي الله عنه حرفاً منها، فقال له الرشيد: «أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وعبدالله بن المبارك، ينخلانها تنخيلاً فيخرجانها حرفاً حرفاً» (تاريخ الخلفاء للسيوطي)

ثلاثة أشياء

العيش في ثلاث:

١. سعة المال.

٢. كثرة الخدم.

٣. موافقة الأهل.

وليس لثلاث حيلة:

١. فقر يخالطه كسل.

٢. خصومة يداخلها حسد.

٣. مرض يمازجه هرم.

وثلاثة لا يستخف بهم العاقل:

١. السلطان.

٢. الصديق.

٣. العالم.

(إحياء التراث فيما جاء في

عدد السبع والثلاث)

التحرز من الصديق

قال أبوحيان النحوي: «ينبغي

للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر

معاملة الصديق، وفي الباطن معاملة العدو في

التحفظ منه والتحرز، وليكن التحرز من صديقه أشد

من التحرز من عدوه، وأن يعتقد أن إحسان شخص إلى

آخر وتودده إنما هو لغرض قام له فيه يتعلق به، يبعثه

على ذلك، لا لذات ذلك الشخص».

(نصح الطبيب للتلمساني ٥٦٥/٢).

فطنة وذكاء

الأعرابي الجند: من هذا؟ فقالوا له: الأمير الحجاج. فعلم أنه قد أحيط به، فحرك دابته حتى صار بالقرب من الحجاج، فنادى الأعرابي: أيها الأمير، فقال الحجاج: ما تشاء يا أعرابي؟ فقال الأعرابي: أحب أن يكون السر الذي بيني وبينك مكتوماً.

فتوقف الحجاج وضحك من قوله كثيراً ثم أخلى سبيله.

(روائع الدرر)

خرج الحجاج للصيد ولما ابتعد عن جنده مرَّ بأعرابي يري إبلاً، فقال له الحجاج: كيف هي سيرة أميركم الحجاج؟

فقال الأعرابي: غشومٌ ظلومٌ لا حياه الله ولا بيّاه.

فقال الحجاج: فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين؟

فقال الأعرابي: هو أظلم منه وأغشم عليه لعنة الله.

فذهب الحجاج حتى وصل جنده ثم قال لهم هاتوا الأعرابي وقيده معنا إلى القصر فأخذوه وحملوه، فلما ساروا.. سأل

من دررابن المسيب

قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل،

إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان

فضله أكثر من نقصه لفضله.

ومن علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه.

حسن اللقاء نصف السخاء،

ولين الكلام دين الكرام، وحلاوة

اللسان بعض الإحسان.

(أخبار العرب ٧١/٥)

الحسد داعية إلى النكد

الحسد داعية إلى النكد، ألا ترى إبليس؟ حسد

آدم فكان حسده نكداً على نفسه، فصار لعيناً بعدما

كان مكيناً، ويسهل على المرء ترصّي كلّ ساخط في

الدنيا حتى يرضى، إلا الحسود، فإنه لا يرضيه إلا

زوال النعمة التي حسد من أجلها.

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت، وإن رأى به

عثرة شمت، ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبین،

وما رأيت حاسداً سألماً أحداً.

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١٢٤).

المنهزمون

حديثه بصراحة فيقول: «بمعنى أن نقبل بها كما هي عليه ونبقى، أو نرفضها وننتهي».

هكذا، استسلام تام وإذعان مطلق من أجل البقاء؛ أو رفض يكون معه النهاية، ولا مجال للتوسط في هذا الأمر عند هؤلاء المنظرين، لا مجال لأخذ الشيء الحسن الجميل والإفادة منه ورفض السيئ القبيح والحذر منه.

هذا مثال واحد من عبارات المنهزمين من بعض كتاب الصحف وخطباء القنوات الفضائية، والذين يدعون الأمة بكاملها إلى الارتقاء في أحضان الشرق والغرب، وأخذ جميع ما عندهم بغته وسمينه، وحلوه ومره، إذا أردنا أن نبقى - على حد زعمهم - لأن في التوسط أو التعامل مع أولئك بشجاعة وعقل وحكمة زوالنا ونهائنا!

إنها الهزيمة النفسية وفقد الثقة في الدين والمبادئ والقيم، وفقد الثقة في الأمة والتاريخ والحضارة، ولا أدري هل يؤمن أصحابنا بأئمة لنا تاريخ وحضارة وكيان مستقل شهد بمجدنا العدو قبل الصديق؟ أو أننا ريشة في مهب الريح وجدنا في هذا العصر ليكون من قدرنا أن نكون ذبلاً لا رأساً، وتابعين لا متبوعين، وعالة على الأمم لا هداة لها؟ أي هزيمة وقع فيها أصحابنا وأئمة مستنقع آسن رموا أنفسهم في عمقه؟! إننا في نظر أولئك - هداة الله وإياهم - صرنا كمن وصفهم الشاعر بقوله:

ويُفَضَّى الأمر حين تغيب تيمُّ
ولا يُستأمرون وهم شهود

والله إن ما نعيشه من هزيمة في بعض بلاد المسلمين أمام أعدائنا مصدره الوحيد الهزيمة النفسية، وفقد الثقة في الدين الذي جاء من عدم الفقه وقلة العلم والانخداع بالمظاهر...، ولا طريق للنصر والعزة والرفق إلا بالتمسك بعوامل لازمة للفرد والأمة أهمها:

ثقة تامة في الله تعالى وفي وعده لعباده الصالحين.

بناء نفسي قوي ورضين.

وفقه في الدين ومقومات العزة فيه.

وعلم واسع عميق بحقائق الشريعة الإسلامية.

النظرة الصائبة إلى حقائق الأشياء وجوهرها لا إلى مظاهرها وأشكالها.

فهل نجد ذلك عند من يمسكون الأقلام، ويهزون المنابر من مثقفينا؟ نرجو ذلك.

الجرأة والشجاعة من الخصال الحميدة، وتكونان أكثر جمالاً وإشراقاً، وأعلى قيمة وأعمق أثراً حينما توجهان توجيهاً سليماً ينفع الفرد والأمة، وحينما يستبسل المرء في ردِّ حق أو دحض باطل، وحينما يدافع عن عرض ويجادل عن كرامة.

وفي ذلك الطريق تحلو التضحيات وترخص الأنفس والأموال؛ لأن قيمة الفرد والأمة في بقائهما برؤوس مرفوعة وهامات عالية وأعراض مصانة. والنماذج المشرفة في التاريخ القريب والبعيد شاهدة على صدق ما نقول، فإن أجدادنا في القريب والبعيد لم يكونوا يتأرون لشهواتهم ويضحون في سبيلها ويبدلون في سبيلها أوقاتهم وأرواحهم، أما حينما يتعلق الأمر بالعرض والدين والمبادئ فإنك ترى الأسود في ثياب الرجال، وتسمع زمزمة الرعد وومض البرق، وترى برق السيوف ووقع النبال.

أقول هذا وأنا أرى فئة من الناس اليوم حولت الأقلام إلى سيوف، وأحالت مدادها إلى دماء، وكسرت الأعماد وبدأت معارك طاحنة سيكون من ضحاياها ما يعز على العقلاء فقده، وما يؤلمهم فراقه، وما ذلك إلا الدين والعرض!

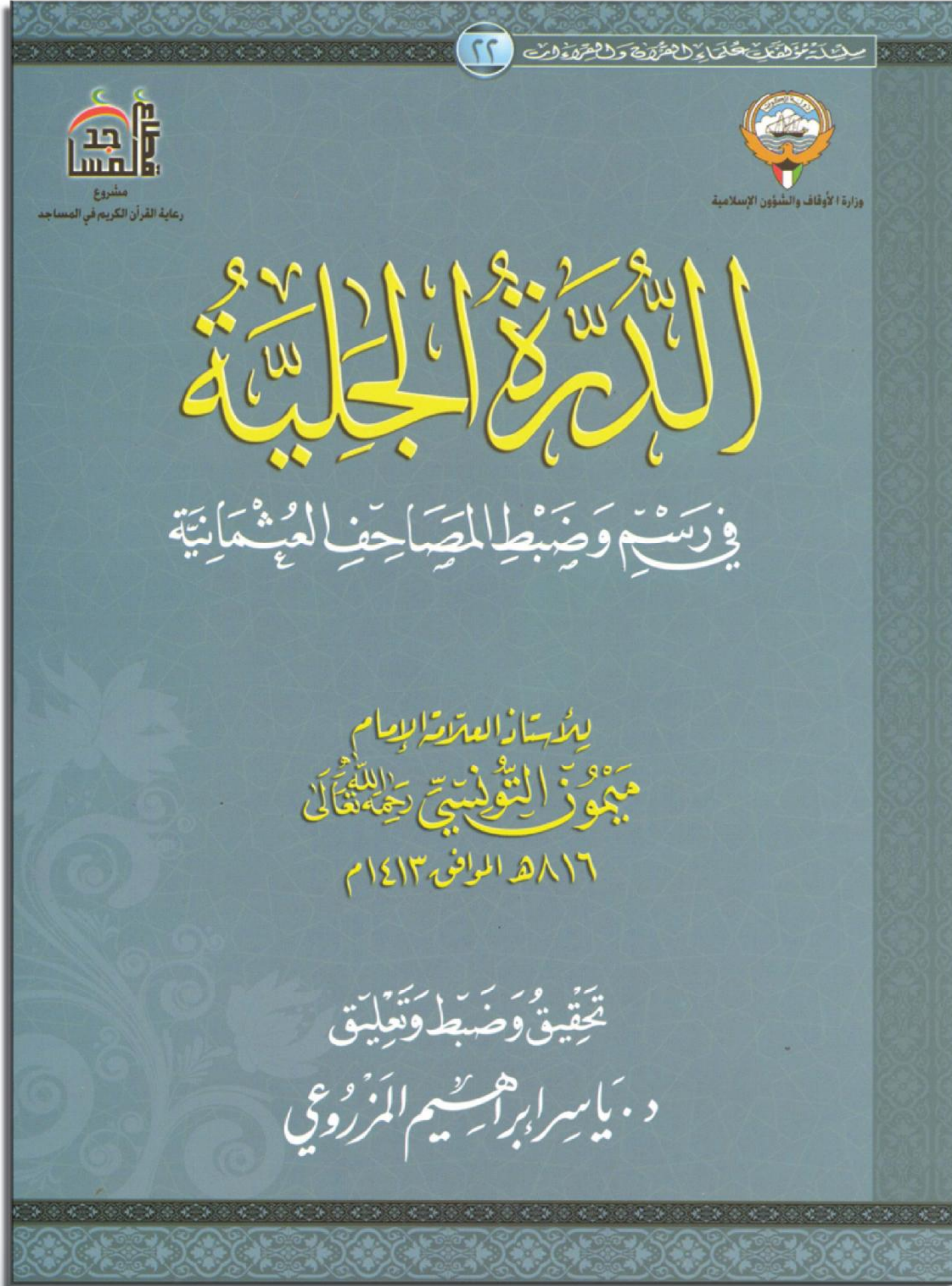
إنه ومع اشتداد هجمة أعداء الأمة عليها، واستهداف كرامتها، وامتهان مقدساتها، وانتهاك أعراض وكرامات ذكورها وإنائها مع ذلك كله وجدنا - لشديد الأسف - من أبناء الأمة من جند نفسه جندياً في صفوف الأعداء، يردد كلماتهم، ويؤكد دعاواهم، ويدعو إلى تقليدهم في كل شيء وليس في اللغة واللباس فقط.. وقد جاء.

ذلك بعد أن أصبح غريب الوجه واليد واللسان، كما قال الشاعر العربي، لقد ابتعد ذلك الفرد عن أمته وهجر صفوفها ليلتحق بصفوف أعدائها، ولبس ثيابهم، وتحدث بلغتهم، وخرج على الناس وكل ناظر إليه لا يشك في انتمائه لتلك الأمم التي يقلدها في لبسه وحديثه ومسكنه وأخذه وإعطائه.

ولم يكن المحزن أنه أقنع نفسه بذلك النهج ليسير عليه وحده - مع أنها خسارة للأمة في فقد أحد أبنائها - ولكن المحزن والمؤسف أنه أصبح داعياً لما أقنع نفسه به، مدافعاً عن ذلك النهج، بل وأصبح يقسم الأيمان المغلظة بأن ما ألزم به نفسه هو وحده الطريق الصحيح في هذا العصر، وأنه السبيل الوحيد لمن أراد أن يعيش في أيامنا هذه، ومن حاد عنه سيموت، ومسألة الحياة والموت مسألة لا مساومة عليها، ولا سبيل للحديث فيها عند عباقرتنا الذين نتحدث عنهم!

يقول أحد المنهزمين: «العولة الاقتصادية تعني بمتهى الاختصار والمباشرة أننا كعرب ومسلمين مضطرون للدخول في منظومة من الاتفاقيات، والروضوخ لشروط إذعانية، والتعامل مع واقع وظروف عالمية من شأنها أن تلغي أول ما تلغي أي معنى للخصوصية، هذه المنظومة لا نملك أن نؤثر فيها إلا في نطاق ضيق، وأحياناً لا نملك أن نؤثر إطلاقاً». ثم يوضح القصد من

مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد



كتاب متخصص في علوم القرآن، لعلمة تونس الشيخ ميمون التونسي رحمه الله. أفرغ فيه خلاصة علمه، فيما يتعلق برسم المصحف وضبطه، وهو رسالة نافعة لكل من أراد التوسع في هذا الباب.

الوعى الإسلامي

إصدارات

جديد



بحث أصولي مفيد، يعالج قضية مهمة في قضايا الخلاف العقائدي والأصولي، وهي: هل كل مجتهد مصيب، أم أن المصيب واحد؟ وفي ثناياها مناقشات علمية نافعة، قدمها بأسلوب ممتع الشيخ الفاضل / فيصل بن عوض العنزي.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com